

الإمام الدكتور
عبد الحليم محمود

الْحَمْدُ لِلَّهِ

أحكام وأسرار

دار خريب للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

العبادة

أحكام وأسرار

العارف بالله الإمام
عبد الحلیم محمود

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

الكتاب : العبادة أحكام وأمرار
المؤلف : د / عبد الحليم محمود
تاريخ النشر : ١٩٩٨
رقم الإيداع : ٩٨ / ٧٩٥٢
الترقيم الدولي : I.S.B.N 977-215-344-0

حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة للناشر ولا يسمح
بإعادة نشر هذا العمل كاملاً أو أى قسم من أقسامه ، بأى
شكل من أشكال النشر إلا بإذن كتابى من الناشر

الناشر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والمحاسب : ١٢ شارع نوبار لاطوغلى (القاهرة)
ت : ٢٥٤٢٠٧٩ فاكس : ٢٥٤٢٣٤

التوزيع : دار غريب ٣.١ شارع كامل صدقي الفيالة - القاهرة
ت : ٥٩٠٢١٠٧ - ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التصميم :
والعرض الدائم : ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر - الدور الأول

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير المرسلين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .
ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهب لنا من أمرنا رشدا .
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. وبعد :

فإن الفقه الإسلامي : هو مواد السلوك للمسلم : إنه يتناول حياته في الصغير منها والكبير ، وينظم سلوكه الأخلاقي بأوسع ما تتضمنه كلمة : أخلاق .
منذ أن يصبح إلى أن يمسي ، ومنذ ميلاده إلى أن تنتهي به الحياة .
ثم ينظم شئون ميراثه - إن كان له ميراث - بعد حياته .

إنه ينظم سلوكه مع نفسه ، ويشرح له من ذلك ما خفى وما ظهر ،
وينظم سلوكه مع الله ، فيبين له ما ينبغي أن يتحلى به حتى يصير ربانيا .
وينظم سلوكه مع إخوانه في المجتمع ، سلبا وإيجابا ، قولا وفعل .
إنه قانون الحياة بالنسبة للمسلم .

إنه القانون الذي يبين أوضاع السلوك ، من حيث كونه جائزا ، أو واجبا ، أو مستحبا ، ومن حيث كونه حراما ، أو مكروها : وذلك في ميادين الحياة .
لقد تتبع آيات القرآن الكريم وتلبيح الأحاديث النبوية تتبعها دقيقا ونسقا ،
فأصبح بذلك منظومة واضحة لعياة المسلم ، وتغلغل بذلك في جميع الميادين ، حتى تلك التي ما كان الإنسان يظن أنه ينبغي إلينا أو يتجه نحوها .

خذ مثلاً مسألة الروائح الزكية ، أو العطرية ، نجده يذكر : عن أبي هريرة .
رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، قال : « من عرض عليه طيب فلا يردده ، فإنه
خفيف المحمل طيب الرائحة » وعن أبي سعيد أن النبي ﷺ ، قال في المسك هو :
« أطيب طيبكم » .

ويذكر في الفرق بين التزين والكبر ،

عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان في
قلبه مثال ذرة من كبر ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ، ونعله
حسنه ، قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمص الناس » .
ومن هذا الوادي - وادي التزين والروائح الطيبة - عن جابر ، أن النبي ﷺ ،
قال :

« من أكل الثوم ، والبصل ، والكراث : فلا يقربن مسجدنا ، فإن الملائكة
تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم » (١) .

ويتحدث الفقه عن : الذهب ، والحريز ، والأقمشة المحلاة بالتصاليب فيذكر:
عن أبي موسى ، أن النبي ﷺ ، قال : « أحل الذهب والحريز للإناث من
أمتي ، وحرم على ذكورها » (٢) .

وعن حذيفة ، قال : « نهانا النبي ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة ،
وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحريز والديباج ، وأن نجلس عليه » (٣) .

وعن أنس : « أن النبي ﷺ ، رخص لعبد الرحمن بن عوف ، والزبير ، في
لبس الحريز لحكمة كانت بهما » .

وعن عائشة أن النبي ﷺ ، « لم يكن يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب إلا

(١) متفق عليه .

(٢) رواه أحمد والنسائي ، والترمذي وصححه .

(٣) رواه البخاري .

نقضه « رواه البخارى وأبو داود وأحمد ولفظه : « لم يكن يدع فى بيته ثوبا فيه نصليب إلا نقضه » .

ويتحدث الفقه عن نواح من التحفظ المصحى فيذكر : من جابر عن النبى ﷺ « أنه نهى أن يبال فى الماء الراكد » (١) .

وعن جابر بن عبيد الله ، فى حديث له ، أن النبى ﷺ - قال : « أوك سقاءك ، واذكر اسم الله ، وخمر إناءك واذكر اسم الله ، ولو أن تعرض عليه عودا » متفق عليه .

ومسلم : أن رسول الله ﷺ ، قال : « غطوا الإناء وأوكوا السقاء ، فإن فى السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء ، أو سقاء ليس عليه وكاء ، إلا نزل فيه من ذلك الوباء » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ ، قال : « اتقوا اللاعنين ، قالوا : وما اللاعنان يا رسول الله ؟ قال : الذى يتخلى فى طريق الناس أو فى ظلهم ، أى الذى يقضى حاجته فى الطريق الذى يسير فيه الناس ، أو تحت الأشجار التى يستظلون بها » (٢) .

أما عن التبرج والتخث فإنه يشرح :

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« صنفان من أهل النار لم أرهما بعد : نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، على رءوسهن أمثال أسنمة البخت المائلة ، لا يرين الجنة ، ولا يجدن ريحها ، ورجال معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس » (٣) .

وعن أبى هريرة : أن النبى ﷺ ، « لمن الرجل يلبس لبس المرأة ، والمرأة تلبس لبس الرجل » (٤) .

(١) رواه أحمد ، ومسلم ، والنسائى ، وابن ماجه .

(٢) رواه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود .

(٣) رواه أحمد ، ومسلم .

(٤) رواه أحمد وأبو داود .

والحديث عن التبرج والتخفث ، يجر إلى الحديث عن سفر المرأة وحدها .

فعن أبي هريرة فيما رواه الشيخان : أن رسول الله ﷺ قال :

« لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم عليها » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما - فيما رواه الشيخان أيضا - أنه سمع النبي ﷺ يقول :

« لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم . ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم . فقال له : يا رسول الله إن امرأتى خرجت حاجة ، وإنى كتبتم في غزوة كذا وكذا ، قال : انطلقى فحج مع امرأتك » .

والحديث عن التبرج أيضا يجر إلى الحديث عن كشف العورة .

عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قلت : يا رسول الله ، عوراتنا مما نأتي منها وما نذر ؟ قال : « احفظ عورتك إلا من زوجتك ، أو ما ملكت يمينك » .

قلت : فإذا كان القوم بعضهم في بعض ؟ قال : إن استطعت ألا يراها أحد فلا يرينها ، قلت : فإذا كان أحدا خاليا ؟ قال : فאלله تبارك وتعالى أحق أن يستحيا منه » .

وعن علي رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تبرز فخذك ، ولا تنظر إلى فخذ حى ولا ميت » ^(١) .

وعن محمد بن جحش ، قال : مر رسول الله ﷺ على معمر . وضفاه مكشوفتان ، فقال : « يا معمر : غط فخذيك فإن الفخذين عورة » ^(٢) .

وعن ابن عباس ، عن النبي ﷺ ، قال : « الفخذ عورة » رواه القرطبي وأحمد ولفظه :

(١) رواه أبو داود . وابن ماجه .

(٢) رواه أحمد والبخارى في تاريخه .

« مر رسول الله ﷺ ، على رجل وفخذه خارجة ، فقال : غطد فخذيك ، فإن
فخذ الرجل من عورته » .

وعن يعلى بن أمية : « أن رسول الله ﷺ ، رأى رجلاً يغتسل في فضاء
مكشوف ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن الله عز وجل حيي
ستير يحب الحياء والستر ، فإذا اغتسل أحدكم فليستر » (١) .

ويأخذ الجانب الأخلاقي شأنًا كبيرًا في الفقه نذكر منه على سبيل المثال :
عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، أن النبي ، ﷺ : « مر بقبرين ، فقال :
إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير : أما أحدهما ، فكان لا يستتر من يوله ، وأما
الآخر فكان يمشي بالنميمة » رواه أصحاب الصحيح ، وفي رواية البخاري
والنسائي : « وما يعذبان في كبير » ثم قال : « بلى كان أحدهما ... » وذكر الحديث .
ويروى الفقه في هذا الجانب قوله ﷺ : « بعثت لأتكم حسن الأخلاق » (٢) .

ويصل الأمر بصعيد بن المسيب أن يقول :

« ألا أخبركم بخير من كثير من الصلاة والصدقة ؟ قالوا : بلى قال : إصلاح
ذات البين - وإياكم والبغضة فإنها الحالقة .

ويروى الفقه قول رسول الله ، ﷺ ، لكل دين خلق ، وخلق الإسلام الحياء .
وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ، ﷺ ، ما خير في أمرين قط
إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم
رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله لها (٣) .

ويصل الأمر في الفقه إلى تنظيم كيفية الأكل ، والشرب ، وما يقوله الإنسان
عند خروجه من البيت ، وعند دخوله ، وعند ركوبه وعند نزوله .

وفي الملابس ، مثلاً :

(١) رواه أبو داود ، والنسائي .

(٢) الموطأ .

(٣) الأحاديث من المصدر السابق .

عن أبي هريرة، قال: «كان رسول الله ﷺ، إذا لبس قميصا بدأ بهيأته».

وعن أبي سعيد قال : كان رسول الله ﷺ : إذا استنجد ثوبا : سماه باسمه :
عمامة أو قميصا أو رداء ، ثم يقول :

« اللهم لك الحمد ، أنت كسوتني ، أسألك خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ
بك من شره وشر ما صنع له » (١) .

وما كان الفقه في يوم من الأيام خاصا بجانب من الحياة الاجتماعية دون
جانب .

لقد كان يتضمن الأخلاق ، ويتضمن التشريع ، كان يشتمل على العبادات ،
والمعاملات : بيعا وشراء ، جهادا وقتالا ، وسلاما ، نكاحا وميراثا ، لقد كان الفقه
بشرع للإنسان في جميع أقطاره وزواياه .

وكانت الطريقة المثلى للتأليف في الفقه : هي الطريقة التي اتبعها السلف
الصالح ، رضى الله عنهم : لقد اعتقدوا اعتقادا موقفا ، هو أن مهمتهم إنما هي :
جمع الأحاديث في كل مجال ، وتنسيقها ، وتبويبها ، وتقسيمها إلى فصول ، وإلى
فقرات تنتظم جميعها تحت وحدة متحدة : هي الحياة الإسلامية .

والحياة الإسلامية : لا تنقسم إلى ميادين تتفصل وتتعدد ، إنها وحدة
متماسكة ، ومن هنا كانت هذه الكتب الأولى في : الحياة الإسلامية « تبدأ
بالحديث عن الوحي ، وعن الإيمان ، وعن العلم .

وإذا تصفحت كتابا مثل الموطأ للإمام مالك ، رضى الله عنه - وهو كتاب
فقه رغم كل ما يمكن أن يقال ، بل هو في نظرنا كتاب الفقه المثالي : فإنك تجد
فيه فصلا عن حسن الخلق ، وفصلا يطول عن صفة الرسول ﷺ ، للناسي به .
ومتابعته في أخلاقه وسلوكه ، وفصلا عن الرؤيا ، وتجد فصلا عن العلم ، وفصلا
عن أسمائه . ﷺ .

(١) رواهنا الترمذي .

كان الفقه الإسلامى صورة كاملة لحياة المسلم على صورتها الصحيحة .
وفى ترابطها الذى لا انفصام له ولا انفكاك .

لقد كان شرحا للإسلام ، وتفصيلا للإيمان ، والإسلام هو تصوير للحياة
التي أحبها الله لمن كانوا خير أمة أخرجت للناس ، والإيمان الإسلامى : تعبير عن
الحياة الإسلامية الخالصة المخلصة .

والإيمان فى وحدته التامة : شعب كثيرة :

عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال : يقول رسول الله صلوات الله
وسلامه عليه : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان » .

وحينما بين سادتنا العلماء المحققون ، الذين أخلصوا لله ورسوله ، تلك
الشعب ، عن طريق الأحاديث الشريفة التي وضحت الإيمان ، وعن طريق الآيات
القرآنية الكريمة ، التي تحدثت عن الإيمان : قسموا تلك الشعب إلى ما يختص
منها بالقلب ، وما يختص باللسان ، وما يختص بالبدن ، أى أن الإيمان يقسم الكيان
الإنسانى كله : اعتقادا وقولا ، وفعلا .

ومن الأحاديث الشريفة : تنبيه أن الحب فى الله والبغض فى الله : من
الإيمان ، وأنه : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

وأن الذى يؤذى جاره : ليس بمؤمن .

وليس بمؤمن : من شبع وجاره جائع .

وأن الجهاد من الإيمان : يقول ، صلوات الله عليه وسلامه :

« انتدب الله لمن خرج فى سبيله ، لا يخرج إلا إيمان بى ، وتصديق برسلى :
أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة ، أو أدخله الجنة ، ولولا أن أشق على أمتى ما
قعدت خلف سرية ، ولوددت أن أقتل فى سبيل الله ، ثم أحيى ، ثم أقتل ، ثم أحيى ،
ثم أقتل » .

ومنها تنبيه أيضا أن :

قيام ليلة القدر : من الإيمان .

والإبصار من النفس : من الإيمان .

وبذل السلام للعالم : من الإيمان .

والإنفاق من الإقتار : من الإيمان .

وتطوع قيام رمضان : من الإيمان .

وصوم رمضان إيماناً واحتساباً : من الإيمان .

والصلاة من الإيمان . بل لقد عبر الله تعالى ، عنها بالإيمان في قوله

تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ (١) .

ويتدخل الإيمان في الحياة الاجتماعية حتى يصل إلى تسهر من أمرها

والميسور . فتكون إمامة الأذى عن الطريق من الإيمان ، ويكون إهداء السلام

تعارفاً وتودداً - : من الإيمان .

ورداً من تغفل الإيمان في النفس . وجد المؤمن حلالة الإيمان ، وهو لا يعم

بحلالة الإيمان إلا أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله .

وأن يكره أن يعوذ في الكفر ، كما يكره أن يقذف في النار (٢) .



لقد كان الفقه بياناً للحياة الإسلامية حسبما رسمها الرسول ﷺ . وكان

يلبي حاجات المجتمعات فيما يتعلق بالأحكام الإسلامية كلما أحدثت المجتمعات

جديداً من الأمر ، أو استدعت شأناً من الشئون .

لقد كان الصحابة يلجأون إلى الآيات القرآنية يستلهمونها الصواب ، وإلى

الأحاديث النبوية يستمدون منها ، لرشد .

وما كان الفقه في يوم من الأيام ، وما كانت هذه المواد التي تنظم الحياة ،

آراء بشرية ، إنها ليست نتيجة منطق بشري أو تفكير إنساني ، يصدر عن الذات

الإنسانية . هيختلف فيه الناس من فرد إلى فرد ، ومن بيئة إلى بيئة ، ومن زمن

إلى آخر ، كما يختلفون ، بحسب ذلك ، في كل ما هو نتاج بشري .

(١) البقرة ١٤٣

(٢) هذه كلها نصوص مستقاة من أحاديث الرسول ﷺ في شعب الإيمان

كلا ، إن الفقه الإسلامي ، إنما هو ميراث النبوة ، إنه شرح للوحي ، أو بتعبير أدق إنه ترجمة للوحي ، واستنتاج من قواعده العامة ، واتباع لسلوك الرسول ﷺ ، باعتباره المسلم الأول : « وأما أول المسلمين » .
أو باعتباره المطبق الدقيق لما أوحاه الله تعالى على قلبه رسالة إلى الإنسانية لهدايتها إلى الصراط المستقيم .

إن الفقه الإسلامي : اتساع ، وليس ابتداعا ، وإنه محاولة جاهدة لكشف الآثار النبوية والتزامها ، وليس اختراعا بئله بشر .
ولقد كان أئمتنا ، رضي الله عنهم ، يتبعون بأقوالهم وشرائعهم وسلوكهم ، إلى هذا الأمر البديهي عند ذوي الشعور الديني
لقد كان شعار أئمتنا جميعا ، رضي الله عنهم :
إذا صح الحديث فهو مذهبي
بما أما متبع لا مبتدع .

كل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه ، لا صاحب هذه الروضة الشريفة .
وصاحب هذه الروضة الشريفة هو وحده الإمام . وكان الإمام لأنه الكائن الوحيد الذي محتاه الله رسولا حاتما للرسول وبيا حاتما للأنبياء .
وكل ما أتى به قرآن كار ، أو حديثا قدسيا . أو حديثا نبويا شريفا ، إنما هو مقدس ، لأنه ما ينطق عن الهوى ، ولأنه يدعو إلى الله على بصيرة ، ولأن من أطاعه فقد أطاع الله ، ومن اتبعه فقد أحبه الله .

﴿ وما ينطق عن الهوى (٣) إن هو إلا رحيٌ يوحى (٤) ﴾ (١)

﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة (٦) ﴾ (٢)

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله (٣١) ﴾ (٣)

كان سلمنا الصالح يترعون هذه القرعة نرعة الخصوع لطلق لما جاء به الرسول ﷺ ، لقد كانوا يسجدون للنص يسجدون له بجوارحهم وقلوبهم ،

(١) سورة النجم آية ٣ - ٤

(٢) سورة يوسف آية ١٠٨

(٣) سورة آل عمران - ٣١

وأروحهم ، وعقولهم ، لقد كانوا يخصصون عقولهم للبصر ويحعلونه القائد ، الحكم ، المهيمن .

وكانوا يعرفون أن إدخال شخصيتهم في البصر ، إنما هو انحراف يعظم أو يقل بحسب مدى التدخل انشغري في البصر ، وكانوا يعرفون أن لوحى جاء هديا للعقل ، قائدا له في الأمور التي لا يتأتى للعقل أن ينج مبادئها أو يقتحم حماتها أو يدلى فيها برأى يتفق عليه الناس

وهذه المبادئ هي الدين وما دام الدين ليس رأيا بشريا لأنه تبريل من حكيم حميد

فإن كل موقف من الشخصية البشرية ، تحاه البصر الإلهي سوى موقف العبود له إنما هو موقف لتبديل الدين من ر يكون إنهما إلى أن يكون بشريا ولو كان يستقيم الأمر على ذلك - أى على التبديل لما كان هناك من حاجة إلى الدين

يروى أبو داود والدارقطني عن سيدنا عيسى رضى الله عنه قال

« لو كان الدين بالرأى لكان أسفل الحمأ أولى بالمسح من أعلاه ، لقد رأيت رسول الله ﷺ ، يمسح على ظاهر خفيه » .

إن الدين ليس رأيا ، وليس بالرأى ، ونظر إلى الحديث التالي إنه معبر أقوى ما يكون التعبير ، ودقيق في معناه ، دقة بالغة :

عن السراء بن عارب رضى الله عنه قال قال هال السبي ﷺ « إذا أتيت مصحفك ، فتوصأ وصوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل اللهم إني أسئمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك ، أنت بكتانك الذي أنزلت ، ونسيتك الذي أرسلت . هـ إن مت في ليلة فها أنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به » .

يقول البراء بن عازب :

فرددتها على النبي ﷺ ، (أى أحدث في إعدادتها عليه ﷺ) فلما بلغت
أمنت بكتابك الذى أنزيت ، قلب ، ورسولك قال لا ، ونبيك الذى أرسلت رواه
السنة

وزاد البخاري والترمذي « فإنك إن مت من ليلتك مت على لصخرة ، وإن
أصبحت أصبحت حيرا » .

إن الصحابي الجليل اليسر « بن عازب ، رضى الله عنه ، أبدل كلمة بكلمة
سريانا منه ، لقد قال « رسولك » بدل أن يقول « سيك » . وكلمة « رسول »
تتضمن معنى النبوة فهي إذن هيها المعنى وريادة ، وبحسب منطق ، وبحسب
عقبا تكون صالحة . ولكنها هي منطق لحق لم تكن صالحة .

إننا لا نرى بعقلنا ومنطقنا ، إلا لشكل والظاهر ، أما بواطن الأمور ، أما
أسرار الكلمات ، أما حكمة الأوصاف ، المحددة ، أما اكتناه خفايا التقديرات الإلهية...
إن كل ذلك إذا لم يكشف الله عنه أو عن بعضه فإننا لا نصن إياه بمنطق البشر
﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (١) بمقدور محدد وبمدير معين .

واكتناه سر هذا القدر ، أو هذا التقدير اكتناهها تماما ، لا يصل إليه إنسان ،
بل لا تصل إليه الملائكة .

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢) قالوا ، سبحانك لا علم لك إلا بما علمت بك أب العلم الحكيم (٣) ﴿ ٧ ﴾

إن نعم الصحيح لصادق في عالم الهدية الإلهية ، والتربية الربانية ، بما
هو من الله سبحانه وكل أبعاد عنه ، أو خروج عنه ، أو تعبير فيه إنما هو
صلال



(٢) البقرة ٣١ ، ٣٢

(١) القمر ٤٩ .

وما من شك في أن الإنسان منذ أن وجد على ظهر الأرض يحاول أن يزرع
بزعة بشرية بعثة ، ويتصرف في لوحى الإلهى بقصا وريادة ، ويترا ورسافة ،
وتغييرا وتديلا ، يحاول أن يقيم كل ذلك على قواعد يرفعها صعيحة .

فيقول مثلا : إن الحكمة في تحريم شرب الخمر إنما هي المفسد التي
تنشأ من الشخص الشارب ، فإذا ما انتفت تلك المفسد ، فلا مانع من شرب
الخمر .

ويقول إن التكاليف الدينية إنما جاءت لإصلاح الصمير فإذا كان الصمير
صالحا فلا لزوم للتكاليف الدينية .

ويقول إن أعمال العبادة ، إنما هدفها التقرب إلى الله فإذا حصل القرب
فلا حاجة إليها .

وهكذا يخرج الإنسان بأهوائه ولا يقول بمسقله لأن كل ذلك أهواء
يصورها الشيطان كأنها مطلق معقول عن الدين ، كما خرج إبليس قديما بأهوائه
التي تمثلت لدهنه مطلقا - عن الدين

والإمام العزالي ، رضى الله عنه ، يمثل لنا ذلك بمثال معبر ، فيذكر قصة
رجل بى له أبوه قصرًا على رأس جبل ، ووضع فيه شجرة من خشب صيب
الرائحة ، وأكد الرصية على ولده مرة بعد أخرى ، أن لا يخلى هذا القصر من هذا
الحشيش طول عمره ، وقال :

إنيك أن تسكن هذا القصر ساعة من ليل أو نهار ، إلا وهذا الحشيش فيه
فروع الولد حول القصر أنواعا من الرياحين ، وطلب من ليل والبحر أوددا
من العود والعبير والمسك ، وجمع في قصره جميع ذلك من شجيرات كثيرة من
الرياحين الصيبة لرائحة فعمرت رائحة الحشيش لما فاحت هذه بروائح

هناك لا شك أن والدى ما أوصانى بحفظ هذا الحشيش إلا لطيب رائحته
والآن قد استغنيا بهذه الرياحين عن رائحته فلا فائدة فيه الآن إلا أن يصيق على
المكان ، فرماه من القصر .

فلما حلا القصر من الحشيش ، ظهر من بعض ثقوب القصر حية هائلة ، وصريته صرية أشرف بها على الهلاك ، فتنبه حيث لم ينصحه التنه ، إلى أن لحشيش كان من حاصيته دفع هذه الحية المهلكة ، وكان لأبيه بالوصية بالحشيش عرصان أحدهما انتفاع لولد يرثه ، وذلك قد أدركه الولد بعقله .

والثاني اندفاع الحيات المهلكات برائحته ، وذلك مما قصرت عن دركه بصيرة الولد ، فاختار الولد بما عده من العلم ، وظن أنه لا سر وراء معلومه ، ومعقوله ، كما قال تعالى .

﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾^(١) .

وكما قال ﴿ فَلَمَّا حَاءَنَّهُمْ رَسُولُهُمْ بِالنِّبَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾^(٢) .

والمعروف من اعتر بعقله ، فظن أن ما هو مستف عن عمه ، فهو منتف هي نفسه

وما من شك كما يروى^(٣) كتاب إحصاء العلوم هي أن آراء الملل وكل ما فيها من الأوصاف ليس سبيلها أن يمتحن بالأراء والروية والعقول الإنسية لأنها أرفع رتبة منها ، إذ كانت مأخوذة عن وحى إلهي ، لأن فيها أسراراً إلهية تضعف عن إدراكها العقول الإنسية ولا تتبعها

وأيضا فإن الإنسان إنما سبيله : أن تفيده الملل بالوحى ما شأنه ألا يدركه بعقله ، وما يخور عقله عنه ، وإلا فلا معنى للوحى ولا هائدة إدراك إنما يمد الإنسان ما يعلمه وما يمكن - إذا تأمله - أن يدركه بعقله .

ولو كان كذلك لوكل إنسان إلى عقولهم . ولما كانت بهم حاجة إلى نبوة ولا إلى وحى ، لكن لم يخل بهم ذلك ، فذلك يسمى أن يكون ما تفيده الملل من العلوم ، ما ليس في طائفة عقولنا إدراكه ، ثم ليس هذا مقصد ، بل وما تستنكره عقولنا^(٤) أيضا .

(١) القجم ٣٠١ . (٢) غافر : ٨٢ .

(٣) مبيها وجهة نظر بعض متأملين في مسائل الدين

(٤) أي ما يعيل إلى بعض العقول أنه غير صادق

وذلك أن التي يأتي بها منك مما تستكره العقول وتستبشعها الأوهام
ليست هي بالحقيقة منكورة ولا محالة .

« إن كثيرا من لصبيان والأعمار ، يستكروا بعقولهم أشياء كثيرة مما
ليست في الحقيقة منكورة ولا غير ممكنة ، ويقع لهؤلاء أنها غير ممكنة ، وهي
ليست كذلك .

وكما أن الإنسان - من قبل أن يتأدب ويتحسك - يستكر أشياء كثيرة
ويستبشعها ويخيل إليه فيها : أنها محالة ، فإذا تأدب بالعلوم واحتسك بالتجارب
رأى أنه تلك الظنون فيها ، وانقلبت الأشياء التي كانت عنده محالة فصارت
هي الواجبة ، وصار عنده ما كان يتعجب منه قديما في حد ما يتعجب من صدمه .
كذلك ، الإنسان الكامل الإنسانية لا يمتنع من أن يكون يستكر شيء
ويحين إليه : أنها غير ممكنة ، من غير أن تكون هي الحقيقة كذلك (١) .

ويشرح الشيخ تحليل أبو سليمان المنطقي ، كل ذلك في رقة دقيقة ، وفي
أسلوب جميل ، يقول :

« الشريعة مأخوذة عن الله عز وجل بواسطة السمع بين وبين الخلق من
طريق الوحي وباب المناحة ، وشهادة الآيات ، وظهور المعجزات وفي أثنائها ما لا
سبيل إلى البحث عنه ، والغوص فيه ، ولابد من التعميم المدعو إليه والمنسب عليه
وهناك تسقط (لَمْ) ٩ .

ويطَّل . « كيف ٩ »

ويروى « هـ ٩ » .

ويذهب « لو ، وليت » هي الريح

ولو كن العقل يكتفى به لم يكن للوحي فائدة ولا غناء .

على أن مدارك الناس متفاوتة في العقل ، وأنصاءهم مختلفة فيه ، فلو كنا
نستغنى عن الوحي بالعقل - كيف كنا نصنع ، وليس العقل بأسره لواحد منا ٩
ههنا هو لجميع الناس .

(١) انظر كتاب «صفاء» علوم لماربي الذي نقلنا عنه ذلك باختصار ونصرف

ولو استقر إيمان و حد بعقله في جميع حالاته ، في دينه وديانه ، لاستقل أيضا بقوة في جميع حاجاته ، في دينه وديانه ، وكان وحده يفي بجميع الصدقات و المعرف ، وكان لا يحتاج إلى أحد من نوعه وحبسه ، وهذا قول مبرور ، و رأي محنول .

يقول هذا الشيخ الجليل إن مازل الناس متساوية في العقل ، وأنصاءهم محتامة فيه ، ومعنى ذلك أن هذا الذي يروق لشخص عقليا ، ربما لا يروق لغيره عقليا ، ويجب من أجل ذلك ألا يتدخل العقل في الدين و إلا لاحتلم الناس فيه بحلله عقولهم ، ودعى كل أن ما عليه إنما هو الحق ، وما على غيره هو الباطل ، ونتج من ذلك اتباع كل أهواء

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾^(١)

فتتفرق الأمة وتخرج على ما أحبه الله وأمر به :

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾^(٢) .



وإذ تساءلت الآن ، ما هو إذن موقف العقل من الدين ، وموقف الدين من العقل ؟

فإننا نجعل الموضوع في النقط الآتية :

أنزل لدين هاديا للعقل في جميع الأمور ، حتى لو ترك العقل شأنه فيها صل السبيل ، وعجز عن الوصول إلى الحقيقة وهذه الأمور هي

(أ) العقائد في ما وراء الطبيعة

(ب) المبادئ الأخلاقية إجمالا وتمصيلا .

(ج) التشريع . في قواعده العامة ، وفي بعض تمصيلاته . وقواعده العامة ، تتضمن الجزئيات على مر الزمن ، وعلى اختلاف البيئات .

(٢) آل عمران ١٠٣

(١) الفرقان ٤٣

وبزل الدين ليقود الإنسان نحو الكمال الروحي ، والإنسان إنسان بالجانب الروحي منه ، وكلما مبعا الإنسان روحيا كان أسمى في معنى الإنسانية :

والمعنى الروحي ، ووسيلة المعنى الروحي ، لا سبيل إلى تحديدهما من الإنسان نفسه ، وإنما تحديدهما مرده إلى الله سبحانه والقرب من الله ، أو التعبير أدق ، تقرب الله للإنسان ، إنما مرجعه هدها ووسيلة - هو الله نفسه وكل من حاول أن يتخذ طريقا آخر فيما يجري وراء سراب .

والغاية والوسيلة حددهما الله في كتابه الكريم ، إنه حددهما ، بالأسلوب الإلهي نفسه ، أي أن التعبير عنهما التعبير نفسه إنما كان من الله ، سبحانه . ومن فصل الله على المسلمين ، وعلى اللغة العربية ، أن كانت وسيلة فهم الإسلام ، هي التعبير الإلهي ، التعبير الإلهي بما فيه من دقة كاملة وجمال معجز ، وكمال غير منقوص .

وما دام الأمر كذلك فليس للعقل ، لا التسليم والخشوع والخصوع ، أو التعبير أدق : السجود .

وهو ليس سجودا تعسفيا أو تحكميا ، وإنما هو سجود مصدره الإيمان اليقيني بأمر هذا من عند الله ، وما دام من عند الله ، فإنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لأنه تنزيل من حكيم حميد ، ولأنه أحكم آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير .

من ذلك تعيين أن الدين هاد للعقل ، وأن العقل يجب أن يحصع ويسجد للوحي الإلهي .



بيد أن ذلك يسلمنا إلى سؤال آخر أو مشكلة أخرى هي أن القرآن يطالب دائما بالتفكير والتدبر .

﴿ فَاعْبُرُوا يَا أُوتَى الْأَنْصَارِ ﴾ (١) .

(١) العنبر : ٢٠

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (١) .

ويسمى على المشركين لتقليد ، ويتهكم بهم هي اتباعهم آباءهم فيتساءل :

﴿أَوْ لَوْ كَانَ ابْنُكُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٢) .

وكثيرا ما تحد آيات تختتم بـ ﴿إِنَّمَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿إِنَّمَا تَعْمُرُونَ﴾ ﴿إِنَّمَا تَعْمُرُونَ﴾ . وكل ذلك يدل على أن القرآن ، يدهع الناس إلى استعمال العقل

والواقع الذي لا شك فيه ، هو أن القرآن لا يستشير الملائكة ، ولا بنى الإنسان هي أية قضية من القضايا التي جاء بها الوحي ، ولا يحثكم إلى الإنسان باعتباره حكما ، هي أي مبدأ من مبادئه ، ولا يطلب منه مشورة هي أية قاعدة من القواعد التي شرعها ، بل هذه الأوهام لا تدور بحد المتدين قط . ذلك أن الوحي يرسل على أنه رسالة السماء لهائية إلى العالم ، ويرسل يبلغ أن هذه الرسالة صدق كلها حق جميعها ، ليس فيها حملة زائدة ، ولا كلمة لبست في موضعها ، ولا حرف كان يحسن ألا يوجد ، كلا إنها الحق الحاصل ، من اتباعها ، فقد اهتدى ، ومن حاد عنها انحرف ، ومن ابتغى الهدى في غيرها أضله الله . ومن تركها من جبار قصبه الله ، لأنها صراط الله المستقيم ، ونوره اللألاء

وكل ما ذكره تعالى من التمكير والبطر واستدر إنما أراد به الاعتبار ، وأراد أن يقول تمكروا ، تسروا أن ذلك هو الحق ، انظروا لتعلموا أن ذلك هو الخير ، أما إذا رأيتم غير ذلك ، فإنما ليعب هي بصركم ، أو هي بصيرتكم أو فيهما معا ، إذ رأيتم غير ذلك ، فاعلموا أن فطرتكم فسدت ، وأن قلوبكم ران عليها الإثم - فصنت ، وأن عقولكم قد صدأت ، فأصبحت لا ترى الحق حقا ، ولا الخير خيرا ، وأصبحت من الضلال بحيث ترى الخير شر ، والشر خيرا ، وأصبح أصحابها كالأنعام بل هم أضل سبيلا ، كل ذلك لاجراهم عن الصراط المستقيم ، صراط الله .

إن الله ، في عظمته وجلاله ، سبحانه لا يلقى برسائله ليعثها الإنسان ، ويبدى فيها رأيه ، صيدا وإثبات ، سلما وإيحانا . كلا ، بل كل من توهم ذلك فإنه لا

(٢) البقرة ١٧٠

(١) ق ٢٧

يقدر الله حق هدره ، وبغالى الله عن ذلك علو كبيراً وإنما ألقاها سبحانه لتتبع .
ولتتبع في خضوع وسجود، ولتتبع دون حرج يحيك في الصدر أو شك يحول في
النفس .

﴿فَلَا وَرَيْتَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجْعَلُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرْجاً
مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (١)

وكل من وجد في نفسه حرجاً من قصايد الدين ، وكل من لم يسلم تسليم
كاملاً مطلقاً تاماً ، كل من كان كذلك فإنه يحسن به أن يرجع إلى ربه
ليصحح به وليستوب إلى الله توبة نصوحاً وباب الله مفتوح للتائبين آناء الليل
وأطراف النهار ، وفي كل نفس ، وفي كل لحظة يقول أبو عمرو محمد بن إسماعيل
لرجاجي النيسابوري

« كان الناس في الجاهلية يتعمون ما تستحسنه عقولهم وطبائعهم هجاء
النبي ﷺ هردهم إلى الشريعة والاتباع فالعقل الصحيح ، هو الذي يستحسن
محاسن الشريعة ، ويستقيح ما تستقيحه » .



ومسألة أخرى هي مسألة تفصيل الأحكام ، وأن لحكم يدور مع العلة وجوداً
وعدماً وهي مسألة تربط بها قدمت ارتباط وثيق ، ذلك أن البغليل ذو صلة
وثيقة عادة بالمهجع العقلي هي فهم يدين ، وهذه المسألة لابد فيها من شيء من
التفصيل

أولاً إذا كان الشارع سبحانه ، قد حدد العلة وحصرها فإن لنا أن نقول
بها الحكمة من القاعدة التي شرعت وما دام الشارع هو الذي حددها وحصرها
هذه الحكم يدور معها وجوداً وعدمًا .

ثانياً إذا كان الشارع قد ذكر علة دون أن يذكر حصر ، فإنه ليس لنا أن
نقوم نحن بالتحديد و التحصر وإنما موقف المسلم هو أن يؤمن بالحكمة التي
ذكرها الشارع ، مع إيمانه بأنه يجوز أن تكون هناك حكمة أخرى .

(١) النساء ٦٥

ثالثاً ، إذ ، لم يذكر الشارع حكمة للحكم ، فإن لنا أن نلتزم ، إذا شئنا ، حكمة ، ولكن يجب علينا ألا نزعّم أنها لحكمة الحقيقية التي أرادها الشارع ، ويجب علينا ألا نزعّم أنها الحكمة الوحيدة .

وكل ذلك من أجل أن العقل البشرى لا يحيط بالأسرار الإلهية وإن حكمة الشارع في أحكامه اسمى من أن يحيط بها البشر إحاطة تامة وبست أدري ماذا يخطئ بعض الناس فهم كلامي في هذا الموضوع مع وضوحه ، فيما أعتقد ، وضحاً تاماً

لست أدري لماذا يدعون على أني ألعى العقل ولا أسجّم مع المنطق وأريد من أجل ذلك أن تكون فرصة مواتية لأوضح ما أؤمن به ، إيماناً تاماً ، بعد بحث وتحريّة وتمحيص .

إن التاريخ والواقع والتجربة يدل على أن العقل أنتج في عالم الطبيعة حضارات متتالية ، وأن الحضارة الحديثة ، في جانبها المادي إنما قدمت على عقل ، فالعقل هو الذي وصل بمروصه وتجاريه إلى ما بلغت الحضارة الحديثة ، باحتراعاتها وإشاعاتها ، وما هيها من كبريات الاحترعات وصناعاتها وليس هذا بأشياء اليسير ، ونجاح العقل فيه لا يكره مكر .

وإن لتاريخ وواقع و تجربة يدل على أن العقل أحقق كل الإحماق في مجال المفاهيم ، والدليل لسافر على ذلك تعدد المذاهب ، وعدم الانتهاء هي أية مسألة من مسائل ما وراء الطبيعة إلى الانصاف ، وعدم الوصول هي أية مسألة منها إلى حل وكذلك كان أمره ولا يزال في الأخلاق وهي التشريع وهذه المذاهب المتصارعة هي ميادين الأخلاق والتشريع وما وراء الطبيعة ، حير دليل على فشل العقل في الوصول إلى الحق فيها .

ولقد ترك الدين العقل المحال في محيط الكون المادي .

إن الطبيعة والكون من سمائه ، وأرضه ، ومن حيائه وبحارمه ، ومن كواكبه وأقماره وشموسه .

من المادة والطاقة ، من أعماق نبحر وآفاق السماء .

إن كل ذلك قد تركه الله سبحانه للإنسان يدرسه في مصنعه ومعمله بآلاته وأدواته . وحطه على أن يجول في ذلك ما استطاع إليه سبيلا حتى يكتشف سنن الله الكونية ، ونواميسه الطبيعية ويرى صنع الله الذي أنقذ كل شيء . ولم يقيد لدين الإنسان في هذا المجال ، اللهم إلا بالواجب الذي ينبى أن يكون شعاره دائما ، وهو أن يكون هدفه من كل ذلك الخير ...

أما ما وراء الطبيعة و لأخلاق والشريع فقد أنزل الدين من أحبها ، ومن أجل بيانها كاملة لا تحتاج إلا إلى فهمها وتدبرها والسير على نسقها .

وقد يتساءل متسائل .

ليس للعقل من مجال إذاً في الدين ؟

ونجيب على هذا السؤال بأن للعقل مجالا كبيرا في الدين .

وأول هذه المجالات وأهمها هو ، إثبات النبوة .

ومتى ثبتت لمسرة فإيه يجب أن يتلقى الإنسان كل ما أتت به من طريق لقول

والبهديات التي تأتي بعد إثبات النبوة هي

١ - ليس هاد للعقل في المجال الديني ، مجال الخير والشر ، الهداية والضللال ، محال الحق الإلهي ، و لئلا الشيطاني .

٢ - العقل متمهم للدين مهتد بهديه .

٣ - الدين لا يناقض العقل لأنه حق . وإذا رأى العقل ما يخالف الدين فهو عقل منحرف

٤ - لدين رسالة إلهية ، وثمار العقل نتاج بشري ، ولا يتأتى لمؤمن أن يضع النتاج البشري في مستوى الرسالة الإلهية .

٥ - ويقول الله تعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

وأظن أن ما ذكرته هنا لا يمكن أن يمارى فيه مومن .



وننتهي نكلمة عن انكتاب نفسه ، لقد حاولت أن أجمع فيه بين ناحيتين

١ - الناحية المقهية التي تتصل بالأحكام .

٢ - ناحية الأسرار والحكم .

واعتمدت أولاً وبالذات على الأحاديث النبوية الشريفة . وتعتمدت أن أدع الأحاديث نفسها ، مسنقة مبنوية هي التي تتكلم بطابعها هذا النوراني وبسمتها النبوي الشريف ، وتعتمد ذلك لأسباب منها :

١ - أن كتب الفقه المتأخرة - على خلاف كتب السلف - إذا تصممتها لا تكاد تجد حديثاً يذكر ، وإنما تحد كلام المؤلف بمصنفه متابع ومقلد لآخر على شاكلته ، فأردت أن أعود إلى طريقة السلف لأنها أهدى سبيلاً

٢ - والأحاديث النبوية حميلة الأسلوب سهلة الفهم ، عليها نور صاحب لروضة الشريفة ﷺ ، ولذلك يؤمن بها الأمت ، ويقتنع بها المثقف ، بل إن المثقف يرضى بهذا النمط من الكتابة أكثر مما يرضى بمفرد ، وذلك لأنه يعلم مصدر الحكم من الحديث ويتابع الرسول ﷺ ، رأساً ، وفي ذلك إرضاء لكرامته ، باعتباره مثقماً

أما الكتب التي اعتمدت عليها ، فإنها محدودة العدد بيد أنها من الكتب الأمهات ، وما كان انكتاب قط يحتاج إلى أكثر منها ، وإنها لتصلح لأن تكون مرجع لكتاب أطول وأوسع . وهي :

١ - القرآن الكريم .

٢ - صحيح البخاري : أصبح كتاب يعد كتاب الله عز وجل .

(١) النساء آية ٦٥

٢ - صحيح مسلم .

٤ - نيل الأوطار للإمام الشوكاني ، وهو كتاب في غاية انصافه في بابه

٥ - رياض الصالحين وهو كتاب يحسن بكل مسلم أن يقتنيه ، لأنه كله بمائس

من روائع النبوة في الهدى الإسلامي

٦ - كتاب الترمذي والترهيب ، وهو كتاب مبارك « عليه نور » وفيه روعة .

٧ - كتاب إحياء علوم الدين لدى يقول عنه الإمام النووي « كان لإحياء يكون

فرناً » .

٨ - سيرة ابن هشام .

لقد نقلت مئات الحداثات وأدخلت منها في الكتاب ما احتجت إليه ،

وحرى الله مؤمنيه من الإسلام وعن الرسول ﷺ حير الجراء ، وشكر الله لهم

صنيعهم

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

الفصل الأول

على مشارف العبادة
الإخلاص والتوبة

الإخلاص في العبادة وجميع أعمال الخير :

يقول رسول الله ﷺ - فيما رواه الشيخان -

« إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يملكها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه »

ويقول الله تعالى :

﴿ إِنَّا أَمَرْنَا إِلِيكَ كِتَابًا بِالْحَقِّ فَأَعِدَ السَّلَءَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ (١) ۝ ﴾

وقال الله تعالى لرسوله الكريم :

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١) ۝ ﴾ (٢)

لابد من إخلاص في العبادة ، ولن يقبل الله سبحانه من العبادة إلا ما كان لوجهه سبحانه ، وإذا ما وقف الإنسان أمام الله في الصلاة ، أو أدى نوعا من العبادة ، فمن طابعه العام وشعوره الداتي يجب أن يكون :

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا رَمَا أَنَا مِنَ الْمُسْرِكِينَ (٢) ۝ ﴾

ولقد أحبه الله سبحانه من كل منا أن يتأبى برسول الله ﷺ .

﴿ لَقَدْ كُتِبَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ حَيْرًا (١) ۝ ﴾ (٣)

ولقد كان رسول الله ﷺ ، عبارة يتمثل فيها - كاملا - لشعار الإسلامى
التفانى بصفة الإنسان بربه وهو

(١) الرمز : ٢ - ٢ ، (٢) الأسام : ٧٩

(٢) الرمز : ١١ ، (٣) الأحزاب : ٢١

﴿ قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦٢) لا شريك
لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١﴾

وعن أس بن مالك ، فيمن رواه ابن ماجة والحاكم ، أن رسول الله ﷺ قال
« من هارق الدية على الإخلاص لله وحده لا شريك له ، وأقام بصلاة وتتي
الركاة هارفاً والله عنه رضى » (٢) .

وعن معاذ بن جبل أنه قال حين بعث إلى اليمن - يا رسول الله ، أوصني
قال ﷺ :

« أخلص دينك يكفك العمل القليل » (٣) .

ولقد سئل رسول الله ﷺ - فيمن روه البيهقي عن لإيمان وعمال
« الإخلاص » .

ويروى الإمام مسلم رضى الله عنه ، عن أبي هريرة ، رضى الله عنه أن
رسول الله ﷺ قال :

« إن لله لا ينظر إلى أحسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم »

أما إذا اسحرف الإنسان عن الإخلاص ، فإن رسول الله ، ﷺ يقول فيمن يرويه عن
ربه ، إن الله قبارك وتعالى يقول :

« أنا خير شريك ، فمن أشرك معي شريكاً فهو لشريكى »

يا أيها الناس اخلصوا أعمالكم فإن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما
حصن له ، ولا تقولوا هذه لله ولرحم فإنها لرحم وليس لله منها شيء

ولا تقولوا هذه لله ولحوهمكم ، فإنها لحوهمكم وليس لله منها شيء « هـ » (٤)

أما الحديث الذى يهر شعور امرأتين هره عبدة ، فهو قوله ﷺ فيمن رواه
الإمام مسلم - عن أبي هريرة رضى الله عنه قال

(١) الأنعام ١٦٢

(٢) قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين

(٣) قال الحاكم : صحيح الإسناد

(٤) رواه تيراز بإسناد لا يأتى به روه البيهقي

سمعت رسول الله ، ﷺ يقول .

« إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه ، رجل استشهد فأتى به ، فعرفه نعمته فعرها قال هما عملت فيها » ٥

قال ، قاتلت ذلك حتى استشهدت .

قال . كذبت ، ولكنك قتلت لأن يقال هو جريه ، فقد قيل : ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار

ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرها ، قال هما عملت فيها ؟

قل : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن .

قال كذبت ، ولكنك تعلمت لي قال عالم ، وقرأت القرآن لي قال هو قارئ فقد قيل : ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار .

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال ، فأتى به ، فعرفه نعمه فعرها قال : فما عملت فيها ؟

قال ما تركت من مسير حب أو يمشق فيها إلا أنفقت فيها لك .

قال : كذبت ، ولكنك فعلت لي قال هو حواد ، فقد قيل : ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار » .

وبعد :

﴿ فمن كان يَرْحُ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۝ ﴾ (١)

صورة إخلاص الدين لله :

يشرح أبو سعيد الخردزبي وصي لله عنه أساس الإخلاص الذي لابد منه ، أعنى الإيمان ، فيقول . فالمرص «واجب» أن تؤمن بالله وتعلم وتقر وتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنه ، الأول ، والآخر ، والظاهر والباطن والخالق ، والبارئ ، والمصور ، والرازق ، والمحيي ، والمميت ، الذي إليه ترجع

(١) الكهف : ١١٠

الأمور ، وأن محمداً - عبده ورسوله - جاء بالحق من عند الحق ، وأن أسبيل حق وبالحق أدوا الرسالة ، ونالوا ^(١) هي العصية ، وأن لجنة حق ، والبعث حق ، المرد إلى الله تعالى . يقرر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء .

ويكون ذلك عقدك ^(٢) مظهر، على نساءك ، بلا شك ولا ريب ، ساكن ^(٣)
 قلبك مطمئنا إلى ما صدقت به وأقررت .

وكذلك لا يعارضك . في كل ما جاء من عند الله على لسان نبيه ﷺ -
 شك في كل ما ذكره عن ربه ، عر وجل ، غير محالف لما كان عليه النبي ، ﷺ ^(٥)
 وأصحابه ، وأئمة الهدى ، الذين كانوا قبوة لمن جاء بعدهم من أهل الهداية ، ثم
 التابعين من بعدهم ، ثم علماء كل عصر ، متبعين للجماعة ، محلصين هي ذلك لله
 وحده ، لا تريد إلا الله تعالى ، ليتم إسلامك وإيمانك ، وتوحيدك ^(٦) .

ثم يذكر أبو سعيد رحمه الله الآية القرآنية الكريمة

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيُفْعَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (٦) ﴿٧﴾

ثُمَّ يَقُولُ

همن شرح ذلك ، أن يكون العبد يريد الله ، عر وجل ، بجميع أعماله وأفعاله ، وحركاته كلها طاهرها وباطنها ، لا يريد بها إلا الله وحده ، قائما بعقده وعلمه على نفسه وقلبه راعيا لهمه ، قاصدا إلى الله ، تعالى ، بجميع أمره ، لا يحب مدح أحد ولا ثناء ، ولا يفرح بعمه - إذا اطلع عليه المخلوقون فإن عارضه ^(٧) من ذلك شيء اتقاه ^(٨) بالسرعة والكرهية ، ولم يسكن ^(٩) إليه ، لكن إذا أتى عليه أحد ، حمد الله على ستره عليه ^(١٠) حين وقفه لخبر رآه العباد عليه

(١) ترقوه ضيق، [لس] جلي، مودياتها

(۷۶) عتق‌ها

(۲) *بشپ ما به هی شطه* ،

(٤) وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿فَلَا يَزِيدُكَ لَا يُؤْمِرُونَ حَتَّى يَهْكُمُوا لَكَ شَجَرًا بَيْنَهُمْ﴾ ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلَمُوا إِلَيْكَ ۖ

(٥) كتاب الصمد ص ١٧ .

(٦) سورة الكهف : ٩٩

(٧) علمه له .

[illegible]

(۹) مرگ و محظنون

(١٠) صوته عليه : رعية له باظهار خيره وإخفاء شره

نعم ، ثم يضاف عند ذلك ، من عمله الرديء ، وسريته القبيحة التي خفيت على الناس ولم تحف على الله ، فاشفق من ذلك ، وحاف أن تكون سريته أقبح من علانيته .

فهكذا يروى في الحديث :

« السريرة إذا كانت أقبح من العلانية فذلك الجور ، فإذا استوت السريرة والعلانية فذلك العدل ، وإذا فضلت السريرة على العلانية فذلك الفضل » (١) .

ويزيد أبو سعيد ، رضي الله عنه ، الأمر إيضاحاً فيقول :

مما يمكن أن يذكر أن يكون العبد لا يرجو إلا الله ، ولا يخاف إلا الله ، ولا يتزين إلا لله ، ولا يأخذه في الله لومة لائم ، ولا ييأس ، إذا وافق الأمر الذي فيه محبة الله ورضاه ، من سخطه .

وما بقي من ذكر غاية الإخلاص أكثر ، وفي هذا بلاغ للمريدين السالكين لطريق « (٢) » اهـ .

لابد إذن من الإيمان ، ولابد من الإخلاص في الإيمان .

طريق الإخلاص في الإيمان :

وأول لبنة في صرح الإخلاص وأول شجرة تفرس في روضته ، إنما هي التوبة

التوبة الخالصة النصوح .

وللتوبة شروط : يشرحها الإمام لنووي في كتابه « رياض الصالحين »

فيقول .

قال العلماء : التوبة واجبة من كل دس .

فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة

شروط .

أحدها : أن يطلع عن المعصية .

والثاني : أن يتندم على فعلها .

والثالث ، أن يعزم على ألا يعود إليها أبداً .

(١) كتاب الصديق لأبي سعيد الخراساني : ١٨ ، ١٩ .

(٢) المصدر السابق صفحة ٢٠

فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته .

وإن كانت المعصية تتعلق بأدنى هشروطها أربعة ، هذه الثلاثة ، وأن يبرا من حق صاحبها ، فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه ، وإن كان حد قذف ونحوه مكَّنه منه ، أو طلب عموه ، وإن كان غيبة استحلَّه منها ،
ويجب أن يتوب من جميع الذنوب .

فإن تاب من بعضها صحَّت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب ، وبقي عليه الباقي .

وقد تظاهرت دلائل الكتاب و نسبة وإجماع الأمة على وجوب التوبة ^(١) هـ
أما ونحن بصدد الإخلاص فإن النوع الذي يتطلع إليه ، إنما هو التوبة العامة الشاملة .

ولقد حثَّ الله سبحانه وتعالى ورسوله على التوبة في صور حميلة رقيقة فضلا عن إيجابها .

يقول الله تعالى في حديث قدسي :

« يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أعمر لكم » .

ويروى لإمام مسلم بسنده أن رسول الله ﷺ قال

« الله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم ، كان على راحلته بأرض فلاة فانملأت منه وعليها طعامه وشرابه فأبس منها فأتى شجرة واضطجع في ظلها وقد يس من رحته ، فبينما هو كذلك ، إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بحمامها ، ثم قال من شدة المرح : اللهم أنت عسدي وأنا ربك أخطأ من شدة المرح » .

ويروى الإمام مسلم بسنده عن أبي موسى الأشعري ، عن النبي ﷺ قال

« إن الله تعالى ، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » .

ولقد أوجب الله سبحانه وتعالى التوبة إيجابا هفالا

(١) رياض الصالحين باب: توبة

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) ﴿
وقال تعالى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ (٢) ﴿

بجوار ذلك يقول الله تعالى مرجحاً وباعثاً للأعمال في رحمته .

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٣) ﴿

ثم يرسم الله مباشرة سبيل ذلك في صورة لها رهبة ولها حلال فيقول
﴿ رَأَيْبُوا إِلَىٰ رِبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا مِنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُصْرَعُونَ ﴾ (٤) ﴿
أحس ما أَسْرَى إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعَثَ وَأَنْسَمَ لَا تُشْعِرُونَ ﴾ (٥) ﴿
نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتَ لِمِنَ السَّآخِرِينَ ﴾ (٦) ﴿
أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ
هُدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٧) ﴿
أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٨) ﴿
بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٩) ﴿
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ
كَذَّبُوا عَلَى اللَّهِ رُجُومُهُمْ مُّسَوَّدَةً أَلْسِنِهِمْ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (١٠) ﴿
ثم يحتم هذه الآيات مينا عاقبة المتقين قائلًا .

﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِصْرَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١١) ﴿ (٣)
ونرسم الآن صورة للتوبة النصوح ، أو للإحلاص في التوبة وهي صورة
رائعة حقا تدل في وضوح على الإيمان العميق واليقين التام وهي مع ذلك تحليل
شائق - لا يكاد نجد له مثيلا - للحالة النفسية عند التائبين المحلصين ، وتحليل
شائق أيضا للحالة النفسية لفرحهم ، عند قبول توبتهم .
وقد روى هذه الصورة للتوبة لإمامنا الجليلان الفجاري ومسلم ، رضى
الله عنهما :

(١) النور آية ٢١

(٢) التحريم آية ٨

(٣) الآيات من سورة الزمر من ٥٣ - ٦١

عن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب رضى الله عنه ، من شيه
حين عمى قال

سمعت كعب بن مالك رضى الله عنه ، يحدث بحديثه حين تحلف عن
رسول الله ، ﷺ ، هي غزوة تبوك .

قال كعب : لم أتخلف عن رسول الله ، ﷺ ، هي غزوة غزاها قط ، إلا في
عروة تبوك ، غير أنى قد تخلفت هي غزوة بدر ولم يعاتب أحدا تحلف عنه إنما
خرج رسول الله ، ﷺ ، والمسلمون يريدون غير قريش حتى جمع الله تعالى بينهم
وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله ، ﷺ ، ليلة العقبة حين
تواثق على الإسلام ، وما أحب أن أرى بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في
الناس منها .

وكان من حبرى حين تخلفت عن رسول الله ، ﷺ ، هي غزوة تبوك أنى لم
أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه ، هي تلك الغزوة ، والله ما جمعت
قسيها راحتي قط حتى جمعتهما في تلك العروة ، ولم يكن رسول الله ، ﷺ ، يريد
غزوة إلا ورى بعيرها حتى كانت تلك العروة فعرفها رسول الله ، ﷺ ، هي حر
شديد ، واستقبل سمر، بعيد ومفازا و ستقبل عدد كثيرا ، فجلى للمسلمين
أمرهم ليتأهبوا أهبة عزوهم فأخبرهم بوجههم الذى يريد ، والمسلمون مع
رسول الله ، كثير لا يجمعهم كتاب حافظ - يريد بذلك الديوان - قال كعب فقل
رحل يريد أن يتغيب إلا طئ أن ذلك سيخفى به ما لم يرل فيه وحى من الله
وعرا رسول الله ، ﷺ ، تلك العروة حين طالت الشمار والظلال فأنا إليها أصغر
فتجهز رسول الله ، ﷺ ، والمسلمون معه ، وطمعت أعدو لى أتجهر معه فأرجع
ولم أقض شيئا وأقول هي نمسى أن قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك يتمادى
بى حتى استمر بالناس الجدد ، فأصبح رسول الله ، ﷺ ، غاديا والمسلمون معه
ولم أقصر من جهازى شيئا ثم عدوت فرجعت ولم أقض شيئا ، فلم يرل ذلك
يتمادى بى حتى أسرعوا وتفرطت لغزو فهممت أن أرتحل فأدركهم فيألتيتى فعلت ،
ثم لم بقدر ذلك لى .

فطمعت إذا خرجت هي الناس بعد خروج رسول الله ، ﷺ ، يحزننى أنى لا
أرى لى أسوة إلا رجلا مغموصا عليه هي النماق ، أو رجلا ممن عذر الله تعالى من
الصعفاء ولم يذكرنى رسول الله ، ﷺ ، حتى بلغ تبوك .

فقال وهو جالس في القوم يتبول : ما فعل كعب بن مالك ؟

فقال رجل من بني سلمة : يا رسول الله حيسه برد ، والنظر هي عصميه .
فقال له معاذ بن جبل ، رضى الله عنه : بئس ما قلت ، والله يا رسول الله
ما عصما عليه إلا حير . فسكت رسول الله ، ﷺ ، هيبما هو على ذلك رأى رجلا
ميمما يرول به السراب .

فقال رسول الله ، ﷺ ، كن أبا خيثمة ، فإد هو أبو خيثمة الأنصاري ، وهو
الذى تصدق بصاح التمر حين لمره المنافقون .

قال كعب ، فلما بلغنى أن رسول الله ، ﷺ ، قد توجه قافلا من تبوك
حضرى بشي عظمت أتذكر الكذب وأقول بم أخرج من محطه غدا ، وأسمع
على ذلك كل ذي رأى من أهلى .

فلما قيل أن رسول الله ، ﷺ ، قد أظلم قادم راح على الباطل حتى عرفت
أنى لم أجد منه بشيء أبدا ، فأحسنت صدقه ، وأصبح رسول الله ، ﷺ ، فادما ،
وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم طمس لباس . فلما فعل
ذلك جاءه المحلّمون يعقدون إني ، ويحلفون له ، وكانوا بصفا وثمانين رجلا ، فقبل
منهم علانيتهم ، وبأيمانهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى ، حتى
جئت ، فلما سلمت تبسم تبسم الغصب ، ثم قال تعال فحجّت أمشى حتى
جلست بين يديه ، فقال لى ما خلفك ؟ ألم تكن ظهرك ؟

قال قلت يا رسول الله ، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ،
لرايت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أنعمت جدلا ، ولكنى والله لقد عبت
لش حدثك ليوم حديث كذب ، فرضى به حتى ليوشكن الله يسحطك على ، وإن
حدثتك حديث صدق تجد على فيه إني لأرجو فيه عصى الله عر وجل .

والله ما كان لى من عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين
مخلت عنك

قال : فقال رسول الله ، ﷺ ،

أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضى الله عليك

وسار رجل من بني سلمة فاتبعونى ، فقالوا لى ، والله ما عصماك أذيت
دنيا قبل هذا لقد عجرت لى ألا تكون عذرت إلى رسول الله ، ﷺ ، بما اعتذر
به المحلفون ، فقد كان كاهيك ذنبك استعمار رسول الله ، ﷺ ، لك ؟

قال هو الله ما زالوا يؤبسونى حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ، ﷺ .
فأكذب نفسى ، ثم قلت لهم :

هل لقي هذا معى من أحد ؟

قالوا . نعم لقيه معك رجلا ، قال مثل ما قلت ، وقيل لهما مثل ما قيل لك .
قال قلت : من هما ؟

قالوا . مرارة بن ربيعة العامري ، وهلال بن أمية الواقفي .

قال . فذكروا لى رجلين صالحين ، قد شهدا بدرًا فيهما أسوة ، قل
فمضيت حين ذكروهما لى ، ونهى رسول الله ، ﷺ ، عن كلامنا أيها الثلاثة ، من
بين من تحلف عنه .

قال فاجتنبنا الناس ، أو قال تغيروا لنا حتى تنكرت لى فى نفسى الأرض ،
فما هى بالأرض التى أعرف ، فنبثنا على ذلك خمسين ليلة
فأما صاحبائى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان .

وأما أنا فكانت أشب القوم ، وأجلهم ، فكانت أخرج فأشهد الصلاة مع
المسلمين ، وأطوف فى الأسواق ، ولا يكلمنى أحد ، وأتى رسول الله ، صلى الله
عليه وسلم ، فأسلم عليه وهو فى محبسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى هل حرك
شفتيه برد السلام أم لا ، ثم أصبى قريب منه وأسارقه النظر فإذا أقبلت على
صلاتي نظر إلى ، وإذا التفت نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال ذلك على من جموة
المسلمين مشيت حتى تسورت حدار حائط أبي قتادة ، وهو بن عمي وأحب الناس
إلى ، فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام

فقلت له يا أبا قتادة ، أشدك الله ، هل تعلمنى أحب الله ورسوله ﷺ ؟
فسكت ، فنادت فنادته فسكت ، فعدت فنادته .
فقال : لله ورسوله أعلم .

فماصت عيائى ، وتوليت حتى تسورت الحدار فبينما أنا أمشي فى سوق
المدينة ، إذا نطلى من بطن الشام مع قدم بالطعام ، يبيعه بالمدينة ، يقول من بدل
على كعب بن مالك فطلق الناس يشيرون له لى ، حتى جاءنى ، فدفع إلى كتابا
من ملك عسان ، وكنت كاتباً فقرأته فإذا فيه .

(أما بعد) فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوى ولا مضیعة ، والحق بما نراسك . فقلت حين قرأتها وهذه أيضا من ابلاء ، فتيممت بها التور فسحرتها حتى إذا مصت أربعون من خمسين . واستلث الوحي ، إذا رسول رسول الله ، ﷺ ، يأتي .

فقل بن رسول الله ، ﷺ ، يأمرك أن تعتزل امرأتك . فقلت أطلقها أم ماذا أفعل ؟

فقال لا . بل اعتزلها فلا تقربها . وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك . فقلت لامراتي ، الحق بأهلك فكوني عندهم حتى يقضى الله من هذا الأمر . فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ، ﷺ . فقالت له يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ صانع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه ؟ قال : ولكن لا يقربك .

فقالت إنه والله ما به من حركة إلى شيء ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله ، ﷺ ، في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه .

فقلت لا أستأذن فيها رسول الله ، ﷺ . وما يدريني ماذا يقول رسول الله ، ﷺ . إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب ، فيث بدلك عشر ليال فكم لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا ، ثم صليت صلاة المجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا حينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى من قد صاقت على نفسي ، وصاقت على الأرض بما رحبت ، سمعت صوت صارح أوهى على سلع يقول يا أعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر ، فحررت ساجد ، وعرفت أنه قد جاء هرج ، فأذن رسول الله ، ﷺ ، لناس بتوبة الله عز وجل عينا حين صلى صلاة المجر ، فذهب الناس يبشروننا ، فذهب قبل صاحبي مبشرون ، وركض إلى رجل هرسا ، وسمى سماع من أسلم قبلي وأوهى على الحبل فكان الصوت أسرع من المرس ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشري برمت له ثوبين فكموبهما إياه ببشراه ، والله ما ملك غيرهما يومئذ . واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلمت أتايم رسول الله ، ﷺ ، يتلقىني الدس فوجا فوجا يهتفونى بالتوبة . ويقولون لي لتهك توبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله ، ﷺ

جالس حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه يهرول حتى صاحبه وهائى ، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره . فكان كعب لا ينسأه لطلحة . قال كعب فلما سلمت على رسول الله ﷺ ، قال وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك .

فقلت . إمن عندك يا رسول الله ، أم من عند الله ؟

قال لا بل من عند الله عز وجل .

وكان رسول الله ، ﷺ ، إذ سر استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر

وكننا نعرف ذلك منه فلما جلس بين يديه قلت

يا رسول الله . إن من توحي أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله . ورسوله ؟

فقال رسول الله ، ﷺ ، أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك

فقلت إني أمسك سهمى الادي بخير ، وقلت يا رسول الله ، إن الله تعالى

إنما أبحثنى بالصدق ، وإن من توحي إلا أحدث إلا صدقا ما بقيت ، فوالله ما

علمت أحدا من المسلمين أبلاه الله تعالى فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك

لرسول الله ، ﷺ ، إلى يومى هذا وإنى لأرجو أن يحفظنى الله تعالى فيما بقى

قال فأنزل الله تعالى :

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ تَبِعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُنْجَاةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَرْسِلُ قُلُوبَ قَوْمٍ مِنْهُمْ لَمَّا تَابَ عَلَيْهِمْ اللَّهُ مِنْهُمْ وَعَوَّظَ رَحِيمٌ (٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَوْا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَلَّتْ عَلَيْهِمْ أَسْمُهُمْ وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه تَبِيتُ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَرُوبُ الرَّحِيمُ (٦٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١) .

قال كعب . والله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد إذ هدانى الله للإسلام أعظم من يسى من صدقنى رسول الله ﷺ ، أن لا أكون كذبتة فأهلك كما أهلك الدين كذبو ، إن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد فقال الله تعالى

(١) التوبة ١١٧ - ١١٩ .

﴿ سَيَخْلُقُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَعْرَضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا أَرَأَيْتُمْ جَزَاءَ بَاطِلٍ إِذَا كَانُوا يُكَسَّبُونَ ﴾ (٩٥) يَخْلُقُونَ لَكُمْ لَعْرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴿ (١) .

قال كعب : كنا حلما أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله حين خلقوا له هبايمهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قصى الله تعالى فيه بذلك قال الله تعالى :
﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ .

وبين الذي ذكر مما حلما تحلما عن الغزو ، وإنما هو تحليمه إيان وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه ، « متمق عليه » .
(وهي روايه) أن النبي ﷺ ، خرج في غزوة تبوك يوم الخميس ، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس .
وهي رواية ، وكس لا يقدم من سمر إلا نهار في الضحى ، فإذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس فيه .

الاستعمار والتوبة :

ومن عناصر التوبة الاستعمار :

يروى علقمة ويروى لأسود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم ، أنه قال في كتاب الله عز وجل آيات ما أدب عبد دنيا فقرأهما واستعمر الله عز وجل إلا عمر الله تعالى له

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاسِحَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ فَمَا لَهُ إِلَّا أَنْ يَصْرِفَهُ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ وَمَنْ يَعْلَمِ لَوَاظِمَاتِ اللَّهِ ﴾ (١٣٥) ﴿ (٢) .
وقوله عز وجل :

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (١٣٦) .

(١) التوبة ٩٥ - ٩٦

(٢) آل عمران ١٣٥

(٣) سورة التماء ١١٠ وانظر كتاب إحياء علوم الدين

ولقد قال ﷺ في شأن الاستعمار الخالص .

« من أكثر من الاستعمار جعل الله عز وجل له من كل هم خرج ومن كل ضيق مخرج ، ورزقه من حيث لا يحتسب »

وهذا الحديث الشريف يسير في اسجاع مع قوله تعالى :

﴿ قُلْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١) يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (٢) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَجْعَلَ لَكُمْ خِزَانًا وَيَخْفِضَ لَكُمْ أَنْهَارًا (٣) ﴾ .

وقوله تعالى على لسان نبي الله هود :

﴿ يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُرْزُقْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُرُونِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢) ﴾ (١) .

والاستعمار مستحب في كل الأوقات وإن لم يكن ذنب يقول الله تعالى في إطلاق لا تحديد هيه .

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣٠) ﴾ (٢)

ومع هذا الإطلاق العام فإن الله سبحانه وتعالى ذكر (الأسحار) باعتبارها من الأوقات التي يستعمر فيها المتصور ، ومن أجل ذلك فإن الذين يستيقظون في ثلث ليل لأحير حريصين على انتهاز فرصة برزول ربنا إلى سماء الدب منادي الأهل من مستعمر فأعمره ، الأهل من تائب فأتوب عليه الأهل من سائل فأعطيه .

يخصصون دائما أوقات لأسحار بالاستعمار مع استعمارهم كلما تمص الله عليهم بتهيئة لفرصة لاستعمارهم ، يقول تعالى

﴿ رُبُّنَا لِلنَّاسِ حُبُّ لَشَهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ وَالْجَلِ الْمَسْوُومَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرَّةِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حِزْنُ الْمَآبِ (١٠) قُلْ أُوْثِقْتُكُمْ بِعَهْدِي مِنْ ذَلِكَ وَلَكُمْ يَلَدِينَ أَعْدَاءُ رَبِّهِمْ خِزَانٌ مَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِجْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْأَعْيَادِ (١١) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمَّا فَأَغْفِرْ لَنَا دُورَنَا وَنَنَا عَذَابَ النَّارِ (١٢) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْعَانِينَ وَالْمُعْمَلِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (١٣) ﴾ (٣) .

(٢) النسر : ٣

(٣) هود : ٥٢

(١) موح : ١٢

(٤) الأعراف : ١٥ - ١٧ وقد ذكرنا منعمين الأيات من لؤلؤ رين للناس لتصوير الجو الروحي كسلا

وكان رسول الله ﷺ ، يقول في استغفاره فيما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة ، رضى الله عنه .

« اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي ، وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني .
لهم اعمر لي هزلي وجدي وحطتي وعمدي ، وكل ذلك عندي اللهم اعمر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني . أنت المقدم وأنت على كل شيء قدير » .

ومن دعاء رسول الله ﷺ الحميل
« اللهم اجعلني من الذين إذ أحسوا استبشروا وإذا أسأؤوا استغفروا »
وسيد الاستغفار هو ، كما أخبر لصديق المصدق صلوات الله وسلامه عليه .
« اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عندك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بسعيتك على ، وأبوء بدسيسي ، فاغفر لي : فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

ويروى الإمام الغزالي عن بعض العلماء أنه قال .
العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما إلا الاستغفار والحمد
ويروى عن قتادة رحمه الله قوله .
القرآن يدلكنم على ذائكنم ودوائكنم ، أما دوائكنم فبالذنوب ، وأما دوائكنم
فبالاستغفار .

صلاة التوبة :

ومما يعين على قبول التوبة إن شاء الله القريب المجيب ، ترحيم التودد أن يصلي الإنسان ، بين يدي توبته صلاة التوبة وهي : في أصح رواياتها - كما يلي :
عن أبي بكر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول
« ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيطهر ، ثم يصلي ، ثم يستغفر الله إلا غفر الله له » ثم قرأ هذه الآية :

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا قَاسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا ذُنُوبَهُمْ وَمِنْ يَمْغُرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوْا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

رواه ابن حبان في صحيحه ، والبيهقي ، وذكره ابن حزيمة في غير سناد .

(١) آل عمران : ١٢٥

فإذا ما كان الاستفسار ، وتوافرت بقية شروط التوبة أصبح الإنسان في درجة البراءة من الذنوب والآثام وإن من حصافة الرأي ، واترن العقب ، أن يجعل الإنسان بالتوبة الحالصة النصوح حتى لا تحيط به الخطيئة فيكون من الخاسرين . وذلك أن السيئة تترك أثرا أسود ، أو نقطة سوداء في القلب ، وهذه النقطة السوداء تسهل الإقدام على المعصية الثانية ، وهكذا ، وكلما كثرت النقاط السوداء ، وكلما اتسعت ظلمة القلب كلما سهلت المعاصي والذنوب حتى تعم ظلمة القلب كله . وهنا تكون إحاطة الخطيئة التي يقول الله تعالى في صدحها

﴿ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (٨٧) ﴿ (١) . ومثل هذا ، لا رجاء في نجاته والعياد بالله فعلى الإنسان أن يجعل بالتوبة حتى يسجو من إحاطة الخطيئة ، وحتى يسجو من عذاب الله ، وحتى يسجو من الشقاء الذي يحيط بالإنسان بسبب معاصيه .

والتوبة أنواع :

منها توبة العامة وهي من الذنوب والآثام وهي فرص على المذنب .
ومنها توبة الصالحين : وهي من الغفلة عن الله إنيهم لا يدنيون ، فتوبتهم إنما هي من الغفلة .

أما الدرجة العليا من التوبة فهي توبة المقربين ، وتوبة الأنبياء والرسل ، وهم لا يتوبون من المعاصي ولا من الغفلة ، وإنما يتوبون توبة عبادة إنيهم يتوبون لأن الله مر بالتوبة ، وهم يكثرون من التوبة لأن الله سبحانه ، يحب الرجوع إليه في كل حين

ولقد كان رسول الله ، ﷺ ، يتوب إلى الله ويستغفره في كل يوم مرات تتراوح بين الصبعين والمائة ، ولقد حقق بذلك طريقا من لطرق الكثيرة إلى حب الله يضاف إلى الطرق الأخرى التي سلكها لحيه سبحانه ، يقول تعالى

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّابِينَ ﴾ (٢) .

أي يحب الذين يرجعون إليه كثيرا . وفي كل حال ، تائبين توبة عبادة ، متطهرين تطهر ثرق .

(٢) البقرة : ٢٢٢

(١) سورة البقرة : ٨١

فإذا ما كانت التوبة الحاصلة النصوح ، فقد تم الصلح مع الله سبحانه ،
ومتى تم الصلح مع الله سبحانه ، فإنه يهبى للإنسان أسباب الطمأنينة هي الدنيا
والآخرة .

أما في الدنيا فإن ذلك يكون في صور كثيرة منها :

١ - سعة الرزق . وقد رأينا أن الله سبحانه ، رتب على الاستغفار الحاصل : سعة
كبيرة في الرزق .

﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ رَيبٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ خُزُنًا وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (١)

وابصاً ﴿ وَيَرْدِّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾ (٢) .

كل ذلك بسبب الاستغفار لحاصل

٢ - وما من شك في أن إلهير يعدى كما أن الشر يعدى ، فإذا أصلح الله أمر
إنسان بالتوبة ، فإن المحيط به من أس واسعة وروح وإحوة ، يعيدهم الخير قليلا
أو كثيرا فيأسون بالنائب ، كل بحسب استعداده .

٢ - وإذا أصلحت ما بينك وبين الله ، أصلح الله ما بينك وبين الناس

٤ وإذا أكثر الإنسان من اتوبة فإن الله يحبه إن الله يحب التوابين

أما إذا نظرت من زاوية الآخرة فإن النائب قدم الوسيلة للمعفرة وسلك
العنيل لنيرة ، وليس ذلك بالأمر الهين .

ويسمى بعد ذلك أن يعمل صحيحه نبيصاء بصالح الأعمال

كيف يمشوها ٩

* * *

(٢) هود ٥٢

(١) نوح ١٢

الفصل الثانى

فى الذكر

من البراءة إلى التقوى :

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾^(١) .

إلى أولياء الله هم

١ - الذين آمنوا .

٢ - وكانوا يتقون .

وهؤلاء ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ولهم فضلا عن ذلك ، لبشرى في هذه الحياة الدنيا ، وفي الحياة الآخرة

ولن يبدل الله وعده لهم ، لأنه لا تبدل لكلمات الله ، ومن فاز بذلك فقد نال الفوز العظيم في الدنيا والآخرة .

كيف يكون الإنسان من أولياء الله ؟

كيف يصل إلى التقوى ؟

ما الطريق ؟

أما الطريق ، بعد التوبة وإحلاص لدين الله ، فيرسمه حديث قدسي شريف رواه الإمام البخاري في أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى .

والحديث يبدأ مطمئنا لأولياء الله ، مبينا لهم مباشرة ، أن من عاداهم فإن الله يعلن عليه الحرب ، وذلك لأنهم حرب الله ، هالمة على لهم معاد لله ، يقول تعالى في هذا الحديث القدسي :

« من هادن لي ولما فقد أدبته بالحرب »

ومن الطبيعي أن يعلن الله لحرب على من عادى أولياءه .

وقد أعلن الله الحرب في أسلوب صريح على طائفتين من الناس .

١ - الطائفة الأولى طائفة المرابين ، يأمرهم الله بالتوبة ، ومن شروط

توبتهم أن يكتسبوا برؤوس أموالهم لا يظلمون ولا يظلمون

(١) سورة يونس ٦٢ - ٦٤

وإذا لم يتوبوا فإن الله سبحانه يعذبها مدوية .

﴿ فَأَدْنُوا يَحْرَبُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (١)

٢ - والطائفة الثانية التي أعلن الله لحرب عليها هي هؤلاء الذين يعادون أولياء الله بلسانهم أو بفعلهم .

وأولياء الله هم المؤمنون المتقون ، فمر عادي للمؤمن ، يلتقى ، فإن معنى ذلك أن نمسه قد تمحصت للشر ، فكان من جند إبليس وكن من أعداء الله .

وبعد ذلك يبين الله سبحانه في الحديث لشريف كيفية الوصول إلى التقوى - بعد التوبة لحالصة لنصوح - فيقول سبحانه

« وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما اعتصمته بحبه » .

ولدرجة الأولى بعد درجة البراءة ، هي درجة التقرب

وهي درجة تقبل بأداء لفرائض ، والمرئض ليست صلاة وصياما وركعة

وحد فقط وإنما هي كل ما أمر الله به أمرا وجوبيا أو نهى عنه نهيا حراما ، كل

ذلك يسمى في عرف المنطق السليم ، فرض . إنه فرض على الإنسان أن يأتي ما

أمر الله به ، وفرض عليه أن يتنهي عما نهى الله عنه

أما الدرجة الثانية - فإنها ما عبر الله عنها بقوله في الحديث نمسه .

« وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه » .

إنها درجة حب الله للإنسان ، تنال بكثرة النوافل .

وهذه الدرجة الأخيرة لا يتأتى أن يصل الإنسان إليها إلا إذا أدى الدرجة

التي قبلها : أي أن درجة الحب لا تتأتى إلا إذا حقق الإنسان درجة التقرب

ثم يرسم الله سبحانه النتيجة الشائقة التي يتمناها كل مسلم

« فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي

يبطش بها ورجله التي يمشي بها » .

أي أن الله سبحانه يسدده ويوفقه ، ويرعاه ويشمله بعنايته في كل أمر يأتيه

وهي كل أمر يندعه .

ولا يقتصر الله سبحانه على أن يمنحه ذلك فحسب بل يعطيه أكثر من

ذلك ، يقول سبحانه في هذا الحديث الذي رواه الرسول ﷺ ، عن ربه

(١) سورة البقرة ٢٧٩

« وإن سألتني أعطيتك ، ولئن استعاذ بي لأعيده » .
 واستجاعة الدعاء : مسألة كان الدعاء ، أو استعادة ، تتحقق بتحقيق هذا
 الجو ، وهو جو الحب الإلهي بالإنسان الذي أسس على أداء الفرائض ، وكان سببه
 الإكثار من الموافق ،

تفصيل بعد إجمال :

ونبدأ الآن في الحديث عن ركن الإسلام حرصها وملكها
 أما الركن الأول وهو شهادة أن لا إله إلا الله ، وإن محمد رسول الله .
 فقد بينا الفرص فيهما بأسلوب أبي سعيد الخردز ، رضى الله عنه ، حينما
 تحدثنا عن الإخلاص .

أما العمل الخاص بهذا الركن فهو امران :
 الأول منهما هو الذكر .
 وثانيهما هو الصلاة على الرسول ﷺ ، وسأحد في حديث عن كل منهما .

الذكر

وهو العمل فيما يتعلق بـ « أشهد أن لا إله إلا الله » .
 ويتحدث الله في سورة آل عمران عن أصحاب العقول التامة الزكية التي
 استنارت بنور الهداية فيصممهم سبحانه ، مديحاً لهم ، بأنهم يذكرونه تعالى هي
 جميع أحوالهم ، يقول سبحانه :

﴿ إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَسْمَاءِ الشَّهَرِ لَا يَتْلُو فِي الْأَلْبَابِ (١) ﴾
 الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ لِيَأْمُرَ بِقُودِهِ وَعَنِ حُرْبِهِمْ وَيَتَهَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا
 خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقَدْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٢) رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ تَدْحِلِ السَّعِيرِ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا
 بِظُلَّامٍ مِنْ أَنْصَارٍ (٣) رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُبَادِيًا يُنَادِي بِالْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا
 ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (٤) رَبَّنَا وَاتَّقِنَا وَعِدَّتْنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٥) ﴿ (١)

(١) آل عمران ، ٩١ ، ٩٢

وقد حثنا سبحانه على الذكر في أسلوب آمر ، يقول سبحانه .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (١) .

وقال : ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُودًا مُخْفًا مِمَّنْ الْقَوْلَ بِالْقُدْرِ

وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٢) .

وحثنا سبحانه على الذكر في أسلوب أحاذ ، يقول سبحانه

﴿ اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ (٣) .

ولقد أخرج الإمام البخاري ، رضي الله عنه ، من حديث قتادة ، عن

رسول الله ﷺ ، فيما يرويه عن ربه قال

قال الله عز وجل « يا بن آدم ، إن ذكرتني في نفسك ذكرتني في نفسي

وإن ذكرتني في ملاء ذكرتني في ملاء حير منه ، وإن دبت مني شبرا دبت منك

ذراعاً ، وإن دبت مني ذراعاً دبت منك باعاً ، وإن أتيتني تمشى أتيتك هرولة »

ومن لسببة الذين يظلمهم الله يوم لا ظل إلا ظله

رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله

وروى البيهقي في الشعب من حديث عمر بن الخطاب

قال الله عز وجل من شعله ذكرى عن مسألتي ، أعطيته أفضل مما أعطى

المسائلين .

وقال رسول الله ﷺ ، فيما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة

« ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل ، إلا حصه بهم الملائكة

وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله تعالى فيمن عبده » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ .

« يقول الله أنا عبد ظل عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى ، فمن ذكرنى فى

نفسه ذكرته فى نفسي ، وإن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء حير منهم

وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه

باعاً ، وإن أتاني يمشى أتيت هرولة » (٤) .

(١) الأحزاب : ٤١

(٢) الأفعال جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب والآية من سورة الأعراف : ٢٠٥

(٣) البقرة : ١٥٢

(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي والسيثاني وابن ماجه ورواه أحمد بسنده بإسناد صحيح ورواه غيره من

قتادة « والله أسرع بالقبول »

وعن معاذ بن أنس رضى الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ .
 « قال الله جل ذكره لا يذكرى عبداً فى نفسه إلا ذكرته فى ملا من ملائكتى ، ولا يذكرى فى ملا إلا ذكرته فى الملا الأعلى » (١)
 وعن عبد الله بن بسر رضى الله عنه . أن رجلاً قال : يا رسول الله ، إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرنى بشيء أتشبث به قال
 « لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله » (٢) .
 وعن مالك بن يحدمر أن معاذ بن جبل . رضى الله عنه ، قال لهم : إن أحر كلام فارقت عيه رسول الله ﷺ ، أن قلت أى الأعمال أحب إلى الله ؟ قال
 « أن نموت ولسانك رطب من ذكر الله » (٣) .
 وعن أنس موسى رضى الله عنه ، قال قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

« مثل الذى يذكر (الله) ربه ، والذى لا يذكر الله ، مثل الحى والميت » (٤) .
 وعن أبى هريرة ، رضى الله عنه قال :

كان رسول الله ﷺ يسير فى طريق مكة ، فمر على جبل يقال له حمدان فقال

« ميروا ، هذا حمدان ، سبق المزدودون » .

قالوا : وما المزدودون يا رسول الله ؟

قال : « الداكرون الله كثيراً » (٥) .

وعن أم أنس رضى الله عنها قالت يا رسول الله أوصنى ، قال
 « اهجرى المعاصى ، فربها أفحص الهجرة ، وحافظى على الفرائض ، فإنها

(١) رواه الطبري بإسناد حسن

(٢) رواه الترمذي والنسائي وقال حديث حسن قريب وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه ونحاكم وقال صحيح الإسناد

(٣) رواه ابن أبى نديا والطبري واللفظ له والبراد إلا أنه قال احببى بأفضل الأعمال وأقربها إلى الله وابن حبان فى صحيحه

(٤) رواه البخاري ، ومسلم ، إلا أنه قال مثل الميت الذى يذكر الله فيه

(٥) رواه مسلم واللفظ له ، وتروى بلفظه يا رسول الله وما المزدودون قال المستهترون (أى المكثرون) بذكر الله ، يضع الذكر عنهم أفعالهم حياتون الله يوم القيامة خشاعاً

أفحص الجهاد ، واكثرى من ذكر الله ، فإنه لا تأتي الله بشيء أحب إليه من كثرة ذكره « (١) .

وفى رواية لهما عن أم أس .

« وادكرى الله كثيرا ، فإنه أحب الأعمال إلى الله أن تلقاه بها » (٢) .

عن أبي هريرة ، رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ

« إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوما

يذكرون الله سادوا . هموا إلى حاجتكم فيحجبهم بأجسحتهم إلى السماء الدنيا

قال فيسألهم ربهم ، وهو أعلم بهم ما يقول عبادي ؟

قال ، يقولون يسبحونك ، ويكبرونك ، ويحمدونك ويمجدونك

قال ، فيقول : هل رأوني ؟

قال ، يقولون لا والله يا رب ما رأوك .

قال ، يقول : كيف لو رأوني ؟

قال ، يقولون لو رأوك كانوا أشد بك عبادة ، وأشد لك تحيدا ، واكثر لك

تسبيحا .

قال ، فيقول : فما يسألوني ؟

قال ، يقولون : يسألونك الجنة .

قال ، فيقول : وهل رأوها ؟

قال ، يقولون : لا والله يا رب ما رأوها

قال ، يقول : فكيف بهم لو رأوها ؟

قال ، يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا ، وأشد لها طلبا .

وأعظم فيها رغبة

قال ، همم يتعودون ؟

قال ، يقولون : يتعودون من النار .

قال ، فيقول : وهل رأوها ؟

قال ، يقولون : لا والله ما رأوها .

[١] رواه الطبراني بإسناد جيد

[٢] قال الطبراني : أم أسى هذه - يعنى الثانية - ليست أم أسى بن مالك

قال ، فيقول : كيف لو رأوها ؟

قال ، يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا ، وأشد لها محافة .

قال ، فيقول : أشهدكم أن قد عصرت لهم .

قال ، يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة

قال : هم انقوم لا يشقى بهم جليسهم « (١) .

وعن أبي الدرداء ، رضى الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ ليعيش الله

أهوما يوم لقيامة هي وجوههم السور على منابر اللؤلؤ ، تسمعهم الناس ، ليسوا

بأنبياء ولا شهداء .

قال . هجئا أعربى على ركبتيه فقال يا رسول الله حلهم لنا يعرفهم .

قال هم المتحابون هي سبيل الله ، من قبائل شتى ، وبلاد شتى ، يجتمعون

على ذكر الله يذكرون « (٢) .

وعن أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال

« إذا مررتم برياض الجنة فارتدوا .

هالوا وما رياض الجنة ؟

قال : خلق الذكر « (٣)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال

« من جلس مجلسا كثر فيه لفظه ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ، استغفرك وأتوب إليك .

إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك « روى أبو داود والترمذى

أوقات الذكر :

وليس للذكر وقت معين؛ وذلك أن جميع الأوقات صالحة للذكر ، يقول تعالى .

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَنۢ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۖ ﴾ (٣٤) ﴿ (٤)

لقد جعل الله سبحانه جميع آناء الليل و النهار صالحة للذكر ، يقول ابن

عباس في قوله تعالى

(١) روى البخارى

(٢) روى الطبرانى بإسناد حسن

(٣) روى الترمذى وقال حديث غريب

(٤) سورة الفرقان آية ٦٢

﴿ فَإِذَا قُضِيََتُ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَن جَنَّتِكُمْ ﴾ (١)

يقول ، أى : بالليل والنهار ، فى الهر والهر ، والسفر والحضر ، والعمر والمقر ، والمرص والصحة ، والسر والعلانية
والآيات فى القرآن كثيرة تبين أن ذكر الله مستحب فى جميع الأرمة
والأمكة .

يقول صاحب الرسالة القشيرية فى ذلك

« من حصائص الذكر أنه غير مؤقت بل ما من وقت من الأوقات إلا
ولعبد مأمور بذكر الله إما هرصا ، وإما ندى ، والصلاة وإن كانت أشرف
لعبادات ، فقد لا تجوز فى بعض الأوقات ، و لذكر بالقلب مستدام فى عموم
الحالات

قال لله تعالى

﴿ لَدَيْسَ يَدْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَن جَنَّتِهِمْ وَيَتَكَبَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمُوبِ
وَالْأَرْضِ رِينَا هَآ حَلَقْتَ هَآ بَاطِلًا سَبَّحْتَ فَصَا عَدَبُ الدَّر (٢) ﴾

كل هـ أدى بالإمام القشيري إلى أن يقول معبرا عن الجو لصادق :
« والذكر ركن قوى فى طريق الحق سبحانه وتعالى ، بل هو العمدة فى هـ
الطريق ، ولا يصل أحد إلى الله ، لا بدوام لذكر » .
ومن المعروف أن الذكر على صريين
ذكر المسند ،
وذكر لقلب

فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب .

والتأثير لذكر القلب

ويقول الإمام القشيري :

فإذا كان العبد ذاكر بلسانه وقلبه ، فهو لكامل فى وصفه فى حال سبوكه
وأما بعد فقد روى الإمام مسلم عن السيدة عائشة رضى لله عنها قالت
كان رسول الله ﷺ ، يذكر الله على كل أحيانه .

(١) النساء آية ١٠٣ . (٢) آل عمران آية ١٩١ .

صيغ الذكر

(أ) الاستعمار :

ويستدئ الذكر بالاستعمار (١)

وعن الاستعمار يقول رسول الله ﷺ ، فيما رواه عبد الله بن عباس
« من لزم الاستعمار جعل الله له من كل هم هرجا ومن كل ضيق مخرجاً
ورقه من حيث لا يحتسب » رواه أبو داود ، ولنسائي ، وابن ماجه ، والحاكم
وابيهن .

ومن صيغ الاستعمار :

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَ وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢٣) ﴿ (٢)

ومنها

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٨٧) ﴿ (الأنبياء آية ٨٧)

ومنها

« اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاعمر لي
معصرة من عندك ، وارحمني ، إنك أنت الغفور الرحيم » .
سيد الاستغفار الذي سبق أن ذكرناه (٣) .

(ب) قراءة القرآن :

ومن الذكر قراءة القرآن .

عن عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه فيما رواه الترمذي رضى الله عنه ،

قال

قال رسول الله ﷺ .

« من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها لا
أقول ، ألم ، حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »

(١) تحدثنا عن الاستعمار فيما مضى فلا يطيل الحديث عنه هنا

(٢) الأعراف آية ٢٣

(٣) وهو : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر
ما صنعت ، أبوء لك بمعمتك على ، وأبوء بذنبي فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت

في صحيحيهما ، والحاكم باختصار عن أبي هريرة عن أبي ، وقال الحاكم صحيح على شرطه مسلم .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول
قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدى
ما سأل .

وهي رواية : « فنصفها لي ونصفها لعبدي » .
فإذا قال العبد : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قال الله حمدنى عبدي
فإذا قال ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ قال أشى على عبدي
فإذا قال : ﴿ مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ قال : معدنى عبدي
فإذا قال : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدى
ما سأل .

فإذا قال : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ صراط الدين أنعمت عليهم غير
المغصوب عليهم ولا الصَّالِي ﴾ قال هذا لعبدي ، ولعبدى ما سأل « روه مسلم

الماحة وخواتيم سورة البقرة :

عن ابن عباس رضى الله عنه قال

سما حبريل عليه السلام قاعد عند النبی ﷺ سمع نقيصا من فوقه هرع
رأسه ، فقال هدا باب من لسماء فتح لم يمتح قط إلا اليوم ، فبرل منه ملك ،
فقال هدا ملك نزل إلى الأرض ثم برل قط إلا اليوم ، فسلم ، وقال
« أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك هاتحة الكتاب ، وخواتيم
سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته »

رواه مسلم والسنائي ، والحاكم وقال صحيح على شرطهما « النقيص
بالعجمة : هو الصوت .

البقرة وآل عمران :

عن أبي أمامة البهلي رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول

أقربوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، أقربوا الزهراوين
البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان - أو غيايتان -
أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما أقربوا سورة البقرة ، فإن
أحدها بركة وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة » .

الغيايتان مشى غياية ، وهى كل شئ أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة

قال معاوية بن سلام بلغنى أن البطلة السحرة . رواه مسلم .

وعن أسيد بن حضير رضى الله عنه أنه قال . يا رسول الله ، بيما أنا أقرأ
الليلة سورة البقرة إذ سمعت وجبة من خلفي فظننت أن فرسى انطلق فقال
رسول الله ﷺ :

« اقرأ أبا عتيك » فالتمت ، فإذا مثل المصباح مدلى بين السماء والأرض
ورسول الله ﷺ يقول ، « اقرأ أبا عتيك » فقال يا رسول الله هما استطعت أن
أمضى ، فقال رسول الله ﷺ :

« تلك الملائكة نزلت لمرة سورة البقرة ، أما إليك لو مضيت لرأس
لعنائب » رواه ابن حبان فى صحيحه ، ورواه البخارى ومسلم ، من حديث أبى
سعيد بن جوحه .

عن ابن مريدة عن أبيه رضى الله عنه مرهوعا : « تعلمو البقرة، وآل عمران
فإنهما الزهراوين يظلال صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو غيايتان ، أو
فرقان من طير صواف » ، رواه الحاكم ، وقال صحيح على شرط مسلم .

سورة الكهف :

عن أبى سعيد الحدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال

« من قرأ الكهف كما أنزلت كانت له مورا يوم القيامة من مقدمه إلى مكة .
ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يملك عليه ، ومن توضأ ثم قال :
سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، كتب فى رقى ، ثم
طبع بطابع فلم يكسر إلى يوم القيامة »

رواه الحاكم وقال . صحيح على شرط مسلم .

وعن أبي سعيد الحدرى رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال
 « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين »
 رواه الحاكم مرفوعاً وموقوفاً وقال : صحيح الإسناد .

سورة يس :

عن معقل بن يسار رضى الله عنه . أن رسول الله ﷺ قال :
 « قلب القرآن يس ، لا يقرؤها رجل يريد الله ودار الآخرة إلا غفر الله له ،
 أقرموها على موتاكم » .
 رواه أحمد وأبو داود والبيهقي ، ولفظ له ، وابن ماجه والحاكم وصححه .

سورة الملك :

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال :
 « إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذى
 بيده الملك » .
 رواه أبو داود ، والترمذى .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « وددت أنها
 في قلب كل مؤمن » يعنى تبارك الذى بيده الملك .
 رواه الحاكم وقال : هذا إسناداه عند اليمانيين صحيح

سورة التكويد وسورة الانصار وسورة الانشقاق

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ
 « من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى العين فليقرأ : إذا الشمس
 كورت ، وإذا السماء انفطرت ، وإذا السماء انشقت » .
 رواه الترمذى ، وعمره

سورة الزلزلة ، وسورة الإخلاص ، وسورة الكافرون :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ

« إذا رُلزلت تعدل نصف القرآن ، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن » .

رواه الترمذى ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه

« هل تروحت يا هلال ؟ » قال ، لا والله يا رسول الله ولا هدى ما أتزوج

به ، قال : « أليس معك قل هو الله أحد ؟ »

قال بلى ، قال « ثلث القرآن » قال « أليس معك إذ جاء نصر الله

والفتح ؟ » قال بلى ، قال : « ربع القرآن » .

قال « أليس معك قل يا أيها الكافرون ؟ » قال بلى ، قال « ربع القرآن »

قال : أليس معك « إذا رُلزلت لأرض ؟ » .

قال بلى ، قال : « ربع القرآن ، تروج ، تزوج » .

رواه الترمذى عن سلمة بن وردن عن أنس ، قال - هذا حديث حسن .

سورة التكاثر :

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ

« ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية كل يوم ؟ » قالوا : ومن يستطيع ذلك ؟

قال « أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألفهاكم التكاثر » رواه الحاكم

سورة الإخلاص أيضا :

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ

« احششوا ، هانى سأقرأ عليكم ثلث القرآن فحشش من حشش ، ثم خرج

النبي ﷺ فقرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ثم دحس ، فقال بمصنا لمصنا إنا نرى هدا

حسرا حاه من السماء فبدلك الذى أدخله ، ثم خرج بين الله ﷺ فقال « إني قلت

لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا إنها تعدل ثلث القرآن » رواه مسلم ، والترمذى

وعن عائشة رضى الله عنها أن نبي ﷺ ، بعث رجلا على سرية وكان

يقرا لأصحابه فى صلاتهم فيحنتم بقل هو الله أحد ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي

ﷺ ، فقال .

« سلوه لأى شىء يصنع ذلك ؟ » سألوه ، فقال لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال النبى ﷺ « أخبروه أن الله يحب » رواه البخارى ، ومسلم ، والنسائى

ورواه البخارى أيضا والترمذى عن أنس أطول منه وقال هو آخره - فلما أتاهم النبى ﷺ ، أخبروه الخبر ، فقال « يا هلال ، ما يسمعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك ؟ وما يحملك على ثروم هذه السورة في كل ركعة ؟ » فقال إني أحبها ، فقال « حيك إياها أدحك الجنة » .

المعوذتين :

عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قل أعوذ برب العلق ، وقل أعوذ برب الناس » رواه مسلم .

وعن عبد الله بن حبيب رضى الله عنه قال :

قال لى رسول الله ﷺ اقرأ ، فن هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفك من كل شىء . رواه أبو داود والترمذى وقال . حسن صحيح

وكما بدان الحديث عن القرآن بذكر فضله فيها بحتمه أيضا بأحاديث هي قصه

عن عثمان بن عفان رضى الله عنه - فيما رواه الشيخان - عن النبى ﷺ قال

حيركم من تعلم القرآن وعلمه .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ

« يقول الرب تبارك وتعالى من شغله القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما عطى السائلين ، وفصل كلام الله على سائر الكلام ، كفصل الله على خلقه » رواه الترمذى .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ

« الماهر بالقراءة مع السمرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتعتع فيه

وهو عليه شاق - له أجران ، وهي رواية « والذي يقرؤه وهو يشتد عليه له أجران » رواه البخاري ، ومسلم ، ولفظ له .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال

« يجرى صاحب القرآن يوم القيامة ، فيقول يا رب حلّه فيلس تاج الكرامة ، ثم يقول يا رب رده ، فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقول يا رب ارض عنه ، فيرضى عنه ، فيقال له اقرأ وارق ، ويزداد بكل آية حسنة » رواه الترمذي ، وحسنه ، وابن حزيمة ، ولحاكم ، وقال صحيح الإسناد

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال .

« من قرأ القرآن فقد استدرج البوة بين جبيه ، غير أنه لا يوحى إليه لا ينفى لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ولا يصهل مع من جهل ، وهي جوفه كلام الله » .

رواه الحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

وعن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ .

« من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به ألبس والده يوم القيامة تاجاً من نور صوره مثل الشمس ، ويكسى والدها حلتي لا يقوم بهما الدنيا فيقولان : بم كسيما هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن » رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

والفائدة بدما وختاما :

عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال : كنت أصلي بالمسجد هدماني رسول الله ﷺ فلم أحبه ثم أتيت هقلت يا رسول الله ، إني كنت أصلي ، فقال ألم يقر الله تعالى ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ (١) .

ثم قال : « لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد » فآخذ بيدي ، فلما أردنا أن نخرج ، قلت : يا رسول الله ، إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة في القرآن ؟ قال : الحمد لله رب العالمين هي سبع المثاني ، والقرآن العظيم الذي أوتيته « رواه البخاري ، وأبو داود والبيهقي ، وابن ماجه .

(١) الأنعام ٦٤

ويعد : فيقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥٧) ﴿ (١) .

ويقول تعالى

﴿ أَلَمْ يَلْمِزْهُمُ اللَّهُ لِدَلْوِكَ الشُّخْصِ إِنِّي غَسَّ السَّلِيلَ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (٧٨) ومن السَّلِيلِ فَيَهْجِدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَمَى أَنْ يَنْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (٧٩) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ (٨٠) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنْ الْبَاطِلُ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٨١) وَتَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (٨٧) ﴿ (٢) .

ويقول تعالى .

﴿ لَوْ أَسْرَفْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جِبِلٍّ لَأَرَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٧١) ﴿ (٣) .

وتأمل في قوله تعالى

﴿ وَمَا كَانَ لِيُشِيرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ الْإِلَهِ الْأَوْحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَرْدَهُ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ ﴾ (٥٠) ﴿ (٤) .

إنه سبحانه يصف نفسه بهدين الوصفين الجليلين : على ، حكيم .

هذان الوصفان الجليلان يصف الله سبحانه بهما القرآن الكريم فيقول .

﴿ حَمْدٌ ۝ وَكِتَابٌ الْمُنِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ۝ (٤) ﴿ (٥) .

(١) يونس آية ٥٧

(٢) لامراء آية ٧٨ - ٨٢

(٣) الحشر آية ٧١

(٤) الشورى آية ٥١

(٥) الخوف آية ١ - ٤ ولقد تحدثنا عن القرآن في الجزء الأول من هذه السلسلة ، والمبركة إن شاء الله والحديث هنا يكمل الحديث هناك .

(ج) التهليل :

والتهليل هو ، تذكر بلا إله إلا الله .

وقد روى الترمذى بسنده عن رسول الله ، ﷺ ، أنه قال .

« حير ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير » .

وقد أخرج الإمامان : البخارى ومسلم رضى الله عنهما ، من حديث أبى هريرة ، بضر الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال

« من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، به الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقعات ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد ممن أكثر من ذلك »

وروى الإمام البخارى بسنده عن عباد بن الصامت عن النبي ﷺ ، أنه قال « من تعار من الليل ، فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ثم قال اللهم اغفر لى ، عمر له ، أو دعا ستجيب له ، فإن توضأ وصى ، قبت صلاته »
ومما وصفت به كلمة « لا إله إلا الله » أنها :

« كلمة التوحيد ، وهى كلمة الإخلاص ، وهى كلمة التقوى ، وهى الكلمة لطيفة ، وهى دعوة الحق ، وهى العروة الوثقى ، وهى ثمن الجنة ^(١) » .
وما من شك فى أن كلمة التوحيد إذا قيلت باللسان نابعة من القلب إنما تمثل التوحيد الخالص ، وكانت تعبيراً صادقاً عن

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ﴾ ^(٢) .

وكانت تعبيراً عن ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ^(٣)

وكانت تحطيماً للأصنام النفسية والمادية ، وتطهيراً للإنسان عن الشرك فى

(١) إحياء علوم الدين

(٢) سورة الإخلاص

(٣) الفاتحة : ١

جميع الوانہ ومن أجل ذلك كست عمادا من عمد الأوراد الصوفية. وعمد الأوراد الصوفية :

١ - استغفار .

٢ - وتوحيد : لا إله إلا الله ، .

٣ - وصلاة على الرسول ﷺ .

فهي تمثل الأوراد الصوفية بل تمثل الثلث الأساسي ، فبدونها لا يتحقق السلوك إلى الله على أى وضع من الأوضاع .

وسنتم هذا بحديث الإمام البخاري ، فقد روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال :

قلت : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟

قال رسول الله ﷺ

« لقد طست يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك »

رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله حالصا من قلبه ، أو نفسه »

وبحديث الحاكم الذى قال عنه أنه صحيح الإسناد :

أفضل الذكر : لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله .

ومن كلام الإمام العراقي :

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل لا إله إلا الله حالا ومقالا ،

وظاهر وباطنا ، حتى نودع الدنيا غير ملتصين بها ، بل مهترمين بها ومحبين للقاء الله ، فإن من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه .

التسبيح والتحميد والتكبير والحوقة

يقول الله تعالى :

﴿ سُبِّحْ لَهُ لَسَّمَوَاتُ السَّمْعِ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمٌ عَفُورٌ ﴾ (١) ﴿ (١)

ويقول سبحانه :

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ (٢) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُودِ ﴿ (٢)

يقول الله تعالى :

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (٣) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿ (٣)

ويقول

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (٤) ﴿ (٤)

ولآيات القرآنية الكريمة تقرر التسبيح ولتحميد تارة ، وتفردهما أخرى ، أم الأحاديث النبوية لشريفة ، فإنها أيضا تقرر التسبيح بالحمد تارة ، وتفردهما أخرى ، وتتحدث كثيرا عبيها مع التهليل والتكبير والحوقة ومن أجل ذلك سنتحدث عنها مجتمعة مبينين مكانتها في الذكر عن طريق الأحاديث الشريفة ولقد أحبر الله سبحانه وتعالى من أهل الجنة قائلا

﴿ دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ دَعَاؤُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥) ﴿ (٥)

(١) الاسراء آية ٤١

(٢) ق ية ٢٩ - ١٠

(٣) الطور آية ١٨٠ - ٤٩

(٤) النمر آية ٣٠

(٥) يونس آية ١٠

ولقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وحمد ثلاثا وثلاثين ، وكبر ثلاثا وثلاثين ، وختم المائة بـلا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر » (١)

وعن جابر رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله » (٢) .

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي ﷺ : « التمسبح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخصص إليه » (٣) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » (٤)

وهو أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بأحب الكلام إلى الله ؟ قلبي : يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله ، فقال : « إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده » (٥) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من قال سبحان الله وبحمده ، في يوم مائة مرة ، غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر » (٦) .

وعن سليمان بن يسار رضى الله عنه ، عن رجل من أنصار أبي السبي ﷺ قال : « قال نوح لابنه : إني أوصيك بوصية وقاصرها لكي لا تتساهل أوصيك باثنتين ، وأنهاك عن اثنتين : ما اللتان أوصيك بهما فيستبشر الله بهما ومصابيح خلقه ، وهما يكثران الولوج على الأرض ، أوصيك بلا إله إلا الله فإن السموات

(١) روى الإمام مسلم

(٢) روى ابن ماجه ، والنسائي ، وابن حبان في صحيحه

(٣) روى الترمذي

(٤) روى البخاري ومسلم

(٥) روى مسلم ، والنسائي ، والترمذي

(٦) روى مسلم والترمذي

والأرض لو كانتا حلقة قصبتهما ولو كانتا في كمة وربتهما ، وأوصيك سبحانه الله ويحمده ، فإيهما صلاة الخلق ، وبهما يزرق الحلق ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حيم غمورا ، وأما اللتان أهلك عليهما فيصحب الله بهما وصالح خلقه أهلك عن الشرك والكبر » (١) .

وعن مصعب بن سعد رضي الله عنه قال : حدثني أبي ، قال كنا عند رسول الله ﷺ ، فقال : « أيما أجر أحذركم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ؟ فسأله سائل من جلسائه كيف يكسب أحذركم ألف حسنة ؟ قال يسبح مائة تسبيحة فكتب له ألف حسنة ، أو تحط عنه ألف خطيئة » (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لأن أقول سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، أحب إلى مما طلعت عليه الشمس » (٣) .

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أحب لكلام إلى الله أرفع » سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، لا يضرك بأيمن بدأت » (٤) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لقيت إبراهيم عليه السلام ، ليلة أسرى بي ، فقال يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن أحنه طيمة الترية عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن عراسها سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » (٥) .

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن ناسا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور بالأجور ، يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم ، قال : « أليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ؟ إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل

(١) دواء النسائي والبرار وقال الحاكم : صحيح الإسناد

(٢) رواه مسلم والترمذي وصححه ، والنسائي

(٣) رواه مسلم و ترمذي

(٤) رواه مسلم ، وابن ماجه

(٥) رواه الترمذي

تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وأمر بالمصروف صدقة ، وبهى عن منكر صدقة ، وفى يسمع أحدكم صدقة » .

قالوا : يا رسول الله آياتى أحديا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : « أرأيتم لو وضعها فى حرام كان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر »^(١) .
وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ
« استكثروا من الباقيات الصالحات » قيل : وما هن يا رسول الله ؟ قال
« التكبير ، والتهيل ، والتسبيح ، و الحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله »^(٢)

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال :
« إذا حدثتكم بحديث أتياكم بتصديق ذلك فى كتاب الله : إن العبد إذا قال
سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، وتبارك الله ، قبض عليهن
ملك فضمهن تحت جناحه ، وصعد بهن لا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا
استغفروا لمآثلهن ، حتى يحيط بهن وجه الرحمن ، ثم تلا عبد الله
﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾^(٣) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ
« إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » .

قلت : يا رسول الله ، وما رياض الجنة ؟
قال : « المساجد » .

قلت : وما الرتع ؟

قال : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر »^(٤) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ - أو من يدعى
إلى الحصة الدين يعمدون الله عز وجل فى السراء والضراء^(٥)

وعن جويرية رضى الله عنها : أن النبى ﷺ خرج من عندها ، ثم رجع بعد

(١) روى مسلم وابن ماجه ، الدثور ، بضم الدال - جمع نثر - يمتعه - وهو لقال الكثير ، والبضع يضم الموحدة وهو الجمع وقيل هو الفرج نفسه

(٢) روى أحمد ، وأبو يعلى ، والنسائى

(٣) روى الحاكم ، وهو صحيح الإسناد

(٤) روى الترمذى

(٥) روى أبى أبى الدنيا ، والبراز ، والطبرانى

أن أضحي وهي جالسة فقال : « ما زلت على الحال التي فارقتك عليها » قالت نعم ، قال النبي ﷺ :

« لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ومدد كلماته (١) »

وعن أبي أيوب رضي الله عنه قال : قال رجل عند رسول الله ﷺ الحمد لله حمدا كثيرا مليا مباركا فيه ، وبأي أنه قد هجم من رسول الله ﷺ على شيء يكرهه ، فقال رسول الله ﷺ : « من هو ؟ فإنه لم يقل إلا صوابا » فقال الرجل إنما قلت يا رسول الله أرجو بها الخير ، فقال : « ولدي تسمى بيده لقد رأيت ثلاثة عشر ملكا يبتدرون كلمتك أيهم يرضونها إلى الله تبارك وتعالى » (٢) .

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له : قل لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كنز من كنوز الجنة » (٣) .

وعن أبي در رضي الله عنه قال : كنت أمشي خلف نبي ﷺ ، فقال لي : يا أبا در ، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ قلت : بلى قال : « لا حول ولا قوة إلا بالله » (٤) .



وبعود إلى التسميع من جديد

يقول الله تعالى في سورة الإسراء :

﴿ تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا غَلُوبًا ﴾ (٥)

وهي معنى هذه الآية الكريمة يقول لله تعالى في أول سورة الحديد :

(١) رواه مسلم وأبو داود ، والسنن ، وابن ماجه ، والترمذي

(٢) رواه ابن أبي الدنيا ، والطبراني بإسناد حسن ، واللفظ له ، والبيهقي

(٣) رواه البخاري ، ومسلم وأبو داود ، والترمذي والنسائي ، وابن ماجه

(٤) رواه ابن ماجه ، وابن أبي الدنيا ، وابن حبان في صحيحه

(٥) سورة الإسراء آية ٤٤

﴿سَبِّحْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) ﴿ (١)

ويقول سبحانه في أول سورة الحشر :

﴿سَبِّحْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢) ﴿ (٢)

واحتج الله تعالى سورة الصف ، وسورة الجمعة ، وسورة التغابن بالإحبار

عن تسبيح الكون له سبحانه .

ويقرن علماءنا الأعلام رضى الله عنهم بين التسبيح لله سبحانه وبين

لسجود له ، وكما أخبر الله سبحانه بأن الكون كله ونباته وحيوانه ، وحنه وإنسه

وملائكته يسبح له سبحانه فإنه أحبر أن لكون أيضا بما فيه ومن فيه يسجد له

تعالى ، بقول سبحانه :

﴿أَمْ تَرَأَى أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ

وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدُّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن

مُكْرَمٍ إِنَّ اللَّهَ يَقَعْلُ مَا يَشَاءُ﴾ (٣) ﴿ (٣)

والواقع أن تسبيح لله تسبيحا حقيقيا ، وتسجود له سجودا صادقا ،

يرتبطان في وحدة مسجمة فيعبران عن التنزيه القلبي لحالص .

وآيات القرآنية الكثيرة المتعلقة بالتسبيح والمتعلقة بالسجود تتكاتف كلها

لتدل دلالة بيبة على أن لحياة مبيثة هي جميع أجراء العالم ، سارية في كل خلية

من حلایاه ، وفي كل ذرة من دراته .

ويؤيد ذلك الأحاديث التي وردت بتسبيح الحصى وحنين الحذع

يقول الإمام ابن كثير

وفي حديث أبي در أن النبي ﷺ ، أخذ في يده حصيات فسمع لهن تسبيح

كطنين النحل ، وكذا في يد أبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ، وهو حديث

مشهور في المسانيد .

ولقد قطع الله الطريق على كل من يعارى في تسبيح النبات والجماد بقوله :

﴿وَابْشُرْ بِشَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُوا سُبْحَهُمْ ..﴾ (٤) ﴿ (٤)

(١) الحشر ١

(٢) الحديد ١

(٣) الإسراء ٤٤

(٤) الحج ١٨

وتسبيح الله ، تزيهه سبحانه عن الشريك في الخلق وعن الشريك في القدرة أو الإرادة أو المنع أو المنع ، إنه التوحيد .

توحيد الله بالحمد العام المطلق ، وبالشكر الشامل التام :

كل ما في الكون يسبح ، والله سبحانه وتعالى يقول

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْطُّيُورُ صَالِّاتٌ كُلُّ قَدْ عَمَّ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٤١) ﴿ (١) .

ولقد أجمل الله سبحانه تسبيح الجمادات وفصله ، واستعمل في ذلك صيغة

« سبح » وصيغة « تسبح » وصيغة « يسبح » .

فمن صبح لما صبح .

﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٤٢) ﴿ (٢) .

ومن صبح المضارع :

﴿ يَسْبُحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَبِهِ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴾ (٤٣) ﴿ (٣) .

ومن أمثلة التفصيل قوله تعالى عن الجبال

﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ (٤٤) ﴿ (٤) .

والرعد يسبح .

﴿ وَيَسْبُحُ أَرَعُدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ (٤٥) ﴿ (٥) .

وستنقل إلى الكائنات المورانية التي لا يعترفها شك في تزيه الله سبحانه

ومع ذلك فهي تسبح ، تنتقل إلى الملائكة ، يقول تعالى

﴿ فَإِنْ سَكَتُوا فَأَعِدْ لَهُمْ نَارَ سَعِيرٍ ﴾ (٤٦) ﴿ (٦) .

(١) سورة النور آية ٤١

(٢) سورة الحديد آية ١

(٣) سورة القنابن آية ١

(٤) سورة من آية: ١٨

(٥) سورة الرعد آية ١٣

(٦) سورة فصلت آية ٢٨

ويقول سبحانه .

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (٧) ﴿ (١) .

ويقول :

﴿ رَتَبَ الْمَلَائِكَةُ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ
وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٧٥) ﴿ (٢) .

أما الإنسان فقد فصل الله سبحانه وتعالى الأمر بالنسبة إليه تفصيلا
جميلا

لقد أمر سبحانه بالتسبيح أرقى المحنوقات وهم الأنبياء والرسل ، ولقد قل
سبحانه لرسوله الكريم سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه .
﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (٩٨) ﴿ (٣) .

وقال .

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ
خَبِيرًا ﴾ (٥٨) ﴿ (٤) .

وأمر سبحانه جميع المؤمنين به فقال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوا بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (٤٢) ﴿ (٥) .
وقال

﴿ وَإِنَّ لِحَقِّ الْقِيَمِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ (٥٢) ﴿ (٦) .

وقال :

﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ (٧) ﴿

(١) سورة غافر آية ٧ (٢) سورة الزمر آية ٧٥

(٣) سورة الحجر آية ٩٨ (٤) سورة لقمان آية ٥٨

(٥) سورة الأحراب آية ٤٢ (٦) سورة بقره آية ٥١ ٥٢

(٧) الأعلى ٢

وجعله علامة الإيمان

﴿ إِنَّمَا يُرْمِىُ بِآيَاتِكَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (١٥) ﴿ (١) .

وبين الله سبحانه وتعالى أنه جعل لبنى البشر من الفلك والأنعام مركبا ثم قال :

﴿ لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِبِينَ ﴾ (١٦) ﴿ (٢) .

والأمر كذلك في كل نعمة

وهو سبب السجادة .

قدوة النون عليه السلام يقول الله عنه :

﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذُهِبَ مُعَاصِيًا لِّغَضَبٍ أُدٍّ ثُمَّ نَجَّى اللَّهُ النُّونَ مِنْ ذُلِّ الْمَوْتِ وَالْمُطَمَاتِ مِنْ ظُلُمَاتِ الْإِنْفِرِ ﴾ (٢٧) ﴿ (٣) .

ويقول سبحانه عنه :

﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ (٢٨) ﴿ لَبِثَ فِي بطنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٢٩) ﴿ (٤) .

ويقول سبحانه عن هؤلاء الذين دمر جنتهم :

﴿ قَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ تَوَلَّى سَاحِلُ الْأَرْضِ لَقَدْ أَهْلَكْتُمُوهَا وَتُتْرَكُ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُعْتَدِلِينَ ﴾ (٣٠) ﴿ (٥) .

وهو سبب في الرضى والسكينة ، رضى النفس وسكينة يقول تعالى :

﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ (٣١) ﴿ (٦) .

وهو من دعاء أهل الحشية الذين يعذبون سوء الحساب

(٢) الزخرف آية ١٣

(١) سورة المسحة آية : ٥١ .

(٤) الصافات آية : ٤٢

(٣) الأنبياء آية : ٨٧ .

(٦) طه آية : ١٣٠

(٥) القلم آية ٢٨ ، ٢٩

﴿ فِي ثِيَابٍ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ يُرْفَعَ وَيُدْعَى فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَحَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) ﴾ (١)

وهو من دعاء أهل الجنة يقول سبحانه :

﴿ دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢).

ثم هو هي الحقيقة شعار المؤمن إن رضى ، وشعاره إن تعجب وشعاره إن سمع بثمان الله مالا يليق بجلاله .

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمُوتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧) ﴾ (٣).

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ آتَيْتَ النَّاسَ الْاِحْدُوسِي وَأَنْتَ الْهَيِّنُ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ (٦٦) ﴾ (٤).

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقَدْ عَذَابَ النَّارِ (٦٩) ﴾ (٥).

﴿ أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ رُّخْفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَوْ نُرِيدُكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَيْنًا كِتَابًا نَّبَرُّهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرٌ رَسُولًا (٩٣) ﴾ (٦).

ومن أجل كل ذلك أمر الله سبحانه وتعالى به في جميع الأوقات : أمر به في العشي والإبكار .

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٥٥) ﴾ (٧).

وفي المساء والصباح :

﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (٧٧) ﴾ (٨).

(١) النور آية : ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) الرمز آية ٦٧ .

(٣) المائدة آية : ١١٦ .

(٤) الإسراء آية : ٩٣ .

(٥) النور آية ١٧ .

(٦) النور آية : ٣٦ ، ٣٧ .

(٧) الرمز آية ٦٧ .

(٨) آل عمران آية : ١٩١ .

(٩) عاقرية آية ٥٥ .

وبكرة وأصيلا .

﴿ لَتَلْمِزُنَا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (١) ﴿

وقبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، ومن الليل وأدبار السجود

﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٢٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (٢٩) ﴾ (٢)

وعند القيام ، ومن الليل ، وأدبار النجوم .

﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ بَأْعَيْنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٣٠) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ

وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (٣١) ﴾ (٣)

وبعد .. فيقول رسول الله ﷺ . فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه

« من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة ، ثم يأت

أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به ، إلا أحد قال مثل ما قال و زاد » (٤) .

ويعود إلى الحمد أيضا من جديد :

الحمد لله الذي اهتج الله به لفاتحة ، أي اهتج به القرآن مشيرا إلى العبة

وهي التربية التي من شأنها أن تهذب وأن تسير بالمربي نحو الكمال في التربية ، أو

السير نحو الكمال لكل عالم ، لجميع العالمين .

الحمد لله رب العالمين .

الحمد لله المربي لجميع المواقف ، السائر بهم نحو الكمال بحسب استعداد

كل واستعداداته . ومن أجل ذلك بل من أجل كماله سبحانه في نفسه كان له الحمد

في السموات والأرض .

﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًا وَحِينَ يُنْظَرُونَ (٣٢) ﴾ (٥)

﴿ هَلْ لِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٣) ﴾ (٦)

(١) آية ٢٩ ، ٢٨

(٢) رواه مسلم

(٣) تجلية آية ٣١

(٤) الفتح آية ٩

(٥) الطور آية ٤٨ ، ٤٩

(٦) نوح آية ١٨ ، ١٩

وكان له الحمد في الأولى والآخرة .

﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٧) ﴿ (١) .

ومن أجمل أنواع الحمد وأرقها ، وأرقاها وأنفسها ، هو الحمد الذي يبعث من نفس الإنسان من أجل كمال الله سبحانه ، وقد ورد في القرآن الكريم نماذج لذلك .

يقول تعالى :

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَنَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكِبَرُهُ تَكْبِيرًا ﴾ (١١١) ﴿ (٢) .

وبلى ذلك الحمد على نعمة الهداية ، وعلى إنزال مصدرها ومتبعا القرآن

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَ عَلَى عِثَةِ الْكِتَابِ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ (٣) .

ثم الحمد على النعمة العامة

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ (٤) ﴿ (٤) .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعٍ يَرِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٦) ﴿ (٥) .

ثم الحمد من أجل النعم الخاصة ، والنعم الخاصة كثيرة متعددة

﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ (٦) .

وقد أسبغها الله علينا ظاهرة وباطنة .

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ... ﴾ (٧) .

(١) القصص آية ٧ (٢) الإسراء آية ١١١

(٣) كهف آية ١ (٤) الانعام آية ١

(٥) فاطر آية ١ (٦) إبراهيم آية ٢٤

(٧) لقمان ٢

وكلها - بدون استثناء - من الله .

﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ ﴾ (١)

من أجل ذلك أمر الله سبحانه بالحمد عند كل نعمة

﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُكِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانا مِنَ الظُّلُمِ

الظَّالِمِينَ ﴾ (٢٨) ﴿ (٢)

واستجاب للأمر من استجاب :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ

الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٥) ﴿ (٣)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (٣٩) ﴿ (٤)

والحمد من دعاء أهل الجنة :

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ وَعْدُهُ وَأَوْثَقَا الْأَرْضَ نَبِوًا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ لَنُغْنِيَ

أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (٧٤) ﴿ (٥)

﴿ وَبَرَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ عِلٍّ تَخْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ . ﴾ (١٣) ﴿ (٦)

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (٣٤) ﴿ (٧)

بل هو آخر دعاء أهل الجنة

﴿ دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَاتُ السَّلَامِ وَتَحِيَّاتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

لْعَالَمِينَ ﴾ (١١) ﴿ (٨)

الحمد لله . إنها تملأ الميزان كما ورد في حديث أبي مالك الأشعري رضي

رواه الإمام مسلم قال : قال رسول الله ﷺ .

(١) النحل : ٥٢ (٢) المؤمن آية ١٨

(٣) النحل آية ١٥ (٤) إبراهيم آية ٣٨

(٥) الزمر آية ٧٤ (٦) الأعراف آية ٤٣

(٧) هاطر آية ٣٤ (٨) يونس آية ١٠

« الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميراث ، وسبحان الله والحمد لله تملأن أو تملأ ما بين السموات والأرض » (١) .

ويعد ، فمن رسول الله ﷺ فيما رواه الشيخان قال

« من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير هي يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حررا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه » .

وقال ١٠ من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة ، حطت خطاياها وور كانت مثل زبد البحر » (٢) .

وأخيرا ، فإنه ينبغي - متابعة للنسق القرآني - أن يمتنع المسلم كل عمل من أعماله الخيرة بقوله : الحمد لله .

الإسلام والاستسلام لله ،

ويتساءل كثير من الناس هيمولون .

لم كانت ثمرة هذه الكلمات مع سهولتها ويسرها - عظيمة ؟

لم كان ثوابها جزيلا ؟

لم كان لها كل هذا الفصل ؟

من أجل الإجابة على هذا السؤال ورد حديثين ينبغي أن تدبرهما في

تأمل ، ونتروي في مهم محتاهما في عمق :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول

« من قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، قال الله أسلم عبدي واستسلم » (٣) .

وروى الحاكم ، وقال صحيح ولا علة له ، أن رسول الله ﷺ قال لأبي هريرة « ألا أعلمك أو أأدلك على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة ؟

(١) رواه مسلم (٢) متفق عليه

(٣) رواه الحاكم ، وقال : صحيح الإسناد

تقول لا حول ولا قوة إلا بالله ، فيقول الله أسلم عبدي واستسلم .

والهدف إذن من ترداد هذه الكلمات المباركة أن يتعلم معناها ، في رفق ، في نفس الإنسان ، وفي كيانه كله حتى تقوده إلى الإسلام والاستسلام ، إلى سلام لوجه له سبحانه ، وإلى الاستسلام الكلي لجلاله . إنها توجه إلى هذا ، وتقود إليه ، وهو هايتها .

فتتريه الله وهو المعنى لسبحان الله عن أن يكون في حكمته إلا كل ظهر ووصفاء وسمو إنما هو رضاء و ستسلام لكل ما يأتي عنه من أقوال وأفعال هي الحق والحير والجمال .

وحمد الله على جميع النعم الظاهرة والباطنة ، إنما هو إقرار بأن ما بالإنسان من نعمة ظاهرة أو باطنة فمن الله .

﴿ رَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ... ﴾ (٥٣) ﴿ (١) .

﴿ أَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِنْ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ نِعْمَةٍ ظَاهِرَةٍ وَبَاطِنَةٍ ﴾ (٧) ﴿ (٢) .

﴿ وَأَتَاكُمْ مِنْ كَرٍّ مِمَّا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (٣٤) ﴿ (٣)

إن هذا الذي يتقلب في نعم الله صباحا ومساء ليلاً ونهاراً ، فيمرها ، ويحمد الله عليها ، لا يتأني له - في مطلق الحق - إلا أن يسير نحو المنعم ويهاجر إليه مسلماً مستسلماً .

ولا إله إلا الله حائصة من القلب ترحح في الميراث السموات والأرض ، لا يخيب قائلها محلصاً ، بها تحطيم للأصنام ، واستعلاء على الدنيا ، وتوجيه الوجه إلى الكمال المطلق : الله .

والله أكبر بلا مورية ، الله أكبر بلا مارية ، الله أكبر بإصلاقي ، والله أكبر يقين لا شك فيه . والله أكبر عما لا جمل معه ، والله أكبر هداية لا يشوبها صلال .

(١) اتعمل آية ٥٣ (٣) لقمان آية ١

(٢) ابراهيم آية ٣٤

الله أكبر تقتضى ، ففروا إلى الله .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، تحرير وإخلاص ، ونوجه كامل إلى

صاحب الحول ولقوة الثمار بأمره وانتهاء عما نهى

والثمرة لكلية لهذه الكلمات المباركة إنما هي . سلام واستسلام لله

سبحانه . وهذا هو التدين ، وهذا هو الإسلام الذى مثله رسول الله ، ﷺ

خصومه لله وتبته وفى كفاحه فى سبيل الله ونصائه ، وفى شجاعته فى الحق

وتمسكه به ، وفى استعلائه على الدنيا ، وفماسه فى نطهر ، وفى عمله ليلا

ونهارا ليسير المجتمع أفرادا وجماعات على صراط الله المستقيم عقيدة وحرف

وتشريفا .

إن هذه الكلمات المباركة تصل بالمؤمنين المخلصين إلى أن يستجيبوا لله

ورسوله ، محبدين فى سبيل الله ورسوله ، إنها تحردهم من الجبن ومن التملق

وإرياء والمداهمة وتغصصهم بلحق والخير والعمل بنودا فى سبيل الخير والحق

آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر لا يحشون فى الله لومة لائم

ومن أجل ذلك وغيره من ثمار زكية تؤدي إليها هذه الكلمات كان ما ترتب

عليها من ثواب جليل ، ورضوان حم .

الصلوة على النبي ﷺ

ومن الذكر الصلاة على خير المرسلين .

يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١)

والصلوة على النبي هي نفل الحوائث تأتي من الركن الأول من أركان الإسلام . وهو شهادة أن محمدا رسول الله ، ولقد روى لإمام مسلم بسنده عن عبيد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « من صلى على صلاة ، صلى الله عليه بها عشرا » .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة » (٢) .

عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ، البخل من ذكرت حمده فلم يصل علي (٣) .

أهمية الصلاة على الرسول ﷺ .

وتبين أهمية الصلاة على لرسول ﷺ من الحديثين التاليين .

عن محمد بن يحيى بن حسان عن أبيه عن حمده رضي الله عنه

أن رجلا قال : يا رسول الله ، أجعل ثلث صلاتي عليك ؟ قال « نعم ، إن شئت » قال : أثلثي ؟ قال : نعم إن شئت .

(١) الأحزاب : ٥٦ .

(٢) رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

(٣) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

قال : فصلاتي كلها ؟ قال رسول الله ﷺ : إذا بكفيك الله ما أهمك من أمر دنيك وأحراك (١) .

وعن أبي بن كعب رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربيع الليل قام فقال :

« يا أيها الناس ، اذكروا الله ، اذكروا الله ، جاءت الراجفة ، تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه » قال أبي بن كعب .

فقلت يا رسول الله ، إنى أكثر الصلاة ، فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال : ما شئت .

قال ، قلت : الربع ؟

قال : ما شئت ، وإن زدت فهو خير لك .

قال ، فقلت : فالثالث ؟

قال : ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك .

قال النصف ؟

قال : ما شئت ، وإن زدت فهو خير لك .

قال : أجعل لك صلاتي كلها ؟

قال : إذا يكفى همك ، ويفقر لك ذنبك (٢) .

وإذا كانت لصلاة على رسول الله ﷺ ، مطلوبة في كل وقت ، فإنه ﷺ ، قد حث عليها في يوم الجمعة بالذات وهو يوم مبارك فتريده الصلاة على الرسول بركة وبراً .

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ

« أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة ، فإنه مشهود تشهد الملائكة ، وإن أحدا لم يصل على إلا عرصت على صلاته حتى يفرغ منها » قال قلت وبعد الموت ؟ قال .

« إن الله حرم على الأرض أن تاكل أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام » (٣) .

(١) رواه الطبراني (٢) رواه أحمد ، والترمذي والحاكم

(٣) رواه ابن عساق بإسناد جيد

وعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ

« من أفصل أيامكم يوم الجمعة : فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه ، النجاة ، وفيه الصلوة ، فأكثرُوا على من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة على »

قلوا يا رسول الله ، وكيف تمر من صلاتنا عليك ، وقد أرمت يعني بليت ؟ فقال « إن الله هر وجن ، حرم على الأرض أن تاكل أجساد الأنبياء » (١) .

ولقد نص ، نصائح في صيغ الصلاة على رسول الله ﷺ ، حتى أنه ليجد الإنسان مالا يكاد يعد ولا يحصى من هذه الصيغ ، وفيها التور ، وفيها الإشراف والصيام .

وبعضها خالص في الصلاة قد تمحص لها ، وبعضها تتجه تعبيراته إلى طلب من الله سبحانه كشماء المريض ، أو قضاء الحاجة ، أو إشراح الصدر

ونذكر لأن نماذج من هذه الصلوات

وأول ما يذكر من ذلك هي ما أطلق عليها الصلاة الإبراهيمية

« اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم ، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين ، إنك حميد مجيد »

ومن صيغ الصلاة على النبي ﷺ ، ما ذكره شيخنا فضيلة المرحوم الشيخ عبد الفلاح القاصي ، الشاذلي طريقة الشينجي مولدا ورقامة ، وقد تلمهاها تلمب في النوم :

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عبدك ، هدد حنقك ، ورضاء نصك ، وربة عرشك ، ومداد كلماتك .

وصيغة الشيخ الكبير العارف بالله سيدي المتولي من أحمل الصيغ وأكمها

وهي

(١) رواه أحمد ، وأبو داود ، وابن ماجه وابن حبان والنحاكم

اللهم إني أسألك بك أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ، وعلى آلهم وصحبهم أجمعين ، وأن تفصر لي ما مضى وتحفظني فيما بقي .

والصليفة التي تلقياها عن أنصاره بالله الشيخ محمد عبد المعنى الذي تلقاها عن رسول الله ﷺ شفاهها هي :

« اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما وكن برفق وبالمؤمنين رؤوفاً رحيماً » .

ومن الصيغ التي يرددها الصالحون كثيراً

اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تتجينا بها من جمع لأهوال والآفات ، وتقضى لنا بها جميع الحاجات ، وتطهرنا بها من جميع السيئات وترفعنا بها عندك أعلى الدرجات ، وتبلغنا بها أقصى العايات من جميع الحيرات في الحياة وبعد الممات « (١) .

ومن الصيغ :

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي ، وعلى آل محمد ، صلاة تكون لنا رضاء ولحقه أده ، وأعطه الوسيلة وإتمام المحمود لدى وعده ، وأخره عنا ما هو أهله ، وأجره أفضل ما جازيت نبيا عن أمته ، وصل على جميع إخوانه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، اللهم صل على محمد في الأولين وصل على محمد في الآخرين وصل على محمد إلى يوم الدين ، اللهم صل على روح محمد في الأرواح وصل على جسده في الأجساد وعلى قبره في القبور ، واجعل شراطف صلواتك ونوامي بركاتك ورافة تحنك ورضوانك على محمد عبدك ورسولك وسلم تسليما كثيرا (٢)

ومنها :

اللهم صل على سيدنا محمد الذي أشرفت به الظلم اللهم صل على سيدنا محمد الميعوث بالرحمة لكل الأمم . اللهم صل على سيدنا محمد المحار للسيادة

(١) هذه الصلاة وأردت في « الدلائل » .

(٢) هذه الصلاة نكثها الإمام العارف شهاب الدين أحمد السهروردي في كتابه ، عوارف المعارف .

والرسالة قبل خلق اللوح والقلم اللهم صل على سيدنا محمد الموصوف بأفضل الأخلاق والشميم . اللهم صل على سيدنا محمد المخصوص بجوامع الكلم وخواص الحكم . اللهم صل على سيدنا محمد الذي كان لا تنهك في مجالسه الحرم ، ولا يعصى أمر ظالم . اللهم صل على سيدنا محمد الذي كان إذا مشى تظله العمامة حينما يعم . اللهم صل على سيدنا محمد الذي أثنى عليه رب العزة في صائف المدم . اللهم صل على سيدنا محمد الذي صلى عليه الله في محكم كتابه وأمرنا أن نصلي عليه ونسلم . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه ما انتهت الديم . وما جرت على المدينين أنيال الكرم وسلم تسليما وشرف وكرم ^(١) .

ومنها :

اللهم صل على سيدنا محمد نبي الأمي . الطاهر الزكي . صلاة تحل بها العقد وتمك بها الكرب ^(٢) .

ومنها :

« اللهم صل على سيدنا محمد السابق لخلق نوره ورحمة للعالمين ظهوره عدد من مخفي من خلقك ومن بقي ومن سعد منهم ومن شقى صلاة تستمرق بعد وتحيط ما بعد صلاة لا غاية لها ولا منتهى ولا انتضاء صلاة دئمة بنوامك . وعلى آله وصحبه وسلم تسليما مثل ذلك » ^(٣)

ومنها :

« اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضا ولحقه أدء وأعطه الوسيلة والمقام الذي وعدته » ^(٤)

« اللهم بي سألك بك أن تصي على سيدنا محمد وعلى صائر الأنبياء

(١) هذه الصلاة الجامعة لتجلية هي لدى الماكهاني صاحب كتاب « الفجر المنير في صلاة على البشير النذير »

(٢) هذه الصلاة ذكرها الزبيدي في مختصر البخاري في كتابه « الصلوات وبنوآلد » وقال عنها بعض نبالحين أبي

مجرية في طريق الكرب

(٣) يذكر شرح « دلائل » سيد عبيد المنادو انجيلاني وصي الله عنه حتم بهذه الصلاة حوره

(٤) ورد عن هذه صلاة كما يعون اشعرني أن النبي ﷺ قال « من قالها فقد وجبت له شعاعني »

والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين ، وأن تغفر لي ما مضى وتحفظني فيما
بقي » (١) .

وفي حديث فضالة أن النبي ﷺ قال ،

« إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه ولثاء عليه ، ثم يصلي على النبي ، ثم
يدعو بما شاء » (٢) .

* * *

(١) وهذه الصلاة لم يرد إبراهيم المتبولي

(٢) رواه أحمد وصححه الشرحي ، وابن حبان والحاكم

الفصل الثالث

. في الدعاء

الذكر من نوافل الركن الأول من أركان الإسلام :

والصلاة على رسول الله ﷺ من نوافل الركن الأول من أركان الإسلام ، والدعاء أيضا من نوافل الركن الأول من أركان الإسلام إلى مثله كمثل الذكر إنه التحق بالافتقار إلى الله سبحانه وتعالى ، والاستعناء عما سواه ، أو هو من أظهر مظاهر تحقيق العبودية ، أو هو تمييز :

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (١) .

وما من شك في أنه كل ذلك ولهذا كانت مكانته سامية ، وكان عبادة مفضلة مقبولة إن شاء الله .

ولقد عبر الله سبحانه عن الدعاء بالذكر ، فقال سبحانه ﴿ فَإِذَا قُضِيَّتْ مَسَاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا ذَكَرْتُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشْدَّ ذِكْرًا هُمُ السَّاسِ مِ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي السَّبِّ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ (٢)

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَةً وَقَدْ عَدَدَ النَّارَ ﴾ (٣) .

﴿ أَوَلَيْكَ لَهُمْ صِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا رَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٤)

وبعد ذكرت الأحاديث السوية الشريعة مكانته ، وحث عليه الآيات القرآنية الكثيرة ، والأحاديث اسبوية المستميسة ،

ويذكر القرآن وتذكر السنة ألربا من صيغه كثيرة ، ويتحدث القرآن ويتحدث السنة عن روايات المتعددة فتكون لنا صورة كاملة عنه

فطبل الدعاء :

عن أبي هريرة رضي الله عنه - فيما أخرجه الامام أحمد واسترمذى - عن

النبي ﷺ ، قال

(١) بياضة ٤ (٣) البقرة ٢

(٢) البقرة ٢١ (٤) البقرة ٢٠٢

« ليس شيء أكرم على الله من الدعاء »

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال - قال رسول الله ﷺ -

« الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السموات والأرض » (١)

وعن النعمان بن بشير ، رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال ،

« الدعاء هو العبادة » ثم قرأ .

﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم

داخرين ﴾ (٢) .

وروى عن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال - « الدعاء مخ العبادة »

رواه الترمذي .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال

« ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله تعالى بها ، أو

صرف عنه من سوء مظهر ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » .

فقال رجل من القوم « إذا بكّر » قال « الله أكبر » رواه الترمذي ، والحاكم

وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ

« ما من مسلم يصب وجهه لله عز وجل في مسألة إلا أعطاه إياه ، ما أن

يعجلها له ، وإما أن يدحرها له في لأجرة » (٣) .

وعن جابر بن عبد الله ، رضي الله عنهما عن النبي ، ﷺ قال « يدعو الله

بالؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه ، فيقول .

عبدي إني أمرتك أن تدعوني ، ووعدتك أن استجب لك . فهل كنت

تدعوني ؟ فيقول . نعم يا رب .

فيقول : أما إنك لم تدعني بدعوة إلا استجبت لك . ليس دعوتني يوم كذا

وكذا ، نعم بل بك أن أخرج عنك فخرجت عنه ؟

(١) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ، ورواه أبو يعلى من حديث علي

(٢) رواه أبو داود ، والترمذي وقال حديث صحيح والآيات من سورة ماطر ٥٩ 1

(٣) رواه أحمد رضي الله عنه

فيقول : نعم يارب .

فيقول . إني عجلتها لك هي الدنيا .

ودعوتني يوم كذا ، وكذا لعم نزل بك أن أفرج عنك فلم تر هرجا ؟

قال : نعم يارب .

فيقول . إني ادخرت لك بها هي الجنة كذا وكذا

ودعوتني هي حاجة أن أقضيها لك في يوم كذا وكذا فقصبتها ؟

فيقول : نعم يارب .

فيقول . إني عجلتها لك هي الدنيا .

ودعوتني يوم كذا وكذا في حاجة أقضيها لك فلم تر قصامها ؟

فيقول نعم يارب .

فيقول : إني ادخرت لك بها هي الجنة كذا وكذا

قال رسول الله ، ﷺ .

« فلا يدع الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلا يبرئ له إما أن يكون عاجل له

في الدنيا ، وإما أن يكون ادخر له هي الآخرة » قال . فيقول المؤمن في ذلك المقام

يا ليتني لم يكن عاجل له شيء من دعائه » (١) .

وعن أبي رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله

تعالى

« يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي .

يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي . يا

ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض حملها ، ثم بشينى لا تشرك بي شيئا ،

لأتيتك بقرابها معمرة » (٢)

وعن أبي هريرة ، رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن لله عمر

وجل يقول . « أنا عند حسن ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا دعاني » (٣) .

(١) رواه الحاكم

(٢) رواه أحمد وأبو داود

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه

طلب الدعاء :

يقول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١)

وقال تعالى :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى :

﴿ وَأَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى :

﴿ وَلَا تَتَمَرَّأْ مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (٤) .

وقال سبحانه :

﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٥)

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ حَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٦) .

وقال تعالى :

﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٧)

(١) البقرة آية ١٨٦

(٢) غافر آية ٦٠

(٣) النمل آية ٦١

(٤) النساء آية ٣

(٥) الأعراف آية ٥٥

(٦) الأعراف آية ٥٥ - ٥٦

(٧) غافر آية ٦٥

فضله :

وعن أبي صالح : فيما أخرجه ابن ماجه قال .

قال رسول الله ﷺ :

« من لم يسأل الله يفضله عليه » .

وعن عبد الله فيما أخرجه الترمذى - قال : قال رسول الله ﷺ :

« سلوا الله من فضله ، فإن الله يحب أن يسأل ، وأفضل العبادة انتظار الفرج » .

وعن أبي ذر ^(١) رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ فيما يروى عن ربه عز وجل أنه قال

« يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » .

يا عبادى كلكم ضال لا من هديته ، فاستهدوني أهدكم .

يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم .

يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسبوني اكسبكم .

يا عبادى إنكم تحطئون بالليل والنهار ، وأنا أعفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم .

يا عبادى إنكم لن تبلموا صبرى فتضروني ، ولن تبغوا نفعي فتبغوني .

يا عبادى لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا .

يا عبادى لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا .

يا عبادى لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد

(١) حينما كان أبو إدريس الحولاني يروى هذا الحديث بالذات فإنه كان يتخذ هيئة معصومة رجلا لا يهديث . لقد كان يجلس على ركبتيه ، ولا ثم يبدأ الحديث

فسألوني فأعطيت كل سأل منهم مسأله ، ما نقص ذلك مما عسى إلا كما
ينقص المحيط إذا أدخل البحر .

« ي عبادى إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفىكم إياها ، فمن وجد
خيرا فليحمد الله عز وجل ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » (١)

الدعاء والقضاء :

وعن ثوبان رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ

« لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد فى العمر إلا البر ، وإن الرجل يحرّم
الرزق بالدنّب يذهب » (٢)

وعن سلمان الفارسي رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا يرد
القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد فى العمر إلا البر » (٣) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ

« لا يغنى حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما ينزل ومما لم ينزل ، وإن العلاء
لينزل فيلقاه الدعاء ، فيعتلحان إلى يوم القيامة » (٤) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ

« من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة ، وما سئى الله
شيئا - يعنى - أحب إليه من أن يسأل العافية »

وقال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء » (٥)
ويقول الإمام القرطبي .

فإن قلت : ما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له ؟

(١) رواه مسلم

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم

(٣) رواه الترمذى

(٤) رواه البزار والطبرانى والحاكم

(٥) رواه الترمذى والحاكم

فاعلم أن من القصاء رد البلاء بالدعاء واستجلاب الرحمة ، فالدعاء سبب لرد لبلاء كما أن الترس سبب لرد السهم ، ولما سبب لخروج النبات من الأرض فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان ، وليس من شرط الاعتراف بقصاء الله تعالى ألا يحمل السلاح ، وقد قال تعالى ﴿ خذوا حذركم ﴾ (١) .

والأ تسقى الأرض بعد بث البذر ، فيقال إن سبق القصاء بالنبات بث البذر ، وإن لم يسبق لم ينبت ، بل ربطت الأسباب بالمسببات هو : لقضاء الأول . وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر ، فإلدي قدر الخير قهره لسبب . وإلدي قدر الشر قدر لدفعه سبب ، فلا تدقض هي هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته ، أ هـ .

ثمرة الدعاء :

عن أس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تعصروا في الدعاء ، فإنه لن يهلك مع دعاء أحد » (٢) .

وعن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه أن النبي ، ﷺ قال

« ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث » .

إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدحرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلاً .

فألقوا . إذا تكثروا ؟

قال : الله أكثر (٣) .

ومن عهد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ

« من نزلت به ضيقة فأبزلها بالأس لم تسد ضيقه ، ومن نزلت به ضيقة فأبزلها بالله فهو شاك الله له بالرزق عاجل أو آجل » (٤) .

(٢) رواه ابن حبان وإسحاق

(١) النساء : ٧١

(٣) رواه أحمد ، والبخاري وأبو يعلى والنسائي

(٤) رواه أبو داود ، والترمذي والنسائي

• مستجابة الدعاء :

عن سلمان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ
« إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً^(١)
خائبتين » (١) .

فإذا أردت الاستجابة فابداً :

١ - بالتوبة الخالصة النصوح .

٢ - وتحراً الحلال .

عن ابن عباس ، فيما أخرجه الحافظ ابن مردويه ، تليت هذه الآية عند
النبي ، ﷺ :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً حَيْثُ ﴾ (٢) .

فقم سعد بن أسى وقاص فقال :

يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال

« يا سعد ، أطلب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده
إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوماً ، وأما عبد
نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به » .

ويقول أشادلي رضي الله عنه ،

إذا أردت أن يستجاب لك أسرع من لح البصر عليك بحمسة أشياء

١ - الامتنال للأمر

٢ - الاجتناب للنهي .

٣ - تطهير السر .

٤ - جمع الهمة .

٥ - الاصطرار .

وخذ ذلك من قوله تعالى :

(١) رواه أبو داود ، والترمذي وحسنه

(٢) البقرة ١٦٨

﴿ أَمْسِ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهَ مَعَ اللَّهِ قَبِيلاً مَا تَدْكُرُونَ ﴾ (١) .

فالمحروم من يدعوه وقلبه مشغول بغيره .

فاحذر هذا الباب جدا ، فإن لم تستطع أن تتصف بالخمسة أشياء ، عليك بالخلوة عن الناس ، واذكر ما شاء الله من قبائلك وأعمالك ، واحتقر جميع أعمالك ، وقدم إليه ما علمته من جميع منزه عليك ، وقل

يا الله يا منان يا كريم ياد المصل ، من لهذا العبد العاصي عيرك وهد عحر عن الهوى إلى مرصاتك ، وقطعته الشهوة عن الدحول في طاعتك ثم يبق له حبل يتمسك به سوى توحيدك ، وكيف يحتري على السؤال من هو معرض عنك ، أم كيف لا يسأل من هو محتاج إليك ، وقد مست على لأن بالسؤال منك ، وجعلت حسبي لرحاء هيك ، فلا تردني حث من رحمتك يا كريم ، وهد جعلت لأسمائك حرمة ، همر دعاك بها لا يشرك بك شيئا أحنته ، هجرمه اسمائك يا اله يا ملك يا قدوس يا سلام يا مؤمن يا مهيمس يا عزيز يا حار يا متكبر يا خالق يا باري يا منصور ، فتي من الهم والحر والعر والكسل و سحر والجل والشك وسوء الظن وصلع اندين وعلسته ، وقهر الرجال ، فإن لك لأسماء الحمسى ، وهد سبح لك ما هي السموات والأرض وأنت العزيز الحكيم .

« اللهم إني أسألك حيرت لنديا وحيرات الدين حيرت لنديا بالأمر و لرفق والصحة و لعافية ، وحيرات ندين بالطاعة لك و لتوكل عليك ، والرصا بقصائك ، والشكر على آلائك ونعمك إنك على كل شيء قدير » أ هـ .

وروى الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال

« لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل ، قيل يا رسول الله ، ما الاستعجال ؟ قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجيب لي فيستخير عبد ذلك ويدع لدعاء (٢) .

(١) بسط ٦٢

(٢) بواء مسلم

الدعاء في الرخاء :

وعن أبي هريرة ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال
« من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد هلك أكثر من الدعاء في
الرخاء » (١) .

دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب

عن أبي الدرداء رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول
« ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك : ولك بمثل » (٢) .
وعنه أن رسول الله ﷺ ، كان يقول :
« دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل ،
كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل آمين ولك بمثل » (٣) .
وعن صفوان بن عبد الله فيما رواه الإمام مسلم قال
قدمت الشام ، فأتيت أبا الدرداء في منزله ، فلم أجد ، فوجدت أم الدرداء
فقلت : أتريد الحج العام ؟
فقلت : نعم .

فقلت : ادع لنا بخير ، فإن رسول الله ﷺ كان يقول
دعوة لمسلم لأخيه بظهر الغيب (٤) مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما
دعا لأخيه بخير ، قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل .
قال : فخرجت إلى السوق فلقيت أبا الدرداء فقال لي مثل ذلك يرويه عن
النبي ﷺ .

(١) رواه الترمذي و نحاكم

(٢) رواه مسلم

(٣) رواه مسلم

(٤) أي في حالة غيبة أخيه

ثلاثة لا ترد دعوتهم ،

وروى الترمذي وحسنه أن النبي ﷺ ، قال :

« ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حين يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب ، وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين »

دعوات مستجابات :

وروى الإمام أحمد ، و الترمذي وحسنه ، أن النبي ﷺ ، قال

« ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن .

دعوة الولد ، ودعوة المسافر ، ودعوة المظلوم »

العزم هي الدعاء :

وعن أبي هريرة - فيما رواه الإمام مسلم ، قال .

قال النبي ﷺ « لا يقوئن أحدكم ، اللهم ، عمر لي إن شئت اللهم ، رحمني إن شئت ، ليعزم هي الدعاء ، فإن الله صانع ما شاء لا مكره له » .

مسح التوجه باليدين بعد رفعهما في الدعاء

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : فيما رواه الترمذي - قال

كان رسول الله ﷺ ، إذ رفع يديه في الدعاء ثم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه .

أوقات الدعاء وأماكنه :

والدعاء يصح في كل وقت ، بيد أن هناك أوقات وأماكن أرجى في قبول الدعاء من غيرها ، وقد ذكر رسول الله ﷺ ، أوقاتا للدعاء منها ثلث الليل الأخير ، يقول صلوات الله وسلامه عليه :

« ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول

من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطي له ؟ من يستعصرني فأعصر له ؟ »

رواه البخاري .

ولقد سئل رسول الله - ﷺ ، عن أى الدعاء أسمع ؟ فقال
 « جوف الليل الآخر ، ودبر الصلوات المكتوبة » رواه الترمذى وحسنه
 وروى مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله ، ﷺ :
 « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا من الدعاء »
 ونقل السيهمى فى المسعى الكبرى عن الإمام الشافعى أنه قال بلغنا أنه كان
 يقال

« إن الدعاء ، يستجاب فى خمس ليال ، فى ليلة الجمعة ، وليلة الأضحى ،
 وليلة المطر ، وأول ليلة من رجب ، وليلة النصف من شعبان » .
 وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال :
 قال رسول الله ﷺ :

« ساعتان لا ترد على دعاءه حين تمام الصلاة وفى النصف فى سبيل
 الله » رواه ابن حبان فى صحيحه
 لأماكن المظاهرة المباركة ، وأشرفها الحرم المكى والحرم المدنى ، والمسجد
 الأقصى .

ويذكر الإمام الغزلى آداب الدعاء منها .
 أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من
 الأشهر ، ويوم الجمعة من الأسبوع ووقت المسح من ساعات الليل ، قال تعالى
 ﴿ وَالْأَسْحَارُ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١)

وقال ﷺ .

« ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير
 فيقول عمر وجل :

من يدعوى فأستجيب له ؟

من يسألنى فأعطيه ؟

(١) الذاریات ١٨

من يستعمرني فأغفر له ٩ « (١) .

ومنها أن يعتنم الأحوال الشريعة . قال أبو هريرة رضي الله عنه
إن أبواب السماء تفتح عند رحف الصبوف في سبيل الله ، وعند نزول
الغيث ، وعند إقامة الصلوات المكتوبة ، فاعتنوا السعاء فيها .

وقال محاهد :

« إن الصلاة جعلت في خير الساعات ، فعليكم بالدعاء خلف الصلوات »
وقال ﷺ :

« الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد » (٢) .

وقال ﷺ أيضا

« الصائم لا ترد دعوته » (٣) .

ويتابع الإمام العزالي حديثه فيقول :

وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضا ، إذ وقت السحر
وقت صفاء القلب وإخلاصه ، وهراجه من المشوشات ، ويوم عرفة ، ويوم الجمعة
وقت اجتماع لهمم ، وتعاون القلوب على استئثار رحمة الله عز وجل
فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر
عليها ، وحالة السجود أيضا أحدر بالإجابة . قال أبو هريرة رضي الله عنه ، قال
النبي ﷺ :

« أهرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساحد ، فأكثرُوا فيه من
الدعاء » (٤) .

وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال (٥)

« إنني نهيت أن أقرأ انقرآن راکما وساحدا ، فأما تركع فعضموا فيه الرب ،
وأما السجود فاحتهدوا فيه بالدعاء فظمن أن يستجاب لكم » (٦) .

(١) رواه الشيخان

(٢) رواه الحاكم وصححه

(٣) رواه مسلم

(٤) رواه الترمذي وصححه

(٥) أنظر إحياء علوم الدين

(٦) رواه مسلم

صليغ الدعاء :

وخير ما يبدأ به من هذه الصليغ هو بعض ما ورد في القرآن الكريم ، ثم
بشي ببعض ما ورد عن رسول الله ﷺ .

وما من شك في أن الدعاء القرآني كثير مستفيض ، وفي أن دعاء رسول الله
ﷺ ، متعدد متنوع .

ويقدّر كأن رسول الله ، ﷺ ، يدعو بما يتناسب مع توصف نبي هو فيه ربما
كان ، أو مكانا ، أو حالة نفسية ، أو اجتماعية

بل لقد كان له في كثير من الحالات ادعية عدة لكل حالة بدتها تتفاوت
طولا وقصرا ، ويختلف معنى ولعطا

من الدعاء في القرآن :

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣)
هَآلِكَ يَوْمَ الدِّينِ (٤) إِنَّكَ عَبْدٌ وَرَّكَابٌ (٥) أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) ﴾

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ يَذْبُحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ
بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١) .

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ ﴾ (٢) .

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَدْ آتَيْنَاكَ الْغَنَى
﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَحَنَّمَ وَجِئُوهُ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَاجْعَلْنَا عَلَى
الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٤) .

(١) البقرة آية ٦٧

(٢) البقرة آية ١٢٧ ١٢٨

(٣) البقرة آية ٢١

(٤) البقرة آية ٢٥

﴿ آمِنِ الرُّسُولَ بِمَا أُسْرِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُزْمُونِ كُلِّ آمِنِ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَمُرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِيَّاكَ الْمَصِيرُ * لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا كَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِيسْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَغَفُ عَنَّا وَغُفْرَانَا وَارْحَمْنَا أَيْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

﴿ رَبَّنَا لَا تُغْ فُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٢) .

﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٣) .

﴿ هَٰلِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (٤) .

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٥) .

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٦) .

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٧) .

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ (٧٤٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (٨) .

﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَبًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾ (٩) .

(١) البقرة آية ٢٨٥ - ٢٨٦

(٢) آل عمران آية ٨

(٣) آل عمران آية ١٦

(٤) آل عمران آية ٣٨

(٥) آل عمران آية ٥٢

(٦) آل عمران آية ١٤٧

(٧) آل عمران آية ١٩١

(٨) آل عمران آية ١٩٣ - ١٩٤

(٩) النساء آية ١٧٥

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (١) .

﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (٢)

﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣)

﴿ وَمَا تَنْقِمُ مِنْ إِلَّا أَنْ آمَنَ بِآيَاتِ رَبِّهِ لَمَّا جَاءَتْهُمْ رَبَّنَا أَفَرِغَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَرَكْنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (٤)

﴿ قَالَ رَبِّ اعْمُرْ لِي وَلَاخِي وَأَدْخِلْ فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٥)

﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَجِنَّا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٦) .

﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي قِيمَ صَلَاتِي وَتُسْخِطْ رَجَائِي وَتَقْبَلْ دُعَاءِي ﴿٤﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِرَبِّ لَدِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ (٧) .

﴿ إِذْ أَرَى الْفِتْنَةَ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا أَنْتَ مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرٍ بِارْشَادٍ ﴾ (٨)

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَامِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ (٩) .

﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ رُدِّي عَلَيَّ ﴾ (١٠) .

١) مائدة آية ٨٢

٢) مائدة آية ١١١

٣) الأعراف آية ١٧

٤) الأعراف آية ١٢٦

٥) الأعراف آية ١٥١

٦) يونس آية ٨٥

٧) إبراهيم آية ٤٠ ، ٤١

٨) الكهف آية ١

٩) حله آية ٢٥ ، ٢٨

١٠) حله آية ١١٤

﴿وَذَا النُّورِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَعَثْنَا مِنَ النَّارِ جُنَّةً وَأَنزَلْنَا مِنْهُ مِائِدَةً فَكَفَى الْفِتْنَةَ وَجَنَّاتٍ مِنْ دُونِهَا وَمِنْ أَلْفِ مِائَةٍ نَارٍ وَمِنْ دُونِهَا عِلَاقٌ حُثْثِيَّةٌ وَالْأشْجَارُ حُلَّةٌ وَهُمْ فِيهَا يَكْتُمُونَ (٨٨) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ رَغِيْبًا مُبَكِّرًا وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِسْبَاحُ النُّجُومِ (٨٩)﴾

﴿وَرَكُوبًا إِذْ نَادَى رَبُّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَعَدْنَا لَهُ لَبَاسًا يَخْوِي وَأَصْلَحْنَا لَهُ رُوحَهُ مِنْهُمْ كَانُوا يُسَازِعُونَ فِي الْحَيَرَاتِ وَيُدْعَوْنَ رُوحًا وَرُوحًا وَكَانُوا سَاخِطِينَ (٩٠)﴾

﴿قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ (٩٣) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٩٤)﴾
 ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُوا (٩٨)﴾
 ﴿إِنَّهُ كَانَ هَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (٩٩)﴾
 ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٠)﴾

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (١٠١)﴾
 ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (١٠٢)﴾
 ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لِّلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (١٠٣)﴾
 ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَانْقِضِ بِالصَّالِحِينَ (١٠٤)﴾
 ﴿وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (١٠٥)﴾
 ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (١٠٦)﴾

(١) الأبيات آية ٨٧ ، ٩٠

(٢) المؤمنون آية ٩٢ ، ٩٤

(٣) المؤمنون آية ٩٧ ، ٩٨

(٤) المؤمنون آية ٩٠ ، ٩١

(٥) المؤمنون ١١٨

(٦) الفرقان آية ٦٥ ، ٦٦

(٧) الفرقان آية ٧٤

﴿ وَاعْفُرْ لِأَنِّي إِنَّمَا كُنْتُ مِنَ الصَّالِينَ ﴾

﴿ وَلَا تُحَرِّنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ .

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾

﴿ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (١) .

﴿ فَتَبَسَّمْ مَنَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ
وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢)

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغُفِرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغُفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٣)

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤)

﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ
الْجَحِيمِ ﴾

﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَرْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٥) .

﴿ فَسْتَدْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْهَظُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٦) .

﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ (٧)

﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا
تَرْضَاهُ وَأَصْلَحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٨) .

(١) الشعراء آية ٨٢ حتى ٨٩

(٢) النمل آية ٦٩

(٣) القصص آية ١٦

(٤) القصص آية ٢١

(٥) صافات آية ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦

(٦) صافات آية ٤٤

(٧) البقرة آية ١٢

(٨) الاحقاف آية ١٥

﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ (١) .

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢)

﴿ رَبَّنَا عَمَلْنَا تَوْكَلًا وَإِلَيْكَ أَمْنًا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفُ رُبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣) .

﴿ يَوْمَ لَا يُخْرِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْمِي بِيْن أَيْدِيهِمْ وَأَنْيَامُهُمْ بِمُؤَلُّودٍ رَبَّنَا أَنْصِرْ لَنَا نُورًا وَاعْفُ رُبَّنَا إِنَّكَ عَنَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤)

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْعَلَمِ (١) مِنْ شَرِّ مَنْ خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ عَاسِقٍ ذَا وَبٍ (٣) وَمِنْ شَرِّ انْتِفَاطَاتٍ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥) ﴾ (٥)

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ أَنْفَاسٍ (١) عَلَتْ أَنْفَاسٍ (٢) إِلَهَ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْغِيَةِ وَالنَّاسِ (٦) ﴾ (٦) .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٣) مَا نَكَ يَوْمَ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) ﴾ (٧) .

(١) النجم آية ٥٨

(٢) النحل آية ١

(٣) الممتحنة آية ٤ ، ٥

(٤) التحريم ٨

(٥) سورة المنق

(٦) سورة الناس

(٧) سورة المائدة

من دعاء الرسول ﷺ

استماتح الدعاء واسم الله الأعظم :

عبد الله بن بريدة ، عن أبيه ، رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ ، سمع رجلا يقول :

« اللهم إني أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » فقال :

« لقد سألت الله بالاسم الأعظم ، الذى إذا سئل به أعطى ، وإذا دعى به أجاب » (١) .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال . سمع النبي ﷺ رجلا وهو يقول ،

« يا ذا الجلال والإكرام » .

فقال : قد استعجب لك فسل (٢) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال مر النبي ﷺ ، بأبي عياض زيد بن الصامت ليرقى ، وهو يصلى وهو يقول .

اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت ، يا حنان ، يا منان يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي ، يا قيوم .

فقال رسول الله ، ﷺ :

« لقد سألت الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى » (٣) .

(١) رواه الترمذى وحسنه وقار الحافظ أبو الحسن المحمدي إسناده لا محذور فيه ولم يرد في هذا الباب حديث أجود إسناده منه

(٢) رواه الترمذى وحسنه

(٣) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم

وعن سعد بن أبي وقاص ، رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ .

« دعوة دى النون إذ دعاء وهو فى بطن لحوت ، ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني
كُنتُ من الظالمين ﴾ فإنه لم يدع بها مسلم فى شيء قط إلا استجاب الله له » (١) .

وعن أسماء بنت يزيد - فيما أخرجه الترمذى وقال عنه حديث حسن
صحيح - أن النبى ﷺ ، قال

« اسم الله الأعظم فى هاتين الآيتين :

« وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » .

وفاتحة آل عمران ﴿ الم ○ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ (٢) .

القلوب بيد الله :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال الله ﷻ

« اللهم مصرف لقلوب صرف قلوبنا على طاعتك » (٣) .

وعن شهر بن حوشب قال : قلت لأم سلمة رضى الله عنها يا أم المؤمنين ،
ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ ، إذا كان عندك ؟ قالت : كان أكثر دعائه ، « يا
مقلب القلوب ، ثبت قلبى على دينك » (٤) .

وإذا أسلم الرجل :

أخرج الإمام مسلم عن أبى مالك الأشجعى قال : كان الرجل إذا أسلم عنده
النبى ﷺ الصلاة ، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات :

اللهم اغفر لى ورحمنى ، واهدنى وعافنى ورزقنى .

وهى رواية أخرى عنه : أنه سمع النبى ﷺ ، وأتاه رجل فقال

يا رسول الله ، كيف أقول حين أسأل ربى ؟

(١) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد

(٢) آل عمران ١٠٠ - ٢

(٣) رواه الترمذى وقال حديث حسن

(٤) رواه مسلم

قال : قل اللهم اعمر لي وارحمني وعافني ورزقني ، ويجمع صابحه إلا الإبهام ، فبن هؤلاء تجمع لك دنياك وأخرتك .

وهيما أخرجه الترمذي وحسنه ، عن عمرو بن حصين رضي الله عنه قال

قال رسول الله ، ﷺ لأبي يا حصين ، كم تعبد اليوم إلها ؟

قال أبي : سبعة ، ستة في الأرض ، وواحد في السماء .

قال : هأنهم الذي يعد لرهيبتك ورعبتك ؟

قال : الذي في السماء .

قال يا حصين ، أما لك لو أسلمت لعلمتك كلمتين تتمعدك .

قال فلما أسلم حصين قال : يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين

وعدتني

فقال ، قل ، اللهم ألهمني رشدی ، وأعدني من شر نفسي .

سئوا الله العافية :

وعن أبي الفضل العباس بن عبيدالمطلب رضي الله عنه قال قلت - يا رسول الله ، علمني شيئا أسأله الله تعالى قال : سئوا الله العافية . فمكثت أياما ثم جئت فقلت يا رسول الله عسى شيئا أسأله الله تعالى . قال لي ، عباس يا عم رسول الله ، سئوا الله العافية في الدين والآخرة (١) .

وعن انس بن مالك رضي الله عنه ، ان رجلا جاء إلى النبي ﷺ ، فقال يا رسول الله ، أي الدعاء أفضل ؟

قال : سل ربك العافية في الدنيا والآخرة

ثم أتاه في اليوم الثاني فقال

يا رسول الله أي الدعاء أفضل ؟ فقال له مثل ذلك ، ثم أتاه في اليوم الثالث فقال مثل ذلك

(١) رواه الترمذي وقال حديث صحيح

فقال له :

« إدا أعطيت لعافية في تدب وأعطيتها في الآخرة ، فقد أفلحت » (١)

وعن أس بن مالك رضى الله عنه قال

قال رسول الله ﷺ

الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة .

قائلوا فماذا نقول يا رسول الله ؟

قال : سلو الله العافية في الدنيا والآخرة (٢) .

وعن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال :

لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسي

« اللهم إني أسألك العمو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي

اللهم استر عوراتي ، وامن روعاتي ، واحمظني من بين يدي ومن خلفي ،

ومن يميني ، ومن شمالي ومن فوقي ، وأعوذ بعظمتك أن اغتال من تحتني قال
يعنى الحسن (٣)

وسمع رسول الله ﷺ ، رجلا وهو يقول اللهم إني أسألك لصبر فقال ، ﷺ ،

سألت البلاء ، فأسأله العافية (٤) .

ومن أحل هذه التوجيهات النبوية الكريمة في مسألة العافية أثبت أبو

نحسن الشاذلي في حربه الكبير هذه الصيغة .

لهم إنا نسألك إيمانا دائما ونسألك قلبا خاشعا ونسألك علمنا دائما

ونسألك يقينا صادقا ، ونسألك العافية من كل ليلية ، ونسألك تمام العافية ،

ونسألك دوام العافية ، ونسألك الشكر على لعافية ، ونسألك الفنى عن لئام

(١) أخرجه الإمام أحمد والترمذي وقال هذا حديث حسن

(٢) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن

(٣) أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه

(٤) أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن

دعاء الصباح والمساء :

أخرج البخاري عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ، أن النبي ﷺ ، كان إذا استيقظ ، وفى رواية : أصبح ، قال :

« الحمد لله الذى أحياى بعد ما أماتنا وإليه ،لنشور »

وفى الصباح أيضا قل :

« أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ، وعلى دين نبينا محمد ﷺ ، وملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين » .

ويقول :

رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد ﷺ ، نبي ورسولا .

وفى المساء يقول كما يقول فى الصباح مع تعبير كلمة «أصبحنا» بكلمة «أمسينا» .

روى ابن العسى عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبي ﷺ ، قال

من قال فى كل يوم حين يصبح وحين يمسي

« حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم » سبع مرات كفاه الله تعالى ما همم من أمر الدنيا والآخرة .

وروى الترمذى حديثا حسنا صحيحا عن ثوبان ، أن رسول الله ﷺ ، قال :

من قال حين يمسي وإذا أصبح . رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد ﷺ نبيا ، كان حقا على الله أن يرصيه .

وروى الترمذى حديثا حسنا صحيحا ، عن أبى هريرة أن أب بكر الصديق

قال لرسول الله ﷺ :

مرسى بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت .

قال : قل ، اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض رب كل

شئ ومليك . أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسك ، وشر نبيك ، وشر شركه ، وأن تقتره سوءا على انصبا أو بجره على مسلم .

قوله ، إذا أصبحت ، وإذا أمسيت ، وإذا أخذت مضجعت ،
وأخرج البخاري عن شداد بن أوس الأنصاري رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« سيد الاستغفار أن يقول أعبد الله أنت ربى لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبي ، فأعفر لى ، به لا يقفر الفتوى إلا أنت من قالها فى أول النهار موقفاً بها همت من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل موقفاً بها همت قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة .
وهيما أخرجه البخاري عن حذيفة بن ايمان رضى الله عنه قال
كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه قال :
« باسمك اللهم أحى وأموت » .

عنه النوم .

عن حذيفة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول اللهم حتى عذابك يوم تبعث عبادك ^(١)
وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ
إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليفض فراشه بدحلة أزاره فيه لا يدرى ما حلمه فيه ، ثم يقول .

« باسمك ربى وضمت جبى وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » ^(٢)
وقال شداد بن أوس ^(٣) لرجل من بني حنظلة .
ألا أعلمك ما كان رسول الله ﷺ يعمد أن يقول :

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن

(٢) متفق عليه

(٣) أخرجه الإمام أحمد رضى الله عنه والترمذي والنسائي

لهم إني أسألك اثبات في الأمر ، وأسألك عريضة الرشد ، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ، وأسألك ساداً صامداً ، وقلباً سليماً ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأسألك من خير ما تعلم ، و أستعمرك مما تميم ، إنك أنت علام الغيوب .
قال :

وقال رسول الله ﷺ ، ما من مسلم يأخذ مصحفه فيقرأ سورة من كتاب الله عز وجل إلا وكل الله عز وجل به ملكاً فلا يقربه شيء يؤديه حتى يهب متى هب .

دعاء يقال عند الكرب من أجل الضرج :

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم (١) ،

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

كان النبي ﷺ ، إذا كربه أمر قال

« يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث » (٢) .

وروى أبو داود في سننه عن أبي بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال

دعوات المكروب : « اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت » .

عند التوجع :

إذا وجدت وجع في حسرك فضع يدك على الذي يتألم من حسرك وقل

« بسم الله (ثلاثاً) وقل سبع مرات أعود بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » (٣) .

(١) متفق عليه

(٢) أخرجه الترمذي

(٣) رواه الإمام مسلم

لنهي عن تمس الموت :

أخرج الشيخان عن أس بن مالك رضي الله عنه قال

قال رسول الله ﷺ

« لا يتمين أحدكم الموت من صر أصابه ، فإذا كان لابد هاعلا فليقل اللهم
أحييني ما دامت الحياة خيرا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي »

فإذا أصابك هم فقل :

اللهم إني عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك ، باصيتي بيدك ، ماض في
حكمتك ، عدل في قصاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أبلغته
في كتابك ، أو أعلمته أحد ، من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك : أن
تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وحلاء عمي وذهب حرني وهمي
قال صلى الله عليه وسلم ما أصاب أحدا حزن فقال ذلك إلا أذهب الله
همه ، وأبدله مكانه فرحا .

فقبل ، يا رسول الله أفلا يتعلمها ؟

فقال ﷺ : بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها (١) .

إذا خفت قوما . فقل :

اللهم إنا نجعلك في نحورهم ، ونعوذ بك من شرورهم (٢) .

إذا رأيت شيئا تكرهه :

ليس التشاؤم من الإسلام في شيء ، ومع ذلك فإنه إذا رأى الإنسان ما يكره
على أي وصع كان فليقل - كما جاء في حديث رسول الله ﷺ -

اللهم لا يأتني بالحسنة إلا أنت ، ولا يذهب بالمسيئات إلا أنت ، لا حول ولا
قوة إلا بالله

(١) رواه الإمام أحمد

(٢) مسند صحيح من حديث أبي موسى

عند الصواعق كما رواه ابن السنن بإسناد حسن :

« اللهم لا تقتك بعصبك . ولا تهلكنا بعداك . وعافنا قبل ذلك »

عند سماع الرعد كما رواه الإمام مالك موقوفا على عبدالله بن الزبير:

« سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته »

عند الفزع في النوم :

فيما أخرجه الإمام أحمد والترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده
أن النبي ﷺ قال :

« إذا فرغ أحدكم في يوم قليل أعود بكلمات الله التامة من عصبيه
وعقابه وشر عبادته . ومن همرات الشياطين وأن يعصروا » فربها لن تصره
قال : وكان عبدالله بن عمرو يلقيها من بلع من ولده . ومن لم يبلغ منهم
كتبها في صدره ، ثم علقها في عنقه .

للحفظ في المكان :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
جاء رجل إلى نبي ﷺ . فقال يا رسول الله ما لقيت من عقرب تدغشي
لبارحة .

قال : أما لو قلت حين أمسيت

« أعود بكلمات الله التامات من شر ما خلق » لم يصرك شيء ^(١) .
وعز حولة بنت حكيم لسلامية رضي الله عنها ، أنها سمعت رسول الله ﷺ
يقول

إذا نزل أحدكم منرا فليقل :

« أعود بكلمات الله التامات من شر ما خلق » .

فإنه لا يصره شيء حتى يرتحل منه ^(٢) .

(١) أخرجه مسلم

(٢) رواه مسلم

عند دخول المنزل :

روى الإمام مسلم عن جابر رضى الله عنه ، قال :

سمعت رسول الله ﷺ ، يقول :

إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله ، وعند طعامه ، قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء .

وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله ، قال الشيطان : أدركتم المبيت ، فإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه ، قال : أدركتم المبيت والعشاء

عند الخروج من المنزل :

روى أبو داود عن أنس رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ . قال

من قال : . يعنى إذا خرج من بيته . باسم الله . توكلت على الله . ولا حول ولا قوة إلا بالله . يقال له : كفيت ووقيت ، وهيت . وتتحى عنه الشيطان فيقول لشيطان آخر : كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى

عند رؤية ما يسره :

عن أنس رضى الله عنه - فيما رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد . أن رسول الله ﷺ ، كن إذا رأى ما يسره قال الحمد لله لدى بعثته تتم الصالحات .

وإذا رأى ما يسوءه قال :

« الحمد لله على كل حال » .

أما النصيحة القرآنية لكل من رأى ما يسره من أهله أو ماله فهي أن يقول :

ما شاء الله لا قوة إلا بالله .

وهذه الكلمة القرآنية الكريمة من حصائثها المنع من الحسد ، ومن حصائثها الحمض والريادة .

عند الشروع في امر :

﴿ رَبِّ اتَّقِ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ (١) .

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ (٢)

عند دخول السوق :

روى الحاكم بإسناد قال عنه صحيح على شرط الشيخين أن السنة عند

دخول السوق أن يقول الإنسان :

« لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت وهو

حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير »

عند الشراء يقول :

اللهم إني أسألك خيره وحير ما جبل عليه ، وأعوذ بك من شره وشر ما

جبل عليه .

»

فإذا لبست ثوباً جديداً^(٣)

روى الترمذى بإسناد حسن عن رسول الله ﷺ قوله

اللهم كسوثنى هذا الثوب فلك الحمد ، أسألك من خيره وحير ما صنع له ،

وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له .

عند النظر إلى السماء :

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٣)

عند القيام من المجلس :

روى عن رسول الله ﷺ بإسناد حسن أن كفاية المجلس أن يقول الإنسان

عند القيام

(١) تكهيمية ١

(٢) طه آية ١٥ ١٦

(٣) آل عمران آية ١٦١

« سبحانك اللهم وبحمدك ،، شهد أن لا إله إلا أنت ، استعمرتك و توب إليك ، »

وهيما روه الترمذى وحسنه أن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما ، قال
قل ما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات
لأصحابه

« اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك
ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا
باسماعتنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعل الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من
ظلمنا ، وانصرنا على أعدائنا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر
همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا »

إذا هبت الريح ،

وإذا هبت الريح يقول ، هيما رواء الترمذى وقال حديث حسن صحيح
اللهم إني أسألك خير هذه الريح ، وخير ما فيها ، وخير ما أرسلت به
وعود بك من شرها ، وشر ما فيها ، وشر ما أرسلت به .

وعند رؤية الهلال :

عند رؤية الهلال - هيما رواء الترمذى وحسنه .

اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، ربي وربك الله

عند السفر ،

عن علي بن عبدالله الأردى رضى الله عنه - هيما جرحه لإمام مسلم أن
أس عمر رضى الله عنهما . علمهم أن رسول الله ﷺ ، كان إذا استوى على بعيره
خارجا إلى سمرة .

كبر ثلاثا ، ثم قال سبحان الذى سحر لنا هذا وما كنا له مقرين ^(١) ، وما
إلى ربنا لمقلبون .

{ ١ } مقرين مستطمين متبخرين

اللهم إنا سألوك في سفرنا هذا ، أيسر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى اللهم
 هون علينا سفرنا هذا واطو بقدره ، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في
 الأهل ، اللهم إني أعوذ بك من وعشاء السفر^(١) ، وكآبة المنظر ، وسوء المقلب في
 المال والأهل والولد

وإذا رجع قالهن وراد فيهن - يبور^(٢) تائبون عابدون لربنا حامدون .

وعندما يودع شخصا :

كان رسول الله ﷺ ، يودعنا فيقول ستودع الله دينك وأمانتك ، وخواتيم
 عملك^(٣)

دعاء لسداد الدين :

عن علي رضي الله عنه ، أن مكاتبا جاءه فقال : إني عجرت عن كتابتي
 فأعني ، قال

ألا أعلمك كلمات عسيهن رسول الله ﷺ ، لو كانت عليك مثل جبل ديبا
 أداه الله عنك ؟

« قل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك ، وأعني بمصدق عن سواك »^(٤)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :

دخل رسول الله ﷺ ، ذات يوم المسجد ، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له
 أبو أمامة فقال له .

يا أبا أمامة : مائي أراك في المسجد في غير وقت الصلاة ؟

فقال : هموم لزممتي وديون ، يا رسول الله .

فقال ﷺ ألا أعلمك كلاما إذا أنت قلته أذهب الله عنك همك ،
 وقضى عنك دينك .

(١) وعشاء مشقة

(٢) يبور راجعون

(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

(٤) رواه الترمذي وقال حديث حسن

قلت : بلى يا رسول الله .

قال : قل إذا أصبحت وإذا أمسيت : اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ،
وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من عسة
الدين وقهر الرجال .

قال : ففعلت ذلك ، فأذهب همي ، وقصني عني ديني (١) .

جزاء المعروف :

عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ
من صنع إليه معروف فقال لفاعله : جزك الله حيرا فقد أبلغ في الشاء (٢) .

فإذا استصعب عليه أمر :

روى ابن السكيت عن أس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال
اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحزن سهلا .

كسارة العيبة :

وقال ﷺ :

إن كسارة الغيبة أن تستغفر لمن امتيته ، تقول :

اللهم اغفر لنا وله .

من أجل عدم إصابة البلاء :

عن بسر بن أرطاة ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول
اللهم أحسن عاقبتى في الأمور كلها ، وأجرنى من حزن الدنيا وعدب
الآخرة

وقال : من كان ذلك دعاؤه ما يخير أن يصيبه البلاء (٣) .

(١) أخرجه أبو داود

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

(٣) رواه الطبراني بإسناده في المعجم الكبير

دعاء المغفرة في الصلاة وفي البيت وفي غير ذلك :

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ علمني دعاء أدعوه به في صلاتي ، وفي رواية - وفي بيتي - قال :

« قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاعصر لي مغفرة من عندك ورحمني إنك أنت الغفور الرحيم (١) »

عند الخروج إلى المقابر :

أخرج الإمام مسلم ، عن سليمان بن بريدة عن أبيه ، قال

« كان رسول الله ﷺ ، يعلمهم ، إذ خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم

« السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون ، أسأل الله لنا ولكم العافية » .

الجوامع من الدعاء :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ ، يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك (٢) .

من جوامع الدعاء :

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : دعا رسول الله ﷺ بدعاء كثير لم يحفظ منه شيئاً ، قلنا : يا رسول الله ، دعوت دعاء كثير لم يحفظ منه شيئاً ؟ فقال ، ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله تقول :

« اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ، وبعود بك من شر ما استعد منه نبيك محمد ﷺ ، وأنت المستعان ، وعليك البلاع ، ولا حول ولا قوة ، لا بإلله » (٣) .

وعنه رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله ﷺ يقول

(٢) حنبل عليه

(٢) رواه أبو داود بإسناد جيد

(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن

« اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر » (١) .

وروى الحاكم هي صحيحه أن رسول الله ﷺ قال

أتحبون أيها الناس أن يجتهدوا في الدعاء ؟

قالوا : نعم يا رسول الله

قال : قولوا اللهم أعف عني ذكرك وشكرك وحسن عبادتك

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان من دعاء رسول الله ﷺ

« اللهم إني أسألك مروجبت رحمتك وعراثم معصرتك ، والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار » (٢) .

وعن عمران بن الحصين رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ، علم أباه حصيبا كلمتين يدعو بهما : « اللهم ألهمني رشدي ، وأعدني من شر نفسي » (٣) .

وأخرج الترمذي وحسنه ، عن قطبة بن مالك رضي الله عنه قال - كان النبي ﷺ يقول :

« اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء »

وعن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ ، كان يقول هي دعائه

« اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل » (٤) .

وروى الإمام مسلم رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ كان يقول

« اسئلكم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها » (٥) .

(١) رواه مسلم

(٢) رواه الحاكم أبو عبد الله وقال حديث صحيح على شرط مسلم

(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن

(٤) رواه مسلم

(٥) رواه مسلم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال .

تعوذوا بالله من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وموت القضاء ، وشماتة الأعداء (١) .

وفيما أخرجه الإمام مسلم ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، أنه كان يقول .

« اللهم إني أسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى » .

وفيما أخرجه الإمام مسلم رضي الله عنه أن السيدة عائشة رضي الله عنها سألت عن دعاء كان يدعو به رسول الله ﷺ ، قالت

كان يقول « اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل »

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال

قال رسول الله ﷺ . قل : اللهم اهْدني وسددني .

وفي رواية قل اللهم إني أسألك الهدى وتيسير ، واذكر بالهدى هدتك الطريق ، وبالتيسير سداد السهم (٢) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ، كان يقول

اللهم لك أسلمت ، وبك أمنت ، وبميك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لي ما قنمت وما أحرمت ، لا إله إلا أنت .

زاد بعض الرواة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله (٣)

وروى الشيخان بمسندهما عن أبي موسى عبد الله بن قيس رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، أنه كان يدعو بهذا الدعاء :

اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني .

اللهم اغفر لي جدي وهزلي ، وخطئي وعمدي ، وكل ذلك عدي .

(١) متفق عليه

(٢) أخرجه الإمام أحمد ومسلم

(٣) متفق عليه

اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير .

وأخرج الترمذى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال

عمنى رسول الله ﷺ ، قال : قل

اللهم اجعل سريرى حيرا من علايتى ، واجعل علايتى صالحا .

« اللهم إني أسألك من صالح ما تؤتى الناس من المال والأهل والولد غير

الضال ولا المصل » .

وعبما أخرجه الإمام مسلم رضى الله عنه عن عبد الله بن عمر بن الخطاب

رضى الله عنهما ، قال :

« كن من دعاء رسول الله ﷺ

« اللهم إني أعوذ بك من روال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجأة بقمتهك

وجميع سحقك » .

وروى الإمام مسلم عن عيسى بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال

رسول الله ﷺ :

« قل : اللهم اهْدني وسددني .

وفى رواية ، قل : اللهم إني أسألك الهدى واستداد .

وذكر بالهدى هدايتك الطريق ، وبالاستداد - سداد السهم .

دعاء عرفة :

روى الترمذى بسنده أن النبى ﷺ قال

« خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والسيون من قبلى لا إله إلا

الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » .

وعن على رضى الله عنه قال :

« أكثر ما دعا به رسول الله ﷺ ، عشية عرفة هي الموقف اللهم لك الحمد

كالذى نقول ، وخيرا مما نقول ، لك صلواتى وسكى ، ومحياى ، ومماتى ، وإليك

مآبى ولك رب تراثى ، اللهم أعوذ بك من شر ما تجيء به الريح » .

وفد روى أيضا ، أن رسول الله ﷺ كان يقول

« لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم اجعل في بصرى نورا ، وفي سمعى نورا ، وفي قلبى نورا ، اللهم اشرح لى صدرى ، وبسر لى أمرى ، اللهم أعود بك من وسواس الصدر ، وبشتات الأمور ، وهتة القصر وشر ما يلج فى اللين وشر ما تلج فى النهار وشر ما تهب به الرياح ومن شرب بوائق الدهر » .

ومن دعاء يوم عرفة أيضا قوله ﷺ :

« اللهم إنيك تسمع كلامى ، وترى مكى ، وتعلم سرى وعلايتى ولا يحصى عليك شيء من أمرى ، أنا لبائس الفقير المستعيب المسجى ، الوجع المشفق ، المعسر بذه ، أسألك مسألة المسكين ، وأبهل إليك نهال المذنب الدليل ، وأدعوك دعاء الحائف الصرير ، دعاء من حصعت لك رقيته ، وفاصت لك عبرته ، وذل لك جسده ورغم لك أنفه . اللهم لا تجعلى سعائك رب شقيا وكريما رءوفا رحاما يا خير المستوثين ، وأكرم المعطين » .

ما يجمع الدنيا والآخرة .

عن طارق نه سمع النبى ﷺ ، وأنه رحل فقال يا رسول الله . كيف أقول حين أسألك ربي ؟ قال :

قل : اللهم اغصر لى ورحمنى وعافى وارزقنى فإن هؤلاء تجمع لك ديدك وأحرنك (١) .

من أقامهن دخل الجنة :

هيب أحرجه الإمام أحمد والترمذى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال .

كان النبى ﷺ ، إذا أزل عليه الوحى سمع بعد وجهه كدوى الحبل فأمرل عبه يوما فهكث عنده ساعة فسرى عنه ، فاستقبل القلة ورفع يديه ، وقال

(١) رواه مسلم

اللهم ردنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا .

ثم قال ﷺ أنزلت على عشر آيات من أقامهن محل الحنة ، ثم قرأ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَسَبِهِمْ حَافِظُونَ (٣) إِلَّا عَلَى أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٤) فَمَنْ أَتَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٥) وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ أُمَمَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاضُونَ (٦) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٧) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (٨) ﴾ (١) .

لا تدعوا على أنفسكم ،

عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ، ﷺ :

« لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم

لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم » (٢)

صلاة الاستخارة ودعاؤها :

أخرج الإمام أحمد والإمام البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال .

كان رسول الله ﷺ يعلم الاستخارة في الأمور كلها كما يعلم السورة من القرآن ، يقول :

إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل

اللهم إني أستجيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إني كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، أو قال صجلي مري وآجله فأقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه .

(١) مؤمنين ١٠٠

(٢) رواه مسلم

اللهم وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ،
أو هل في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني ، واصرفني عنه ، واقدر لي الخير
حيث كان ، ثم رضني به . ويسمى حاجته .

صلاة الحاجة ودعاؤها :

يقول الإمام الذهلي :

والأصل فيها أن الابتغاء من الناس ، وطلب الحاجة منهم مظنة أن يرى إعانة
ما من غير الله تعالى فيحل بتوحيد الاستعانة فشرع لهم صلاة ودعاء ، ليدفع
عنهم هذا الشر ، ويصير وقوع الحاجة مؤيذا له فيما هو بسبيله من الإحسان .
حسن لهم أن يركعوا ركعتين ثم يثبوا على الله ، ويصلوا على النبي ﷺ ثم
يقولوا :

« لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم ، و الحمد لله
رب العالمين ، أسألك موجبات (١) رحمتك ، وعزائم مفعمرتك ، والعزيمة من كل مر
والسلامة من كل إثم ، لا تدع لي ذنباً إلا عمرتته ، ولا هما إلا فرجته ، ولا حاجة
هي لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين » (٢)

التوسل برسول الله ﷺ :

أخرج الترمذي ، في حديث حسن صحيح ، عن عثمان بن حنيف رضي الله
عنه .

أن رجلاً صرير البصر أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله أن يعافيني ، قال : إن
شئت دعوت ، وإن شئت صبرت فهو خير لك ؟

قال فداعه ، قال فأمره أن يتربصاً فيحسن وضوءه ، ويدعو بهذا الدعاء
اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بسببك محمد بنی الرحمة ، إني توجهت بك
إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي ، اللهم فسمعني في

(١) الأعمال التي توجب لي رحمتك - وعزائم مفعمرتك الأفعال التي تتأكد بها مفعمرتك .

(٢) الذهلي ج ٢ ص ٤٥١

الذكر والدعاء بغير المأثور

ويصح الذكر والدعاء بغير المأثور ، والأحاديث التالية دليل على ذلك هي
جانبى الذكر والدعاء .

عن أنس رضى الله عنه ، قال :

كنت مع رسول الله ﷺ ، جالسا فى الحلقة إذ جاء رجل فسلم على
رسول الله ﷺ ، والقوم ، فقل السلام عليكم ورحمة الله ، فرر رسول الله ﷺ
وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

فلما جلس الرجل قال

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، كما يحب ربنا أن يعمد
ويسمى له .

فقل له رسول الله ﷺ كيف قلت ؟ فرد عليه كما قال فقال النبى ﷺ

والذى يصمى بيده ، لقد ابتدرها عشرة أملاك ، كنهم حريص على أن
يكتبوها ، فما دروا كيف يكتبونها حتى رفعوها إلى دى لعمرة ، فقال اكتبوها كما
قال عبدى .

رواه أحمد ، ورواه ثقات ، والسائى ، وابن حبان فى صحيحه ، إلا أنهم
قالا :

« كما يحب ربنا ويرضى » (١) .

عن عبيد الله بن عمر رضى الله عنهما هبما رواه الإمام أحمد ، وابن
ماجه - أن رسول الله ﷺ حدثهم أن عبيد من عبياد الله قال : يارب لك الحمد
كما ينبغي لجلال وجهك ، ولعظيم سلطانك ، فضلت بالمكن (٢) فلم يدريا كيف
يكتبانها .. فقصنا إلى أسماء ، فقالا :

(١) انظر الترغيب والترهيب كتاب ذكر والدعاء

(٢) أى اشنت عليهما ، وعظمت ريم يد يدو بها ، حرف

يا ربنا ، إن عبدك قد قال مقالة لا بدري كيف يكتبها ؟

قال الله ، وهو أعلم بما قال عبده ، ماذا قال عبدي ؟

قالا : يا رب إنه قال : يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ، ولعظيم

سبطائك

فقال لله لهم : اكتنباها كما قال عبدي حتى يبقى فأجريه بها

وقد أخرج أبو داود بسند جيد عن بعض الصحابة ، أن النبي قال لرجل

كيف تقول في الصلاة ؟

قال الرجل : « أتشهد ثم أقول اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار »

ثم قال لرجل لرسول ﷺ : « أما إني لا أحسن دينك (أي نعم قولك في الدعاء)

ولا دينه معاد .

فقال النبي ﷺ : « حول ذلك دين أنا ومعاد » .

قال الصنعدي ، فعليه أنه يدعو للإنسان بأي لفظ شاء من مأثور وغيره .

دعاء الحليل عليه الصلاة والسلام :

كان يقول إذا أصبح ، اللهم إن هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك ،

واحتمه لي بمقررتك وصوتك ، و رقتي فيه حسنة تقبلها عني ، وركها وضعفها

لي وما عملت فيه من سيئة فاعمرها لي إنك عفو رحيم ودود كريم

قال ومن دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه .

دعاء الحضر عليه السلام :

يقال إن الخضر وإلياس عليهما السلام إذا التقيا في كل موسم لم يمتزقا إلا

عن هذه الكلمات باسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل بركة من

الله ، ما شاء الله الخير كله بيد الله ، ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله فمن

قالها ثلاث مرات إذا أصبح أمن من الحرق والعرق و لسرق إن شاء الله تعالى ()

(١) عن كتاب إحياء علوم الدين

ومن ذلك ما كان يدعو به سيدنا عمر بن عبدالعزيز بقلا عن كتاب سيرة
عمر بن عبدالعزيز (١) ١٩

اللهم رضى بقصائك ، وبارك لى فى قدرك ، حتى لا أحب تعجيل ما أخرت
ولا تأخير ما عجلت .

وكان عمر بن عبد العزيز يقول ما يرحب به هذا الدعاء حتى لقد أصبحت
ومالى فى شىء من الأمور هوى إلا فى مواضع القصاء .

وكان عمر بن عبد العزيز إذا دخل الكعبة قال اللهم إنيك وعدت الأمن دحل
بيتك ، وأنت خير مبرور به فى بيته . اللهم اجعل أمان ما ترضى به . أن تكفى
مؤوبه الدنيا ، وكل هول دون الجنة حتى تبلغنيها برحمتك يا أرحم الراحمين .

وكان أيضا يدعو فيقول اللهم ألبسني العافية حتى تهينني المعيشة . واحتج
بى بالمعصرة حتى لا تصرى الذنوب ، واكفى كل هول دون الجنة حتى تبلغنيها
برحمتك يا أرحم الراحمين .

وكان إذا وقف بعرفات قال . اللهم إنيك دعوت إلى حج بيتك ، ووعدت به
منفعة على شهود ممايتك ، وعدتني . اللهم جعل منعمة ما تمنعني به أن
تؤتيني فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ، وأن تقينى عذاب النار

وكان يقول . اللهم لا تعطنى فى الدنيا عطاء يبعدنى من رحمتك فى الآخرة
وكان يقول يا رب انفسى بعقلى ، وجعل ما أصير إليه أهم إلى ما يقطع
عنى ، اللهم إني أحسب بك نظر فأحسن لى الثواب ، اللهم أعطنى من الدنيا ما
تقينى به فتنتها ، وتعينى به عن أهلها ، وتجمع لى بلاعا إلى ما هو خير لى منها .
فبه لا حول ولا قوة إلا بك .

دعاء معروف الكرخي رضى الله عنه :

قال محمد بن حسان قال لى معروف الكرخي رحمه الله ألا أعلمك عشر
كلمات ، خمس للدنيا وخمس للآخرة ، من دعا الله عز وجل بهر وجد الله تعالى
عنده ، قلت اكتبها لى ، قال لا ، ولكن أربدها عليك كما ردها على بكرى

(١) تحقيق الأستاذ حمد عبيد ، مطبع ، دار العلم للملايين

خيس رحمه الله ، حسبي الله لديي حسبي الله لديي ، حسبي الله الكريم ،
 أهمني حسبي الله الحليم القوي لم ير علي ، حسبي الله الشديد لم يكدني
 يموء ، حسبي الله الرحيم عند الموت ، حسبي الله لرؤوف عند المسألة هي لقبر
 حسبي الله الكريم عند الحساب ، حسبي الله اللطيف عند الميزان ، حسبي الله
 القدير عند الصراط ، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش
 العظيم (١) .

الشاذلي والذكر والدعاء :

وقد أعاص الإمام الشاذلي رضي الله عنه في الذكر والدعاء مستتهما الكتاب
 والسنة ومائترا على حدودهما ، نقتصر من ذلك ما يلي .

اللهم إني أسألك لساناً رطباً بذكرك ، وقلماً مغمماً بشكرك ، وبدناً هيباً ليلاً
 بصاعتك ، وأعظماً مع ذلك ما لا عين رأت ولا أدن سمعت ، ولا حطر على قلب
 ينثر كما أحمر به رسولك ﷺ حسب ما غمته بعمك وأعنا بلا سبب واحملنا
 سبب العنى لأوليئك ، وبرحاً بينهم وبين أعدائك ، إلهك على كل شيء قدير

اللهم إنا نسألك إيماناً دائماً ، ونسألك قلباً حاشعاً ، ونسألك علماً نافعا ،
 ونسألك يقيناً صادقا ، ونسألك ديناً قيعاً ، ونسألك العافية من كل بنية ، ونسألك
 تمام العافية ، ونسألك دوام العافية ، ونسألك الشكر على العافية ، ونسألك لعنى
 عن نيس ، اللهم إني أسألك التوبة الكاملة ، والمعصرة الشاملة والمحبة الكاملة
 الجامعة ، والخلة الصافية ، والمعرفة النواصة ، والأنوار المساطعة ، والشفاعة
 القائمة ، وبحجة النالعة ، والدرجة العالية ، وهك وثاقنا من المعصية ورهاننا من
 العقبة بمواهب المنة .

اللهم إنا نسألك لتوبة ودوامها ، ونعوذ بك من المعصية وأسببها ، فذكرنا
 بالحواف منك قبل هجوم حظرتك ، واحملنا على السجدة معها ومن التفكير في
 طرائقها ، ومنح من قلوبنا حلاوة ما اجتنبها منها ، واستبدلها بالكراهة لها ولطعم
 لما هو بضدنا ، وأفضل علينا من بحر كرمك وعصرك حتى يخرج من الدنيا على

(١) من كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي

والسلامة من وبائها واحملنا عند الموت باطقين بالشهادة عاملين بها ، وأراف ب
رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها ، وأرحنا من هموم الدنيا وعمومها
بالروح والريحان إلى الجنة ونعيمها .

اللهم يا سائلك توبة سابقة منك إلينا لتكون ثوبنا تابعة إليك منا ، وهب
لنا التلقى منك كتلقى آدم منك الكلمات ليكون قدوة لولده في التوبة والأعمال
الصالحات ، وباعد بيننا وبين العناد والإصرار والشبه بإبليس رأس العواة واحمل
سيئاتنا سيئات من أحببت ، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت فالإحسان لا
يفع مع النقص منك والإساءة لا تعتبر مع أحب منك ، وقد أبغضت لأمر علينا
لمرحو وبحاف ، هأمن خوفنا ولا تحيب رجاءنا ، وأعطينا سؤالنا ، هضد أعطيتنا
لإيمان من قبل أن سألك ، وكنت ، وحسبت ورييت وكرهت وأطلقت الألسر بها
به ترجمت فنعمة الرب أنت فلك الحمد على ما أعمت ، هاعمر لنا ولا تعاقبنا
بالسلب بعد العطاء ولا بكفرا إن نعم وحرمان الرضا .

اللهم رصنا بقصائك وصيرب على طاعتك ومن ممصيتك وعن الشهوات
الموجبات للنقص أو لبعد منك وهب لنا حقيقة الإيمان بك حتى لا نحاف غيرك
ولا نرحر غيرك ولا نحسب غيرك ولا نعد شيئا سواك ، وأورعنا شكر نعمائك ،
وغطنا برداء صاهيتك ، وانصربا باليقين والتوكل عليك ، وسمرب وحوهنا سور
صفائك ، وأصحبك وشرب يوم القيامة بين أوليائك ، واجمل يدك مبسوطة علينا
وعلى أهلينا وأولادنا ومن معنا برحمتك ولا تكلنا إلى أنفسنا صرعة عين ولا أقل
من ذلك يا نعم المجيب يا نعم المجيب ، يا نعم المجيب

ومن دعاء سيدي علي وفا :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم بي أعددت لكل هول ألقاه في الدنيا والآخرة لا إله إلا الله ، ولكل هم
وعم ما شاء الله ، ولكل نعمة الحمد لله ، ولكل رجاء وشدة الشكر لله ، ولكل
أعحوبة سبحان الله ، ولكل دس أستغفر لله ، ولكل صيق حسبي الله ، ولكل
مصيبة يا لله وإنا إليه ، احملون ، ولكل قصاء وقدرك توكلت على الله ، ولكل طاعة
ومعصية لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

اللهم ردنا ولا تنقصنا . وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وأثرنا ولا تؤثر علينا وأرضنا وارض عنا وتقبل منا يا كريم برحمتك يا أرحم الراحمين . آمين .
والحمد لله رب العالمين (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم اجمعنا على أهل العلم و المعرفة والولادة والخصوصية والاصطوائية بحسن الأدب والإخلاص في المقصد ، ونهويق في المطالب ، و سلك بنا طريق السنة ، وجنبنا طريق البدعة ، ووفقنا بلمهم عندك ، وحسن الاعتقاد في الإيمان بأسمائك وصفاتك (٢)

ذكر ودعاء

يقول الله تعالى

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ ۝ (٣) ﴾ .

يقول سبحانه

﴿ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيُّ مَا نَدْعُوا فَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۝ (٤) ﴾

وحيثما يكرر الإنسان سبحانه وقلبه سما من أسماء الله سبحانه وتعالى فإنه يكون في أثناء التكرار ذاكرة وداعيا

فإد ذكر باسم الرحمن سبحانه أو باسم الرحيم ، فإنه ذكر لرحمانية الله ورحيميته ، وهو من هذا القبيل ذكر ، أي تذكر لله بصفة من صفاته

بيد أن من ثمر هذا الذكر - وللذكر ثمار كثيرة - فيما يتعلق بحط العبد منه إنما هو أن يرحمه الله تعالى . وبمقدار تكراره محطصا يكون في رياض من رحمة الله سبحانه

(١) يسمى هذا الدعاء المبارك بحرب كلمة عشر

(٢) وهذا الدعاء المبارك يسمى بحرب المعرفة

(٤) الإسراء ١١٠

(٣) لأعراف ١٨

ولقد لحأ كثير من الصالحين إلى لقراء القرآن الكريم يستلهمونه ذكراً مناسباً
لحالات معينة ليكون ذكراً ودعاءً أو ليكون دواءً وصمة الله هي ظروف محددة ،
وهو في الوقت نفسه عبادة

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرِلُّ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْغَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (١)

هذه الآية الكريمة تنتهي بقوله تعالى : الولي الحميد :

ومعنى ذلك أن يرسل الغيث بعد اليأس من نزوله ، وينشر الرحمة بعد ، حيث
أوشك الناس أن يصدوا الأمن منها ، إنما كان دافعاً من صفة الله سبحانه لتي
هي : لولي الحميد .

وذكر فإن الإنسان خبيثاً يكون في ظروف شديدة ، ولا يرى فيها فرجه
للأمل ، فعليه أن يبعث إلى الله بصفته لولي لحميد ، أي عليه أن يديم الذكر
- متحداً إلى الله بكل كيانه - بصفة الولي الحميد .

فإذا ما فعل ذلك ، نزل الغيث أي أتى الفرج ، وفاضت عليه رحمة الله
ويقول الله تعالى :

﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٤) فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْهِمْ وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٥) إِنَّا
كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ (٢)

والبر الرحيم ، من أجمل الصفات وأسبها لاستجابة الدعاء

وعلى الداعي الذي يعمل على تحقيق شروط الدعاء ، أن يلجأ إلى الله
لاستجابة دعائه بصفته البر الرحيم ، وذلك إشارة قرآنية لاستجابة الدعاء

أما المعفرة فإن الصبيح التي يلجأ إليها الإنسان كثيرة متعددة ، منها
الغفور الرحيم .

ومنها : غفور رحيم .

بالتعريف هي الاسمين الشريطين وبدونه

(١) البقرة آية ٢٨

(٢) الطور آية ٣٦ ، ٢٨

يقول تعالى

﴿ . . . وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ الْإِلَهِ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١) .

ويقول سبحانه

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلًا مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

وهي القرآن من أمثال هذا كثير للدلالة على كيمية الالتجاء إلى الله من أجل المعفرة ، على أن الالتجاء إلى الله للمعمرة له صيغ أخرى أرشد الله إليها ، منها ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَ وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣)

ومنها

﴿ رَبِّ زِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ... ﴾ (٤) .

ويرى بعض الصالحين أن هذه الصيغ وهذه الأسماء ، إنما هي صور لاسم الله الأعظم ، وأنه ليس لاسم الله الأعظم صيغة واحدة ، أو اسم واحد ، وإنما هو صيغ وأسماء ، ولكل حالة ما يناسبها .

وعلى هذا فاسم الله الأعظم الذي يوصف لسمعة الرزق إنما هو الاستعمار

يقول تعالى

﴿ اسْتَعْمَرُوا رَبُّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ رَسِيٍّ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَابٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (٥) .

واسم الله الأعظم الذي يوصف للنجاة من العذاب في الدنيا إنما هو

الاستغفار أيضا

(١) الشورى آية ٥

(٢) الحديد آية ٢٨

(٣) الأعراف آية ٢٢

(٤) القصص ١٦

(٥) نوح آية ١٧

يقول تعالى

﴿رَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (١)

واسم الله الأعظم لحفظ كل نفس وزيادته ، ومنع الحسد عنه هو :

« مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » (٢) .

واسم الله الأعظم لتلاهي الكوارث والمصائب المالية ، إنما هو مع إخراج حق

الله - التسبيح .

يقول تعالى ، في قصة أصحاب الحة على لسان أرسطهم ، أي أمثلهم

﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ (٣) .

والاسم لأعظم لتفريج الشدة هو التسبيح أيضا يقول تعالى عن سيدنا

لنور

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٤) .

فبعضاته إنما كانت لأنه كان من المسبحين :

أما لأمر ، لتشبيكة التي تحتاج إلى تنسيق دقيق ، وتدبير بارع لتنتهي إلى

نتيجة مباركة .

واسم الله الأعظم بالنسبة لها وهو تكرار قوله تعالى

﴿إِنْ رِئِي لَطِيفٌ لَمْ يَشَاءَ بِهِ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٥) .

ومن هذا القبيل هذه النظرات لصائبية والبصائغ الدكية لثي وجهها سيدنا

جعسر الصادق لطوئف من الناس .

يقول رضى الله عنه

عجبت لمن استلئ بأربع كيف يعمل من أربع .

(١) الأنعام آية ٢٢

(٢) ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله سورة الكهف ٢٩

(٣) العلم ٢٨ (٤) الصافات ١١٣

(٥) يوسف ٦

١ - من ابتلى بالصبر يقص عن :

﴿ رِبِّهِ أَنِي مَسْنِي لَضَرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (١)

٢ - من ابتلى بالعم كيف يفضل عن

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) .

٣ - من ابتلى بموجبات الخوف كيف يفعل عن :

﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (٣)

٤ - ومن ابتلى بالمكر كيف يفعل عن

﴿ وَأَهْرَصْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْمَآءِ ﴾ (٤) .

ولقد كتب كثير من الصالحين عن أسماء الله الحسنى شارحين وموضحين ومبشرين في الوقت نفسه أثرها بالنسبة للذاكر ، ويميزون عن هذا الأثر بقولهم :
« وحفظ العبد منه .. »

ونذكر أمثلة لذلك من الكتاب النعيم في هذا المجال الذي ألمه الإمام العراقي

وسماه

المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى .

الله هو اسم للموجود الحق الجامع لصفات الإلهية ، اسموت ببعوت الربوبية ، المنفرد بالوجود الحقيقي ، فإن كل موجود سواه ، غير مستحق للوجود بذاته ، وأن ما استمد الوجود منه فهو من حيث ذاته هالك ، ومن جهته التي تليه

(١) ويقول الله تعالى في القرآن الكريم معقبا على ذلك

﴿ فَاسْتَجِبْنَا لَهُ لَكَ ذِكْرُنَا فَذُكِّرْ لِلْعَابِدِينَ ﴾ (١٥٤) ﴿ الْأَنْبِيَاءِ

(٢) ويقول تعالى في القرآن الكريم معقبا على ذلك ﴿ فَاسْتَجِبْ لَهُ وَنِجْنًا مِّنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٥٤) ﴿ الْأَنْبِيَاءِ

(٣) ويعمل الله تعالى في القرآن الكريم معقبا على ذلك ﴿ لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ مِنْهُ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ أَلَمٌ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (١٥٤) ﴿ الْأَنْبِيَاءِ

الله والله ذو فضل عظيم ﴿ ١٥٤ ﴾ آل عمران

(٤) ويقول الله تعالى في القرآن الكريم معقبا على ذلك

﴿ فَوَكَاهُ اللَّهُ سَبْعَ مِائَةٍ وَكَلَّمَهُ وَحْدَ ثَلَاثِينَ مِائَةً وَتَبَسَّأَ مِنْهُ لِيُخْرِجَهُ مِّنَ الْكَلْبِ ﴾ (١٥٤) ﴿ الْأَنْبِيَاءِ

موجوب، كل شيء هالك إلا وجهه ولا شبهة أنه حاء في الدلالة على هذا المعنى
مجرى الأسماء الأعلام ، وكل ما ذكر في اشتقاقه وتصريفه تفسم وتكلف .

فائدة :

اعلم أن هذا الاسم ، أعظم الأسماء التسعة والتسعين ، لأنه دال على مدد
الجامعة لصفات الالهية كلها حتى لا يشد منها شيء ، وسائر الأسماء لا تدل
أحاديها إلا على أحاد المعاني من عدم أو قدرة أو فعل أو غيره ، ولأنه أحص
الأسماء ، لا يطلقه أحد على غيره لا حقيقة ولا معازا ، وسائر الأسماء قد
تسمى به غيره ، كالقادر ، والعليم ، والرحيم ، وغيره ، فلهذين الوجهين يشبه أن
يكون هذا الاسم أعظم هذه الأسماء .

دقيقة :

معاني سائر الأسماء يتصور أن يتصف العبد بثبوت منها حتى يطلق عليه
الاسم كالرحيم والعليم ، والصبور ، والشكور وغيره وإن كان إطلاق الاسم
عليه على وجه آخر يبين إطلاقه على الله ، وأما معنى هذا الاسم فخاص
خصوصا لا يتصور فيه مشاركة ، لا بالمحار ولا بالحقيقة ولأجل هذا الخصوص
يوصف سائر الأسماء بأنه اسم الله ويعرف بالإضافة إليه ، فيقال الصبور
والشكور والحيار ، والملك من أسماء الله ، ولا يقال : الله من أسماء الصبور
والشكور ، لأن ذلك من حيث هو أدل على كنه المعاني الإلهية ، وأخص بها فكان
أشهر وأظهر فاستغنى عن تعريف غيره ، وعرف غيره بالإضافة إليه

تنبيه :

ينبغي أن يكون حظ العبد من هذا الاسم ^(١) البالي وأعنى به أن يكون
مستغرق القلب والهمة بالله تعالى ، لا يرى غيره ، ولا يلتفت إلى سواه ولا يرجو
ولا يحاف إلا إياه ، وكيف لا يكون كذلك وقد فهم من هذا الاسم أنه الموجود
الحقيقي لحق ، وكل ما سواه فان وهالك وباطل إلا به فيرى أولا نفسه ، أول
هالك وباطل ، كما رآه رسول الله ﷺ ، حيث قال أصدق بيت قالته العرب قول

لبيد

(١) أي من تكراره والذكر به والندوة عليه

« الاكل شيء ما خلا الله باطل .. »

(الغفار) هو الخفى أظهر الجميل ، وستر القبيح ، والدنوب من جملة القبائح التي سترها بإرسال الستر عليها في الدنيا ، وتجاوز عن عقوبتها في الآخرة ، ونعم هو الستر ، وأول ستره على العبد ، أن جعل مضائق يديه إلى ما تستقيحها الأعين مستورة في باطنه مغطاة في جمال ظاهره ، وكم بين باطن العبد وظاهره في النظافة والقدارة ، وفي القبيح والجمال ، فانظر ما الذي أظهره ، وما الذي ستره.

وستره الثاني أن جعل مستقر خواطره بدمومة وزادته القبيحة ، ستر قلبه حتى لا يطلع أحد على ستره ولو انكشف لخلق ما يحطر بيباله في مجارى وسأوسه وما يبطوى عليه صميره من العش والخباية ، وسوء الظن بالناس لمقتوه ، بن سوء ، في روحه وأهلكوه ، فانظر كيف ستر عن غيره أسرارهم وعوراتهم

وستره الثالث مفرته دونه التي كان يستحق الافتضاح بها على مبدأ الخلق وقد وعد أن يبدل سيئاته حسنات ليستمر مقابح ذنوبه بثواب حسناته مهما ثبت على الإيمان .

تسميه :

حط العبد من هذا الاسم أن يستر من غيره ما يحب أن يستر منه ، فقد قال عليه السلام :

من ستر على مؤمن عورته ، ستر الله صورته يوم القيامة ، والمعتاب ، والمتحسس ، ولتتقم والكافئ على الإساءة ، بمعزل عن هذا الوصف ، وإنما المتصف به من لا يقضى من خلق الله تعالى ، إلا أحسن ما فيه ولا يبعك مخلوق عن كمال وقصر وعن قبح وحسن ، فمن تعامل مع المقابح وذكر المحاسن فهو ذو نصيب من هذا الاسم ، كما روى عن عيسى عليه السلام ، أنه مر مع الحواريين على كلب ميت قد علب بئنه ، فقالوا : ما أنت هذه الجيمة ، فقال عيسى عليه السلام ما أحسن بياض أسنانه ، تشبه ، على أن ندى ينمى أن يذكر من كل شيء ما هو أحسن .

(الرزاق) هو الذى خلق الأرزاق والمرترقة وصلها إليهم ، وخلق لهم أسباب التمتع بها .

والرزق : رزقان . رزق ظاهر : فهو الأقوت والأطعمة ، وذلك للظواهر .
وهى الأبدان .

ورزق باطن وهو المعارف والمكاشفات ، وذلك للقلوب والأسرار ، وهذا أشرف الرزقين ، هب ثمرته حياة الأبد ، وثمره الرزق انظاهر ، قوة لحسد إلى مدة قريبة الأمد ، والله المتولى لحلق الرزقين ، واستفضل بالإيصال إلى كل من الرزقين ، ولكنه ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر .

قنبيه :

عاية حظ العبد من هذا الوصف أمران

أحدهما أن يعرف حقيقة هذا الوصف ، وأنه لا يستحقه إلا الله تعالى
فلا ينتظر الرزق إلا منه ولا يتوكل فيه إلا عليه ، كما روى عن حاتم الأصم ، أنه
قال له رجل : من أين تأكل ؟

فقال : من حرانته

فقال الرجل أيلقى عليك الخبز من السماء ؟

فقال : لو لم تكن الأرض له ، لكان يلقيه من السماء .

فقال الرجل : أنتم تؤولون الكلام .

فقال : لأنه لم ينزل من السماء إلا الكلام .

فقال الرجل : أنا لا أقوى على مجادلتك .

فقال : لأن اليامل لا يقوم مع الحق .

الثانى أن يرزقه علما هاديا ، ولسانا مرشدا معلما ، ويذا متفقة متصدقة
ويكون سببا لوصل الأرزاق الشريفة إلى القلوب بأقواله ، وأعماله ، وإذا أحب الله
تعالى عبدا أكثر حوائج احلق إليه ، ومهما كان واسطة بين الله ، وبين العباد هى

وصول الأرزاق إليهم ، فقد نال حظا من هذه الصمة ، قال النبي عليه الصلاة والسلام

الحارون الأعير ، الذي يعطى ما مر به ، طيبة به نفسه ، أحد المتصدقين ، وأيدى العباد حرائن الله تعالى فمن جعلت يده حرارة أرزاق الأندار ، ولسانه حرارة أرزاق القلوب ، أكرم بثواب من هذه الصمة .

* * *

الفصل الرابع

الصلاة

العبادة

يقول الله تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١) ﴿

وما كانت عبادة الإِنس و الجن ، من أجل نفع يصل إلى الله ، سبحانه وتعالى ، من وراء ذلك ، فهو ، سبحانه ، غنى عن العالمين ، لا تتصعب طاعة ، ولا تصرفه معصية ، وإنما خلقهم من أجل عبادته ليكملهم بهذه العبادة ، وليصل بهم ، عن طريقها ، ليكونوا أهلاً للقائه ، سبحانه ، وليتجلى عليهم إذا تركوا بأنواره وهيوأصاته .

وقد نوع لهم ، سبحانه ، لعبادة هم يجعلها على وتيرة واحدة حتى لا يعمو ، وحتى يكون في تنوعها تزكية لجوانب متعددة ، وروايا مختلفة من لطبيعة البشرية ، وحتى تتناسب ، على تفاوت فهم فيها مع كل المظهر والاستعدادات

وفهم بعض الناس مراد الله ، سبحانه ، وفهموا توجيهه للبشرية نحو الكمال الذى يحب أن يصل إليه كل من يرجو لقاء الله ، سبحانه ، وعلموا أن السعادة كل السعادة إنما هي في الانضواء تحت النور الإلهي ، والدخول في الساحات الربانية ، فطبعوا الحياة بطابع لعبادة ، جعلوا أعمالهم عبادة ، وحركاتهم عبادة ، وسكناتهم عبادة ، بل وأماكنهم عبادة ، وجعلوا من المصنع معبراً ، ومن المفضل معبداً ، فكانت حياتهم عبادة .

وحاولوا جهدين ، أن يقاربوا لمثل الأعلى الذى أمر الله ، سبحانه ، رسوله ، صلوات الله عليه وسلامه - أن يكونه

﴿ قُلْ إِيَّاهُ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) لا شريك له وبذلك أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣) ﴿

(١) قدرات ، ٥٦ ، (٢) الأنعام ، ١٦٦ - ١٦٤

الصلوة

والصلوة عماد الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين ، وهي ، حينما تؤدى على وجهها الصحيح ، حينما تؤدى على الوجه الذى يرضى الله ورسوله ، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتقود الإنسان إلى الصلة بالله .

فالصلوة من الصلة ، وهي تربط العبد بربه ، وتقوده إلى رصونه ، وتمهد له الطريق إلى العناية الربانية وهي لأهميتها لا تسقط عن الإنسان حتى فى حالة الحرب ، عند انتهاء الجيوش وفى ساحة القتال ، يصول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه

« استقيموا ولن تحصوا ، واعموا ، وخير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوصوة إلا مسلم » .

وتبين مدى حرص الرجل المسلم على الصلاة ، فى القصة التالية

يروى الإمام مالك عن هشام بن عروة عن أبيه « أن المسور بن محرمة أخبره أنه دخل على عمر بن الخطاب فى الليلة التى طعن فيها يوقظ عمر لصلاة الصبح ، فقال عمر نعم - ولاحظ فى الإسلام أن ترك الصلاة فصلى عمر وجرحه يشغب دعا » .

عن أنه على كل مسلم أن يتدبر لحديثين الصحيحين الآتيين

روى مسلم عن حابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ ، يقول

« إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » .

وروى الترمذى فى حديث حسن صحيح عن بريدة ، رضى الله عنه ، عن

النسبى ، قال :

« العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » .

وقد جاء عن شفيق بن عبد الله التابعى المتفق على حلالة قدره ، وعلو شأنه ،

رحمه الله رحمة وسعة « أنه كان يتحدث إلى الناس محذرا لهم من ترك الصلاة

أو التهاون فيها ، ويقول

كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير ترك الصلاة .

ذكر الترمذى ذلك عنه فى كتاب « الايمان » بإسناد صحيح

والصلاة لأهميتها لم تقرر بالطريق العادى

لقد كان جبريل عليه السلام ، يمرل بالوحي مبلياً رسول الله ﷺ ، قو عد التشريع ، ومبادئ الإحلاق ، وأصول العقيدة ومسائلها ، فلما حان فرص الصلاة عدل الله سبحانه وتعالى ، عن هذا الاتجاه إلى دعوة رسول الله ﷺ ، ليكون بمسحه فى الحضرة الإلهية ، ليلفقه الله سبحانه وتعالى ، بطريق مباشر أمر الصلاة .

وكان ذلك تشريعاً للرسول ﷺ ، وكان ذلك أيضاً إعلالاً عن أهمية الصلاة ، أنها لم تفرض بالطريق العادى ، تكريراً لها وتشريعاً

لقد تجاوز رسول الله ﷺ ، السموات ، سماء سماء ، تجاوزها مكان ولكنه تجاوزها أيضاً مكانة روحية ، وذلك أنه ﷺ ، فى هذه اللحظات ، لحاسمة ، لى كان نتهياً فيها للمثل بين يدي رب العزة كان يرفى روحياً فى سرعة نقل عنه سرعة البرق .

لقد تجاوز مكانة آدم عليه السلام الروحية ، فى السماء الأولى ، وتجاوز مكانة عيسى ويحيى عليهما السلام ، فى السماء الثانية وهكذا حتى تجاوز مكانة إبراهيم ، عليه السلام ، فى السماء السابعة وتجاوز انكون كله مادة وروحاً ، ووصل إلى سدة المنتهى ، ثم كان من القرب بحيث أصبح قاب قوسين أو أدنى . متجاوزاً بذلك مكانة جبريل عليه السلام :

﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ (١) .

وكان مما أوحاه الله إليه ، أمر الصلاة .

وانبسط رسول الله ﷺ ، فى الارض بعد أن رفعه لله إليه

انبسط مبشراً بالصلاة ، فرضاً كرمياً من رب الكرم والرحمة .

ولا يكاد الإنسان يجد عذراً لترك الصلاة فإنه إذا فقد الماء ، كان نعيم

بديلاً عنه

() النجم

وإذا لم يستطع أدائها من قيام ، أداها من جلوس ، وإن لم يستطع أدائها إلا
 بيماء ، كان عليه ذلك وهي حالة الخوف ، وملاقاة الأعداء ، هي الغزوات
 والحروب ، لا تسقط الصلاة ، وبها تتغير كيفية أدائها وراء الإمام
 والعسة أن يفزع الإنسان إلى الصلاة هي كل ما أهمه ، وصلاة قضاء الحاجة
 معروفة ، وصلاة الاستجارة كذلك ، وصلاة قبول التوبة .
 وإذا أجسدت الأرض ، ولم ينزل العيث في الأقاليم التي تروى أرضها ، عن
 طريق المطر ، فهذا صلاة لاستسقاء .

وما من شك في أن من كتب الله له هداية يمزج إلى صلاة شكر
 ويمزج إليها حمدا ، ويقرع إليها مرصاة لله . ويقول أرحنا بها
 ولقد كان رسول الله ﷺ ، يوم حتى تنمطر قدماء .

الصلاة كمارة للذنوب .

روى الطبري في الأوسط والتصغير بسنده عن ابن عمر ، رضى الله عنه
 قال : قال رسول الله ﷺ
 « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا صلاة لمن لا طهور له ، ولا دين لمن لا صلاة
 له ، إنما موصع لصلاة من الدين كموصع الرأس من الجسد »
 هي هـ الحديث الشريف يرمى رسول الله ﷺ ، الدين عن ترك الصلاة .
 وما من شك في أن من تركها منكرا لها ، لا دين له ، ومن تركها استهتارا بها
 لا دين له ، ومن تركها غير مبال بها لا دين له .
 أما من حافظ عليها ، وأداها بشروطها ، فإن رسول الله ﷺ ، يتحدث عنه
 فيما رواه الإمام مسلم بسنده عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال سمعت
 رسول الله ﷺ يقول

ما من امرئ تحصره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وحشوعها وركوعها ،
 إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة ، وذلك الدهر كله .

وإد أدبت الصلاة على هذا السبق الذي ذكره رسول الله ﷺ ، فلا خوف
 على صاحبها من إتيان الكائنات فيعصمه الله عنها . وذلك أن الله سبحانه وتعالى
 يقول

﴿ وأقم الصلاة إذ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ (١) .

والصلاة من هذا النوع إنما هي الصلاة التي أقامها صاحبها ، إنها الصلاة التي أمر الله بإقامتها ، فمعنى إقامتها التي تقرر بها في القرآن ، إنما هي أن يؤديها الإنسان على ما أحب الله ورسوله ، فيحسن الوضوء أولاً ، هذا الوضوء الذي قال فيه رسول الله ﷺ : فيما رواه الإمام مسلم . الطهور شطر الإيمان . وقال عنه صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول

« إن أمتي يدعون يوم القيامة عز محجلين من آثار الوضوء ، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليصل » أي من استطاع منكم أن يدوم على الوضوء ، كلما أحدث توطأ ، فليصل .

وذكر رسول الله ﷺ ، إحسان الخشوع في الصلاة

ومصدر خشوع الحوارج ، إنما هو خشوع القلب ، فإذا ما خشع قلب الإنسان خشعت جوارحه ، وخشوع القلب إنما يتأتى بوضوح مكانة الصلاة هي دهن المصلي ، مكانتها من الدين ، وأنها عماد الدين ، فمن أقامها فقد أقام دين ، ومن هدمها بأية صورة من صور الهدم فقد هدم الدين ، ومن سها عنها فويل له إنه مكذب بالدين ، يقول سبحانه :

﴿ فويل للمُضِلِّينَ (١) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٢) ﴾ (٣)

ويتحدث رسول الله ﷺ ، عن إحسان تركوع ، وذلك يشتمل إحسان السجود ، وإحسانهما ، إنما هو تركوع الصب وسجوده ، فإذا ما سجد لقلب لله سبحانه مع سجود الحبهة له ، كان في ذلك لمرب من لله سبحانه يقول الله تعالى .

﴿ وامنجد وأقرب (١٩) ﴾ (٣) .

يقول رسول الله ﷺ رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله

(٣) الملق ١٩٠

(٢) الماعون ٥٠٤

(١) العنكبوت ٤٥ .

ويقول ﷺ فيما رواه الإمام مسلم - عن الندي أحسن الوصوء

فإن هو قام صلى الله عليه وسلم ، وأثنى عليه ، ومجده بالدي هو له
أهل وخرج قلبه لله تعالى إلا انصرف من حظيئته كهينته يوم ولدته مه

إقامة الصلاة أيضا :

ويعود إلى إقامة الصلاة من حديد هجري أن القرآن يصرر الصلاة عادة
بكلمة أقام ، أو أقيموا ، أو يقيمون ، فيقول سبحانه مثلا .

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي الشَّاهِرِ وَرَبِّمَا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى
بِذَكَرِي ﴾ (١) .

ويقول سبحانه ، معرفا المتقين

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾
﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (٢)
وقال تعالى :

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ (٣)

ولم يذكر الله سبحانه ، صلاة المؤمنين ، إلا مع ذكر إقامتها ، فلما كان الأمر
أمر المناهقين فإنه سبحانه قال .

﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ (٥) .

فشأن المؤمن إقامة الصلاة ، وشأن المنافق السهو عن الصلاة .

وقامة الصلاة هي تأديتها على الوجه الذي يحبه الله ورسوله

ومعنى ذلك أنه بمجرد تكبيرة لإحرام يكون لإنسان حقا واقفا بين يدي
الله سبحانه ، مناجيا له موجهها وجهه إليه مراعيًا أن الصلاة له وحده متمثلا
قول سيدنا إبراهيم عليه السلام فيما قصه القرآن الكريم

(١) هود آية ١١٤

(٢) البقرة آية ١٧٧

(٣) المائدة آية ٤٥

(٤) النور آية ٤

﴿إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِي لِلدِّينِ فَطَرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَيْثُمَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١)

وقول الله تعالى ، مخاطباً رسوله ، ﷺ

﴿قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) لا شريك له وبذلك

أمرتُ وأنا أولُ المسلمين ﴿١٢٢﴾﴾ (٣)

ويسير في الصلاة متديراً ما يقول متمثلاً بالحشوع والخصوع ، حتى إذا ما انتهت به الصلاة إلى السجود ، سجد بقلبه وجوارحه ، فليس السجود وضع الجبهة على الأرض فحسب ، وإنما حقيقة السجود ، سجود القلب لله سبحانه ، وإذا ما حشع قلب المصلي لله ، خشعت جوارحه ، فإذا ما سجد القلب لله ، أي أسلم لله ، سجدت الجوارح أي أسلمت شأنها كله وأصبح الإنسان بذلك مستمها حقاً

ولقد سئل رسول الله ﷺ ، عن الإسلام فقال :

أن يسلم لله قلبك ، وأن يسلم لمسلمين من لسانك وبدك

الصلاة كتاب موقوت :

يقول الله تعالى

﴿فَإِذَا أَقِمْتُمُ الصَّلَاةَ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابٌ مَوْقُوتًا﴾ (٤)﴾ (٥)

ورقامة الصلاة : هي أداؤها على ما يحب الله ورسوله ومعنى ذلك أن

الإنسان يستغرق في الصلاة منذ ابتدائها فلا يفكر في شيء خارجها ،

إذ من يعيم الصلاة حقاً لا يفكر في أثلاثها في وثيقة ولا مال ولا حياء ولا

مشاعل دنيوية أيا كانت وذلك لتكون الصلاة حقاً صلة بين العبد وربه ولن تكون

كذلك إلا بكون الإنسان بحيث لا تلعب به في صلاته دنياء ولا يلعب به شيطان

بصرفه عن صلاته ليفكر في أمر حر .

وحينما يؤكد الله سبحانه ، بهي الصلاة عن الفحشاء والمنكر وإنما يعمر

لله سبحانه عن الصلاة المقامة

(١) النساء : ١٠٢

(٢) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣

(٣) الأنعام : ٧٩

أما كونهما كتاباً موقوتاً فمعناه أنه فرض ، له وقت معين ، أي موقت بأوقات محددة لا يحوز أن تتجاوزها دون أدائها ، وذلك يعنى أوقاتها الخمسة المحددة فى الشريعة الإسلامية . وهذا لتحديد بلوقت ياق حسب أصول الشريعة . ببقاء الإنسان لا يسقط أى شى ولا يسقط مهما وصل الإنسان من الدرجات الروحية ، بل إن الدرجات الروحية تمتد الإنسان فى صورة قوى على المحافظة على الصلاة .

ومن أجل ذلك فإن كل من يرعم أنه وصل إلى درجة تسقط فيها الصلاة عنه ، فإنه مضى على الحق ، وحائن للأمانة الدينية .
وقديما ذكر رجل المعرفة أمام الجنيد وقال .
أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك تحركات من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل .

فقال الحفيد

إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال ، وهو عدى عظيمة ، والذى يمسرق ويرنى أحسن من الذى يقول هذا .

يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ (١)

الخشوع فى الصلاة :

يقول الله تعالى .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) ﴾ (٣)

وللخاشعين صلاة يتمثل فيها الخشوع حقيقة حتى تكون صالحة مقبولة .
هقد روى الطبرانى فى الأوسط عن عبد الله بن فرط أن رسول الله ، ﷺ قال
« ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فإن صلحت صنع سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله .

ولقد روى الطبرانى أن رسول الله ، ﷺ ، قال فى حديث له

« إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد » .

(١) نساء ١٠٣ (٢) المؤمن ١ (٣) المؤمن ٢

من أجل ذلك حاول الحاشعون أن يحققوا في صلاتهم قوله تعالى

﴿ وَلَوْ مَوْا لِلَّهِ قَاتِينَ ﴾ (٢٣٨) ﴿ (١) .

والقنوت هو الحشوع في جميع حركات الصلاة من قيام ، وقراءة ، وركوع ، وسجود ، وأن الرجيين يكونان في الصلاة وبنيهما من انصبل ، ما بين السماء والأرض .

أما أحدهما فهو حاشع مثبئل مقبل على الله سبحانه ، بفكره ودهنه
ولآخر جسمه في الصلاة وفكره خارجها

ولقد روى المحاسبى أنه قيل لبعض أتباعه : إنا نجد وسوسة في الصلاة ،
فقال : أيا أحد ذلك . هسيل له . ما الذي تجد ؟

قال : أجد ذكر الحنة والبار ، وكأنى واقف بين يدي ربى .

فقالوا : إنا نجد ذكر الدنيا وحوائجها .

فقال : لأن أحر من لسماء إلى لأرض أحب إلى من أن يعلم الله ذلك من

قلبي

وصلاة الحاشعين ، هي الصلاة التي تنهات معها السوب ، كما ينهات
ورق اشجر هي الشتاء

روى الإمام أحمد بسنده عن أبي در ، رضى الله عنه ، أن أسبى عليه السلام ، خرج
في الشتاء ، والورق يتهافت ، فأخذ بعض من شجرة قال

فجعل ذلك الورق يتهافت ، فقال يا أبا در ، قلت : بيك يا رسول الله ،
قال : إن العبد المسم لمصلى الصلاة يريد بها وجه الله فتهافت عنه ذنوبه كما
تهافت هذا الورق عن هذه الشجرة .

والعبد الذى يريد بصلاته وجه الله تعالى هو الذى يحافظ ما استطاع
على أن يكون متمثلا في صلاته ووقوفه بين يدي الله حل حلاله ، وأن يكون في
صلاته مع صلاته . قراءة وتعظيما ، وتسبيحا وأن يحافظ على الوقت في أوله ،
فقد روى الدارقطنى ، أن رسول الله ، عليه السلام قال

« أول الوقت رصوا لله ، ووسط الوقت رحمة الله ، وآخر الوقت عمو الله عز وجل »

إن الصلاة التي من هذا النوع ، هي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ومن أجل ذلك تدخل صاحبها الجنة .

عن عبادة بن الصامت هيف رواه ابن حبان في صحيحه قال :

أشهد أني سمعت رسول الله ، ﷺ يقول

« خمس صلوات افترضهن الله عز وجل من أحسن وموعهن ، وصلاتهن لو قهرن ، و تم ركوعهن وسجودهن وحشوعهن ، كان له على الله عهد أن يعمر له ومن لم يعمل فليس له على الله عهد ، إن شاء عمر له ، وإن شاء عذبه ، يعود بالله من عذبه وترجوه أن يدخلنا جميعا برحمته في عداد عباد الرحمن

تثبتت الذهن في الصلاة :

إن الصلاة من النعم الكبرى التي أنعم الله بها على الأمة الإسلامية لتحقق الصلة به سبحانه .

إنها الكيفية ، وهي الطريقة ، وهي الوسيلة ، وهي اللحظات لحلية التي تتم فيها الصلة وتحقق . إنها فترة مناجاة فترة انقطاع كامل ويجب أن يكون كاملا عن عالم المادة ، وعن عالم الشهوات ، وعن عالم الفتنة ، يتخلص النفس إلى المنعم حتى تنعم في رحابه بسعادة ، نصبة به والتقرب منه !!

ومن أقدم الصلاة فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين ، إن إقامة صلاة ، أو إقامة الدين ، إنما هي إقامة الصلة بالله ، وتحقيق ذلك هو أمثل الأعلى ، والعناية العظمى ، وللسعادة الكاملة التي تجرى وراءها المؤمنين : بتحقيقها بها معراجهم نحو الله تعالى .

وما من شك في أن الصلاة ، يقيمها الإنسان كما أراد الله ورسوله ، من أحج لوسائل في التقرب من الله ، إنها البرق الذي يحناز به المؤمن في سرعة سريعة طبقات ليعد عن الله سبحانه ، ليصل إليه تعالى ، فينعم في رحابه .

ومع ذلك فإن اشغال الفكر في صلاة أمر يشبه أن يكون منتشرًا بين كثير من المسلمين في العصر الحاضر .

واشكوي من ذلك كثيرة متعددة ، ولا مصر من الالتجاء إلى الله هي صرف هذه الحالة ، ولاند مع ذلك من المحاولات الصادقة للعطس منها . وليس الأمر هي الحميمة بالمفسير عسرا شديدا ، فلو وطن الإنسان العزم على أن يجمع شتات فكره ، وصدهت بيته في ذلك فإنه سينتهي إلى ما يجب إن شاء الله .

ومن المعروف في الجو الإسلامي ، أنه ليس بإنسان من صلاته إلا ما عقل . وأن ثوابه إنما هو بمقدار استباهه وتعلقه للصلاة ، أو بمقدار إقامة الصلاة على حد لتعير القرآني ، وإقامتها إنما تكون بأدائها على أتم ما تكون التأدية .

وإنه لم المصيد أن يقرأ الإنسان عدة مرات سورة الناس قبل الدخول في الصلاة ، وأن يقول « رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون » فإذا ما تأهل الإنسان بذلك ونهياً للصلاة أعانه الله ووفقه

ومن المفيد في ذلك أيضا : أن يقوم بمرار يومي على ذكر الله ، مع جمع شتات أفكاره لمدة خمس دقائق

فقد ما نصح في ذلك فهو ساح لا محالة بتوفيق الله ، في تركيز ذهنه في الصلاة على أنه إذا وطن نفسه على أن يحاول تدبر ما يقول وما يفعل مسد ابتداء الصلاة إلى انتهائها ، فإن ذلك يصرف ذهنه عن الدنيا إلى ما هو فيه وهو الصلاة .

ومن المعروف أن من يهتم بشيء يصرف فكره إليه ، حتى إذا ما حاول صرف فكره عنه فإنه لا يستطيع ، ولو كبت الصلاة في موضع اهتمام الإنسان ، فإنه لا يستطيع أن يصرف فكره عنها ، ولو اهتم بها فكانت له قره عين ، وكانت راحته فيها .

الموضوع

يقول الله تعالى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنَّاءَ فَطَهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا

فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴿١﴾ .

توجيهات قبل الوضوء

اتقاء اللاعنين :

عن أبي هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : « اتقوا اللاعنين »

قالوا : وما اللاعنان يا رسول الله ؟

قال : « الذي يتخلى في طرق الناس ، أو في ظلهم » (٢)

قوله « اللاعنين » يريد الأمرين الجالبيين للمعصية ، وذلك أن من فعلهما لمع

وشتم ، فلما كانا سببا لذلك أصيب المعصية إليهما ، فكانا كأبهما اللاعن (٣)

النهى عن البول في الماء الراكد :

عن جابر رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه « نهى أن يبال في الماء

الراكد » (٤) .

النهى عن لبول في الماء الجاري :

وعن جابر . رضى الله عنه قال نهى رسول الله ﷺ ، أن يبال في الماء

الجارى (٥) .

جزاء النميمة وعدم الاستتار من البول :

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ ، مر بقريين فقال

« إني ليعذبني ، وما يعذبان في كبير ، نلى إنه كبير ، أما أحدهما فكان

يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله » (٦) .

(١) المائدة آية ٦

(٢) رواه مسلم وأبو داود وغيرهما

(٣) انظر كتاب الترغيب والترهيب

(٤) رواه مسلم وابن ماجه والنسائي

(٥) رواه الترمذي في الأوسط بإسناد جيد

(٦) رواه البخاري ، وهذا أحد العاقله ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه

وهي رواية للبخاري وابن خزيمة في صحيحه أن النبي عليه الصلاة والسلام ، مر بعائط من حيطان مكة أو المدينة ، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قيورهما ، فقال النبي ﷺ :

« إنهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير ، ثم قال : بلى ، كل أحدهما لا يستتر من بوله ، وكان الآخر يمشي بالنميمة » (١) .

قال الخطابي : قوله « وما يعذبان في كبير » معناه أنهما لم يعذبا في أمر يكبر عليهما ، أو يشق فعله لو أراد أن يفعل ، وهو التتره من البول ، وترك النميمة ، ولم يرد أن المعصية في هاتين الخصلتين ليست كبيرة في حق الدين ، وأن الذنب فيهما هين سهل .

قال الحافظ عبدالمعظم : ولخوف توهم مثل هذا استدرك ، فقال عليه الصلاة والسلام : « بلى إنه كبير » (٢) .

وعن أبي بكرة رضى الله عنه ، قال : بينما رسول الله ﷺ ، يمشي بيني وبين رجل آخر ، إذ أتى على قبرين ، فقال :

إن صاحبي هذين القبرين يعذبان ، فأتيتاني بجريدة .

قال أبو بكرة : فاستيقنت أبا وصاحبي فأتيته بجريدة ، فشققها نصمين ، فوضع في هذا القبر واحدة ، وفي هذا القبر واحدة ، وقال :

لعله يخفف عنهما ما دما رطبتيين ، إنهما يعذبان بعير كبير : « لعيبة والبول » (٣) .

فضل الوضوء

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول

إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء ، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليطعل (٤) .

(١) الصحيح ، ويوب البخاري عليه ، باب من الكبائر ألا يستتر من بوله .

(٢) انظر كتاب الترمذي والترهيب والترهيب

(٣) رواه أحمد ، والبيهقي في الأوسط والخط له

(٤) رواه البخاري ومسلم وقد قيل إن قوله « من استطاع إلى آخره » إنما هو مخرج من كلام أبي هريرة موقوف

عنه ، ذكره غير واحد من المصنف

ونسلم عن أبي حازم رضى الله عنه ر رسول الله ﷺ ، أتى المقبرة فقال
السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم أقرب لاحقون ، وددت
أنا قد رأينا جحاننا .

قالوا : أولئنا إخوانك يا رسول الله ؟

قال : أنتم أصحابي ، وجحاننا الذين لم يأتوا بعد .

قالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمك يا رسول الله ؟

قالوا : أرايت لو أن رجلا له حيل عر محجلة بين طهرى حيل دهم بهم إلا
يعرف حبله ؟

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : فإنهم يأتون عرا محجلين من الوضوء ، وأما فرطهم على الحوص ^(١)

وعن بن مالك الأشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ

« الظهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله ولحمه الله
تملأ - أو تملأ - ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ،
والصبر صبيح ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو
موبقها » ^(٢)

وعن ثوبان رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ

« استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولن يحفظ
عنى الوضوء إلا مؤمن » ^(٣) .

قبل الوضوء :

عن ابن عمر ، أن النبي ﷺ ، قال

« إذا استيقظ أحدكم من منامه ، فلا يدخل يده فى الإناء حتى يغسلها
ثلاث مرات ، فإنه لا يدري أين باتت يده ، أو أين طافت يده » ^(٤) .

(١) رواه مسلم وغيره

(٢) رواه مسلم والترمذي

(٣) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح .

(٤) رواه الدارقطني ، وقال إمامه حسن

كيفية الوضوء :

عن عبد الله بن زيد بن عاصم ، أنه قيل له : توضأ لنا وضوء رسول الله ، ﷺ ، فدعا ببناء فأكأ منه على يديه ، فغسلهما ثلاثاً .

ثم أدخل يده ، فاستخرجها ، فمصمض واستنشق من كف واحدة ، فعمل ذلك ثلاثاً .

ثم أدخل يده فاستخرجها ، فغسل وجهه ثلاثاً .

ثم أدخل يده فاستخرجها ، فغسل يديه إلى المرفعين مرتين .

ثم أدخل يده فاستخرجها ، فمسح برأسه ، فأقبل يديه وأمبر

ثم غسل رجليه إلى الكعبين .

ثم قال : هكذا كان وضوء رسول الله ﷺ (١) .

وعن أبي رافع أن رسول الله ﷺ ، كان إذا توضأ حرك جاتمه (٢)

وعن عبد الله بن عمر ، قال : " تحب عنا رسول الله ﷺ ، هي سمر هادركنا ، وقد أرهقنا العصر ، فحعلك توضأ وبمسح على أرجلك ، فدل

فنادى بأعلى صوته ويل للأعقاب من النار " مرتين أو ثلاثاً (٣)

ودعا سيدنا عثمان بوضوء فتوضأ فغسل كفيه ثلاث مرات

ثم مصمض واستنثر .

ثم غسل وجهه ثلاث مرات

ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاث مرات ثم غسل يده اليسرى مثل ذلك ، ثم مسح رأسه .

ثم غسل رجليه اليمنى إلى الكعبين ثلاث مرات ، ثم غسل اليسرى مثل ذلك .

ثم قال : رأيت رسول الله ﷺ ، توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم قال رسول الله

ﷺ

(١) متفق عليه ولم يظه لأحمد

(٢) رواه ابن ماجه والدارقطني

(٣) متفق عليه أزهقنا العصر أخبرنا ويروى ، أزهقنا العصر يعني بنا وقتها

« من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم قام فركعتين لا يحدث شيهما بمسه
عمر به ما تقدم من ذنبه » .

قال ابن شهاب - وكان علماؤنا يقولون - هذا الوضوء أسبغ ما يتوضأ به
أحد للصلاة .

فلما توضأ عثمان قال والله لأحدثكم حديثا والله لولا آية هي كتاب الله
ما حدثتكموه ، أسي سمعت رسول الله ﷺ يقول

« لا يتوضأ رجل فيحسن وضوءه ثم يصلي الصلاة ، إلا غفر له ما بينه
وبين الصلاة التي قبلها » قال عروة : الآية :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَسْرَأْنَا مِنْ أَيْمَاتٍ وَآيَاتٍ وَنَهَيْتُمُ النَّاسَ أَنْ
يُؤْتُوا زَكَاةً فَكَفَرُوا بِهَا فَأُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ (١) .

الماء طهور :

عن أبي أمامة ، ياهلي رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ
« إن الماء لا يجسه شيء إلا ما علب على ريحه وطعمه ولونه » (٢)

ولليهنى

ماء طهور إلا إن تغير ريحه أو طعمه أو لونه بنجاسة تحدث فيه

السواك :

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال
« السواك مطهرة للفرج ، مرصاة للرب » (٣) .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« لولا أن أشق على المؤمنين - وفي حديث رهبر على أمي - لأمرتهم
بالسواك عند كل صلاة » (٤) .

(١) البقرة آية ١٥٩

(٢) أخرجه ابن ماجه وضمنه ابو حاتم

(٣) رواه الترمذى وابن خزيمة ، وابن حبان في صحيحيهما ، رواه الطبرانى في الأوسط والكبير من حديث ابن عباس ورأى فيه « ومجلة للبصر » .

(٤) رواه مسلم

حدثنا أبو المتوكل أن ابن عباس حدثه ، أنه بات عند النبي ﷺ ، ذات ليلة فقام نبي الله ﷺ ، من آخر الليل فخرج فنظر في السماء ، ثم تلا هذه الآية في آل عمران .

﴿ إِنَّ فِي حَلْقِ لِسْمِوتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾^(١)
الذين يدركون الله فيما وقفوا وعلى جوبهم ويتذكرون في خلق السموات والأرض بما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقنا عذاب النار ﴿^(٢) .

ثم رجع إلى البيت فتمسوك وتوضأ ثم قام فصلى ، ثم صمّج ثم قام فخرج فنظر إلى السماء فتلا هذه الآية ، ثم رجع فتمسوك فتوضأ ثم قام فصلى^(٣) .

التيامن :

عن عائشة قالت : إنه كان رسول الله ﷺ ، « يجب التيمم في طهوره إذا تطهر وهي نرجله إذا ترجى ، وهي انتعاله إذا انتع »^(٤) .

يقول الإمام النووي عن ذلك في شرحه على صحيح مسلم

كان ﷺ « يجب التيمم في طهوره إذا تطهر ، وهي ترحه إذا ترحل ، وهي انتعاله إذا انتعل »^(٥) .

هذه قاعدة مستمرة في شرع ، وهي أن ما كان من يامه لتكريم والتشريف ، كلبس الثوب والسرويل والخف ودخول المسجد والمساكن والاحتضال ونقلهم الأظفار وقص الشارب ، وترحيل الشعر ، وهو عيشه ، وتبف الإبط ، وحلق الرأس ، والسلام من الصلاة وغسل أعضاء الطهارة والخروج من الخلاء ، والأكل والشرب ولصافحة ، واستلام الحجر الأسود ، وغير ذلك مما هو في محبة يستحب التيامن فيه .

وأما ما كان بضده كدخول الخلاء والخروج من المسجد والاحتضال والاستنجاء ، وحلق الثوب ، والسراويل والخف ، وما أشبه ذلك ، فيستحب التياسر فيه ، وذلك كله بكرامة اليمين وشرفها ، والله أعلم

(١) آل عمران ١٩٠ ، ١٩١ (٢) رواه مسلم

(٣) صحيح مسلم (٤) صحيح مسلم

وأجمع العلماء على أن تقديم أيمن على اليسار من اليدين والرجلين في الوضوء ، سنة لو خالفها فاته المصل وضوءه (١) .

لا ينقض الوضوء :

قال أبو هريرة رضي الله عنه : لا وضوء إلا من حدث .
ويذكر عن جابر أن النبي ﷺ ، كان في عزوة ذات الرفاع هزم رجل بسهم فترقه الدم ، فركع وسجد ومضى في صلاته .

وقال الحسن ، ما زال المسممون يصلون في جراحاتهم .
وقال طاوس ومحمد بن علي وعطاء ، وأهل الحجاز ليس في دم وضوء .
وعمر ابن عمر بثرة فخرج منها الدم ، ولم يتوضأ .
وروي ابن أبي أوفى دما فمضى في صلاته .

وقال ابن عمر والحسن هبمن يحتجم ليس عليه غسل محاجة (٢) .
وقال جابر بن عبد الله إذا ضحك في الصلاة أعاد الصلاة ولم يعد الوضوء (٣) .

وعن طلق بن علي رضي الله عنه قال
قال رجل - منست ذكرى أو قال الرجل يمس ذكره في صلاة ، أعليه الوضوء ؟

فقال النبي ﷺ : لا ، إنما هو بصعة منك ، (٤) .

لا وضوء لمن ترك موضع طهر :

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً توضأ فترك موضع طهر على قدمه فأبصره النبي ﷺ فقال : « ارجع فأحسن وضوءك » فرجع ثم صلى

(١) صحيح مسلم

(٢) رواد البخاري

(٣) رواد البخاري

(٤) أخرجه الحسنة وصححه ابن حبان وقال ابن أبي شيبة هو أحسن من حديث ميمونة

• نَبْعُ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ الرَّسُولِ ﷺ :

عن أنس بن مالك قال : رأيت رسول الله ﷺ ، وحانت صلاة العصر هالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه ، فأتى رسول الله ﷺ ، بإباء فوضع رسول الله ﷺ ، في ذلك الإباء يده ، وأمر الناس أن يتوضئوا منه ، قال : هرايت الماء يسبع من تحت أصابعه حتى توضئوا عن أحرهم (١) .

فضل من بات على الوضوء :

من لبراء بن عازب قال : قال النبي ﷺ

« إِدْ أَتَيْتَ مَصْجِعَكَ فَتَوَضَّأَ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اصْطَلَعْتَ عَلَى شَفَتِكَ الْيَمَنِ ، ثُمَّ قُلْ

اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَهُوَ صَبَتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَالْحَاتَ ظَهْرِي إِلَيْكَ ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ

اللَّهُمَّ أَمْسَتْ بَكَّتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبَبِيكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ ، هَإِنِ مِتُّ مِنْ ثِيَابِكَ ، هَانَتْ عَلَى نَمَطَةٍ وَاحِدَةٍ أَحْرَمًا تَتَكَلَّمُ بِهِ » قَالَ :

فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا بَلَغْتُ ، اللَّهُمَّ أَمْسَتْ بَكَّتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ، هَانَتْ وَرَسُولُكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ ، قَالَ : لَا وَبَبِيكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ (٢) .

الصلاة بعد الوضوء :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لبلال يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام ، إني سمعت ذكرك عليك بين يدي في الجنة !

قال : ما عملت عملاً أرجى عندي من أني لم أتطهر طهوراً في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي (٣)

(١) صحيح البخاري

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ٥٠٠ الدُّعَاءُ ٥ بِالضَّمِّ صَوْتُ الْعَمَلِ خَالٍ مَشَى

في المسح على الحفيين :

عن همام قل . بال جرير ثم توضأ ومسح على حميه فقل نفع هذا ؟
فقال نعم ، رأيت رسول الله ﷺ ، بال ثم توضأ ومسح على حميه ، قال
لأعمش قال إبراهيم ، كان يعجبهم هذا الحديث ، لأن إسلام جرير كان بعد
نزل المائدة (١) .

يقول الإمام النووي في ذلك

« كان يعجبهم هذا الحديث لأن إسلام جرير كان بعد نزل المائدة » معناه أن
الله تعالى قال ، هي سورة المائدة

﴿وَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ فلو كان
إسلام جرير متقدماً على نزل المائدة ، لاحتتمل كون حديثه في مسح الحف
منسوخاً بآية المائدة ، فلما كان إسلامه متأخراً عما أن حديثه يعمل به (٢) .
وعن عروة بن الطيرة .

أهوب لأبرح خفيه فقل . بعهما فإني أدخلتهما طاهرتين ومسح عليهما (٣)
وعن شريح بن ماني قال أتيت عائشة أسأله عن المسح على الحفيين
فقلت عنيك بابن أبي طالب هسله ، فإنه كان يمسح مع رسول الله ﷺ
هسألته ، فقال :

جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ولهاثهما للمسافر ، ويوماً وليلة للمقيم (٤)
ومن على رضى الله عنه قال .

« لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه وقد رأيت
رسول الله ﷺ ، يمسح على ظاهر خفيه » (٥) .

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

(٣) صحيح مسلم

(٤) صحيح مسلم

(٥) أخرجه أبو داود بسند صحيح

الغسل يوم الجمعة :

عن سمرة بن جندب ، أن نبي الله ، ﷺ ، قال -

« من توضأ للجمعة فيها وسعت ، ومن اغتسل ، فذلك أفضل » .

وعن الماكه بن سعد ، وكان له صحبه : أن النبي ﷺ ، « كان يغتسل يوم الجمعة ، ويوم عرفة ، ويوم الفطر ويوم النحر ، وكان الماكه بن سعد يأمر أهله بالغسل في هذه الأيام » (١) .

التييم كيف يكون ومتى شرع :

عن عائشة زوج النبي ، ﷺ ، قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ ، في بعض أسفاره ، حتى إذا كنا بالبيداء ، أو بدت الجيش ، انقطع عقد لي ، فاقام رسول الله ، ﷺ ، على التماسه وأقام الناس معه ، وليسوا على ماء ، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق ، فقالوا :

« ألا ترى إلى ما صنعت عائشة ؟ أقامت برسول الله ، ﷺ ، والناس ليسوا على ماء ، وليس معهم ماء » .

فجاء أبو بكر ، ورسول الله ، ﷺ ، وأصبح رأسه على فخذي قد نام

فقال - حبست رسول الله ، ﷺ ، والناس ليسوا على ماء ، وليس معهم ماء؟

فقالت عائشة : فإني أرى رسول الله ، ﷺ ، وقال ما شاء الله أن يقول ، وجعل يطعنني بيده في حاضرتي ، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ، ﷺ ، على فخذي . فقام رسول الله ، ﷺ ، حين أصبح على غير ماء ، فأنزل الله آية التيمم ، فتيمموا . فقال أسيد بن الحصير :

« ما هي بأول بركتكم ، يا آل أبي بكر » .

فقالت : « فبئس البعير الذي كنت عليه ، فأصيبا العقد تحته » .

وعن أبي أمامة ، أن رسول الله ، ﷺ ، قال

(١) رواه عبد الله بن أحمد في المسند

« جعلت لأرض كلها نبي ، ولأمتي مسجدا وظهورا ، فأينما أدركت رجلا من أمتي الصلاة ، فعنده مسجده ، وعنده ظهوره » (١) .

وعن عمار بن ياسر ، أن النبي ﷺ قال في التيمم صرية للوجه وليدي .
رواه أحمد وأبو داود .

وفي لفظ أن النبي ﷺ ، « مره بالتيمم لوجه والكفين » (٢)

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال

بمضى النبي ﷺ في حجة فحسب فلم أجد الماء فتمرعت في الصعيد كما تتمرغ الالة ثم أتيت نبي ، ﷺ ، فذكرت له ذلك فقال

إنما كميك أن تقبل بيدك هكذا ثم صرب بيديه على الأرض صرية واحدة ثم مسح الشمال على اليمين ، وظاهر كفيه ووجهه (٣)

وهي رواية للبخاري

وصرب بكفيه لأرض ودمع فبهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال

خرج رجال في سمر فحصرت الصلاة وليس معهما ماء ، فتيما صعيدا طيبا فصليا ، ثم وجد الماء في الوقت فأعاد أحدهما للصلاة والوصوه ولم يعد الآخر ، ثم أتيا رسول الله ﷺ فذكرا ذلك له ، فقال للذي لم يعد أصبت السنة وأجراتك صلاتك ، وقال للأخر : لك أجر مرتين (٤)

الغسل :

المسل واجب في حالات الحباة ، واحتض ، والنماس ، ويمس عنه التيمم ، عند عدم وجود الماء .

عن عائشة زوج النبي ﷺ أن نبي ، ﷺ ، كان إذا اغتسل من الحباة

(١) رواهما أحمد

(٢) رواه الترمذي وصححه

(٣) متفق عليه واللفظ بسبع

(٤) رواه أبو داود والنسائي

بدأ فغس يديه ، ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ، ثم يدخل أصابعه في الماء فيجعل بها أصول شعره ، ثم يصب الماء على رأسه ثلاث غرف بيديه ، ثم يفيض الماء على جلده كله .

وعن أم سلمة ، قالت ، « جاءت أم سليم إلى رسول الله ، ﷺ فقالت يا رسول الله :

إن الله لا يمتحيي من الحق ، فهي على امرأة من عسل إذا هي احتلمت ؟ فقال النبي ﷺ ، « إذا رأت الماء » .

فعلت أم سلمة ، تغى وجهها ، وقالت يا رسول الله ، أو تحتلم المرأة ؟ قال : « نعم تربت يمينك هم يغشها ولدها ؟ » .

وعن عبيد بن عمير ، قال « بلغ عائشة أن عبد الله بن عمرو يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن ، فقالت : يا عجا لابس عمرو وهو يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن ! أو ما يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن ؟ لقد كنت اغتسل أنا ورسول الله ﷺ ، من ماء واحد ، وفيما أزيك على أن أهرغ على رأسي ثلاث إفرافات » .

وعن عائشة ، رضى الله عنها ، قالت

« سئل رسول الله ، ﷺ ، عن الرجل يجد البل ، ولا يذكر احتلاما . فقال : يعتسل »

وعن الرجل يرى أنه قد حتم ، ولا يجد البل ، فقال لا عس عليه .

فقالت : أم سليم : المرأة ترى ذلك هل عليها الغسل

قال نعم ، إنما لنساء شقائق الرجال .

طهارة الثوب من بول الطفل ومن المذي ومن دم الحيض :

عن أم لمطل ، ابنة بنت الحارث ، قالت « نال الحسين بن علي في حجر

النبي ، ﷺ فلب ، يا رسول الله اعطني ثوبك ، وابس ثوبا غيره حتى أعسله

فقال : إنما ينصح من بول الذكر ، ويفضل من بول الأنثى (١)
وعن سهل بن حنيف ، قال : «كنت ألقى من المدي شدة وعناء ، وكنت أكثر
منه الاغتسال ، فذكرت ذلك لرسول الله ، ﷺ .
فقال : إنما يجزيك من ذلك الوضوء .
فقلت : يا رسول الله كيف بما يصيب ثوبي منه ؟ .
قال : يكفيك أن تأخذ كفا من ماء فتصبغ به ثوبك حيث ترى أنه قد أصاب
منه (٢)

ورواه الأثرم ولفظه قال :

«كنت ألقى من المذي عاء ، فأتيت النبي ، ﷺ ، فذكرت ذلك له ، فقال
يجزيك أن تأخذ حفنة من ماء فتترش عليه .
وعن أبي هريرة : « أن حولة بست يسار ، قالت : يا رسول الله ، ليس لي إلا
ثوب واحد وأنا أحيض فيه ، قال : فإذا ظهرت فاعسلي موضع الدم ثم صلي فيه
قالت : يا رسول الله ، إن لم يخرج ثره ؟ قال : يكفيك الماء ولا بصرك أثره (٣) » .

(١) رواه أحمد وأبو داود ، وابن ماجه

(٢) رواه أبو داود ، وابن ماجه ، والترمذي وقال حديث حسن صحيح

(٣) رواه أحمد وأبو داود

الأذان

عن محمد بن إسحاق عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الله بن زيد بن عبد ربه ، قال : لما أجمع رسول الله ﷺ ، أن يضرب بالناقوس ، وهو له كاره ، لموافقته البصاري طاف به من الليل طائف ، وأبى منهم ، رجل عنده ثوبان أحضرا ، وفي يده ناقوس يحمله ، قال :

فقلت : يا عبد الله أتبيع الناقوس ؟

قال : وما تصنع به ؟

قلت : ندعو به إلى الصلاة .

قال : أهلا أدلك على خير من ذلك ؟

فقلت : بلى .

قال تقول لله أكبر ، لله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمد رسول الله ، أشهد أن محمد رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، حي على الفلاح ، لله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله .

قال ثم استأخر غير بعيد ، قال : ثم تقول : إذا أقمت الصلاة الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمد رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة . الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله .

فما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ ، فأخبرته بما رأيت فقال رسول الله ﷺ :

«إن هذه الرؤيا حق إن شاء الله»

ثم أمر بالتأذين ، فكان بلال مولى أبي بكر يؤذن بدلك ويدعو رسول الله إلى الصلاة قال صحابه فدعاه ذات غداة إلى المجر ، فقيل له إن رسول الله ﷺ نائم ، فصرخ بلال بأعلى صوته :

الصلاة خير من النوم .

قال سعيد بن المسيب : «فأدخلت هذه الكلمة في التأذين إلى صلاة لفجر»
رواه أحمد وأبو داود من طريق محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم أشيم عن
محمد بن عبد الله بن زيد ، عن أبيه وهيب

فما أصبحت ، أتيت رسول الله ﷺ ، فأخبرته بما رأيت

فقال : إنها لرؤية حق ، إن شاء الله ، فقم مع بلال فائق عليه ما رأيت ، فإنه
أسى صوتا منك ، قال : فقممت مع بلال ، فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به قال فسمع
ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو في بيته ، فخرج يجر رداءه ، يقول

«والذي بعثك بالحق ، لقد رأيت مثل الذي أرى» فقال رسول الله ﷺ هلله
الحمد (١) .

وعن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال «لو يعلم الناس ما في النداء
والصف الأول ، ثم لم يحدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ، ولو يعلمون ما في
التهجير لاستبقوا إليه ، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا» .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ

«إذا قل المؤذن الله أكبر ، لله أكبر ، فقال أحدهم : الله أكبر ، الله أكبر ،
ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله قال أشهد أن لا إله إلا لله ثم قال أشهد أن
محمد رسول الله ، قال أشهد أن محمدا رسول الله ، ثم قال : حي على الصلاة ،
قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال حي على الفلاح ، قال : لا حول ولا قوة إلا
بالله ، ثم قال الله أكبر الله أكبر ، قال الله أكبر ، الله أكبر ، ثم قال لا إله إلا
الله قال : لا إله إلا الله ، من قلبه . دخل الجنة» (٢) .

وعن شهر بن حوشب ، عن أبي أمامة ، أو عن بعض أصحاب النبي ﷺ «أن
بلالا أحد في الإقامة ، فلما أن قال قد قامت الصلاة ، قال النبي ﷺ : أقامها الله
وأدامها ، وقل في سائر الإقامة ينحو حديث عمر في سائر الأدان» (٣) .

(١) روى الترمذي هذا الطرف منه بهذا الطريق وقال حديث عهد الله بن زيد حديث حسن صحيح

(٢) رواه مسلم وأبو داود

(٣) رواه أبو داود

وعن حابر أن رسول الله ﷺ قال : «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة النعمة ، والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة» .

متاثرات خاصة بالأذان :

عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال :

قال لنا النبي ﷺ «إذا حضرت الصلاة فتليؤن لكم أحذكم» (١) .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، عن أبي بصير رضي الله عنه قال «من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، رصيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد عليه الصلاة والسلام رسولا ، عمر الله له ديوياه» (٢) .

عند سماع الأذان :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول .

«إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة ، لا تبغى إلا بعد من عباده ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاع» (٣) .

وعن أسن بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد» (٤) .

رأد الترمذي في رواية

قلوا ، فعادوا يقول يا رسول الله ؟

(١) الحديث أخرجه السبعة

(٢) رواه مسلم و ترمذي واللفظ له والنسائي وابن ماجه ، وأبو داود ولم يش ديويه وقال مسلم عمر له ديويه

(٣) رواه مسلم

(٤) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه ورواه قتادها

قال : «سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة» .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ «ساعتان لا ترد على داع دعوته . حين تقام الصلاة ، وهي الصف في سبيل الله» ^(١) .

وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال «لا يخرج من المسجد أحد بعد النداء ، إلا مهابق ، ولا لعنر ، أخرجته حاجة ، وهو يريد الرجوع» ^(٢) .

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال . «صليت مع النبي ﷺ العيدين غير مرة ، ولا مرتين بغير أذان ولا إقامة» ^(٣) .

وعن حابر رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ ، أتى لمردلفة ، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين .

مساجد الله :

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال . سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من بنى لله مسجدا ، بنى الله له مثله في الجنة» ^(٤) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال .

«ألا أدلكم على ما يجمعو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات ؟»

قالوا : بلى يا رسول الله ،

قال إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط» ^(٥) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال

«إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان ، قال الله عز وجل

﴿ إِنَّمَا يَهْتَمُّرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِلِلَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَغْشَى

إِلَّا اللَّهَ فَهَسِبْنَاهُ أَنْ يَكُونُوا مِنْ الْمُهْتَدِينَ ﴾ ^(٦)»

(١) رواه ابن حبان في صحيحه

(٢) رواه أبو داود في مراسيله

(٣) رواه مسلم . (٤) متفق عليه

(٥) رواه مسلم

(٦) رواه الترمذي وقال حديث حسن والآية من سورة التوبة ١٨

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال

«لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه ، لا يذمعه أن يقلب إلى أهله إلا لصلاة» ^(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال

«الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ، ما لم يحدث ، تقول : اللهم أعمره ، اللهم أرحمه» ^(٢) .

عن أبي العرداء رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال .

«من مشى في ظلمة الليل إلى المسجد ، تقى الله عز وجل بنور يوم القيامة»
رواه الطبري في الكبير بإسناد حسن ، وابن حبان في صحيحه ولفظه قال «من مشى في ظلمة الليل إلى المسجد أتاه الله نورا يوم القيامة» .

متنافرات في شئون المساجد ،

عن عائشة رضى الله عنها قالت أمر رسول الله ﷺ ، ببناء المساجد في الدور ، وأن تنظف وتطيب ^(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن عمر رضي الله عنه عنه ، مر بحسان يشد في المسجد ، فلعط إليه ، فقال قد كنت أنشد فيه ، وفيه من هو خير منك ^(٤)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال

«إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد ، فقولوا له لا أربح الله تجارتك» ^(٥)

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «عرصت على أجور أمتي حتى القداة يخرجها الرجل من المسجد» ^(٦) .

(١) متفق عليه

(٢) رواه البخاري

(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه إرساله

(٤) متفق عليه

(٥) رواه نسائي والترمذي ، وحسنه

(٦) رواه أبو داود والترمذي ، واستغفريه ، وصححه ابن خزيمة

وعن أنس فتادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين » ^(١) .

عن جابر رضي الله عنه قال : قال لبي رضي الله عنه « من أكل بصلا أو ثوما فليعتزلنا ، أو فليعتزل معاجدنا ، وليقفن في بيته » ^(٢) .

في رواية لمسلم :

« من أكل البصل ، والثوم ، والكراث ، فلا يمرين مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم » .

صلاة الجماعة :

ومما يتصل بالمساجد اتصالا وثيقا : صلاة الجماعة .

عن أنس هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته ، وفي سوقه حمسا وعشرين ضعفا ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم حرج إلى المسجد لا يحركه إلا الصلاة ، لم يعط خطوة إلا رفعت به بها درجة ، وحملت عنه بها حصيئة ، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه مادام في مصلاه ، ما لم يحدث تقول اللهم صل عليه ، اللهم أرحمه ، ولا يرأل في صلاة ما انتظر الصلاة » ^(٣) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال :

« من سره أن يلقي الله تعالى ، عداً مسلماً ، عليه حافظ على هؤلاء الأصوات حيث ينادي بهن ، فإن الله شرع لسيككم صلى الله عليه وسلم ، سنن الهدى إنهم من الهدى ، وبو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتحلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لصبنتم ، ولقد رأيتموها وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف » ^(٤)

(١) متفق عليه

(٢) رواه البخاري ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، والبيهقي

(٣) متفق عليه ، وهذا لفظ البخاري

(٤) رواه مسلم

وهي رواية له قال

«إن رسول الله ﷺ ، عمنّا من الهدى ، وإي من سنن الهدى الصلاة هي المسجد الذي يؤذن فيه» .

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول

«من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله»^(١)

وهي رواية الترمذي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال

قال رسول الله ﷺ . «من شهد العشاء في جماعة كان له قيام نصف ليلة ، ومن شهد العشاء والمجر في جماعة كان له قيام ليلة»^(٢) .

الصلاة الصلاة (٣)

الصلاة وكفارة الذنوب :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول

«أرايتم لو أن نهرا ساق أحلكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من

درته شيء ؟

(١) رواه مسلم

(٢) قال الترمذي حديث حسن صحيح

(٣) سبق أن ذكرنا الأحاديث التالية متناثرة وسيد ذكرها في أهميتها ولأنها تبين أهمية الصلاة

عن يريدة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر»
ومن عبد الله بن مسروق لعنيلي قال كان اصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئا من الأعمال نوكه كفر غير الصلاة رواه ترمذي

وعن عبد الله بن عمرو بن نعيم عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوم ، فقال «من حافظ عليها كانت له نور وبرهان ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نور ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون ، وهامان وأبى بن خلف» رواه أحمد

ومن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة ، الصلاة المكتوبة فإن أتى بها وإلا قيل نظروا هل له من تطوع؟ فإن كان به تطوع أكملت المراجعة تطوعه ، ثم يعمل بسائر الأعمال المفروضة مثل ذلك»

»

ومن جابر قال قال رسول الله ﷺ «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة»

وعن عبد الله بن الشخير قال رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أريج كأريج المرح من البكاء» رواه أحمد وأبو داود والنسائي

قالو : لا يبقى من درنه شيء .

قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»^(١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ، كفارة لما بينهن ما لم تكن الكاثر»^(٢) .

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة ، فيحسن وضوءها وحشوعها وركوعها ، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ، ما لم تؤت كبيرة ، وذلك الدهر كله»^(٣) .

الصلاة ورؤية الله :

عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال كنا عند النبي ﷺ ، فنظر إلى القمر ليلة السر هقل «إنكم ستروون ربكم كما ترون هذا القمر ، لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»^(٤) .

وهي رواية : «فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة»

أهمية صلاة العصر :

وعن بريدة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله»^(٥) .

فرض الصلاة :

عن أنس بن مالك ، قال :

فرضت على النبي ﷺ ، الصلوات ، ليلة أسرى به ، خمسين ثم نقصت حتى جعلت خمسا ، ثم نودي يا محمد إنه ، لا يبطل القول لدى ، وأن لك بهذه الخمس خمسين»^(٦) .

(١) متفق عليه

(٢) رواه مسلم

(٣) رواه مسلم

(٤) متفق عليه

(٥) رواه البخاري

(٦) رواه أحمد والنسائي والترمذي وصححه

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ .

« مروا صياتكم بالصلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها لعشر سنين ، وفرقوا
بينهم في المضاجع »^(١) .

أوقات الصلاة .

من حذر من عبد الله ، أن النبي ﷺ

« جاءه خبريل عليه السلام (طهرا) فقال له قم فصله ، فصلى الظهر حين
رالت الشمس ثم جاءه العصر ، فقال قم فصله ، فصلى العصر حين صار ظل كل
شيء مثله ثم جاءه المغرب فقل قم فصله ، فصلى المغرب حين غابت الشمس .
ثم جاءه العشاء ، فقال قم فصله ، فصلى بعشاء حين غاب الشفق . ثم جاءه
المجر ، فقال قم فصله ، فصلى المجر حين برق المجر ، أو قال سطع الفجر . ثم
جاءه من العد للظهر ، فقال قم فصله ، فصلى الظهر حين صار ظل كل شيء مثله .
ثم جاءه العصر ، فقال قم فصله ، فصلى العصر حين صار ظل كل شيء مثليه . ثم
جاءه المغرب وقتا واحدا لم يزل عنه . ثم جاءه لعشاء حين ذهب نصف الليل ، أو
هل ثلث الليل فصلى العشاء . ثم جاءه حين أسمر جدا ، فقال قم فصله ، فصلى
المجر . ثم قال ما بين هذين الوقتين وقت »^(٢) .

وعن عقبة بن عامر ، أن النبي ﷺ قال « لا تزل أمتي بخير ، أو على لمطرة
ما لم يؤخروا المغرب حتى تشتبك النجوم »^(٣) .

وعن بن عمر ، أن النبي ﷺ قال « الشفق الحمراء ، فإذا غاب الشفق وجبت
الصلاة »^(٤) .

وعن أنس بن مالك الأسلمي قال « أن النبي ﷺ ، كان يستحب أن يؤخر العشاء
أنى بدعونها العتمة ، وكان يكره النوم قبها » والحديث بعدها « رواه الجماعة »

وعن ابن مسعود قال . « جدي لنا رسول الله ﷺ ، الميمر بعد العشاء »^(٥) .

(١) رواه أحمد وأبو داود

(٢) رواه أحمد وسمي والنعماني بنحوه وقال البخاري هو أصبح شيء في المواقيت

(٣) رواه أحمد وأبو داود

(٤) أي صلاة العشاء رواه الدارقطني

(٥) رواه ابن منجه وقال جدي : يعني زجرنا الله ، بهانا عنه

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يصلي لعصر ثم يرجع أجدنا إلى رحله هي أقصى المدينة والشمس حينه وكان يستحب أن يؤخر العشاء ، وكان يكره النوم قبلها والحديث بعدها ، وكان يمثل من صلاة الغداة حين يعرف الرجل جلسه ، وكان يقرأ بالستين إلى المائة» ^(١) .

وعندهما ^(٢) من حديث جابر «والعشاء أحيانا يقدمها ، وأحيانا يؤخرها ، إذ رأهم اجتمعوا عجل وإذا رأهم أبطأوا أحر ، والصبح كان النبي صلى الله عليه وسلم يصليها بغلس» -

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا اشتد الحر فأندروا بالصلاة ، فإن شدة الحر من فيح جهنم» ^(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال

«من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس ، فقد أدرك الصبح ، ومن أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس ، فقد أدرك العصر» ^(٤) .

أوقات لا صلاة فيها :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس ، ولا صلاة بعد العصر حتى تغيب الشمس» ^(٥)

وله عن عقبة بن عامر «ثلاث ساعات كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن نصلي فيهن ، وأن نقبر هيهن موتد : حين تطلع الشمس برعة حتى ترتفع ، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تورل الشمس ، وحين تتصيم الشمس للغروب» ^(٦) .

تسوية الصفوف :

عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «سووا صفوفكم وإن تسوية الصفوف من

قامة الصلاة» .



(١) متفق عليه

(٢) أي عبد البحرى ومسلم

(٣) متفق عليه

(٤) متفق عليه

(٥) متفق عليه ولمط مسلم لا صلاة بعد صلاة المغرب

(٦) مسلم

وعن النعمان بن بشير قال: «كأن رسول الله ﷺ، يسوي صفوف إدم إلى الصلاة، فإن استوتينا كبر» (١).

الاطمئنان في الصلاة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ ، دخل المسجد ، فدخل رجل صلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فردّه النبي ﷺ وقال «ارجع فصل فإنك لم تصل فصلي ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال «ارجع فصل فإنك لم تصل ، ثلاثا ، قال «إذا قمت إلى الصلاة فكبر ، ثم قرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائما ، ثم اسجد حتى تطمئن حالسا ، ثم ارفع حتى تطمئن حالسا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها» .

في كيفية الصلاة (٢) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال

«إد، همت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل بقلة وكبر ثم أقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم أركع حتى تطمئن راكعاً ثم أرفع حتى تعتدل قائماً ثم أسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم أرفع حتى تطمئن جالساً ، ثم أسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم أفعل ذلك في صلاتك كلها» (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «كان رسول الله ﷺ ، إذا قام إلى الصلاة يكبر حين يقوم ، ثم يكبر حين يركع ، ثم يقول : (سمع الله من حمده) حين يرفع صلبه من الركوع ، ثم يقول وهو قائم (ربنا ولك الحمد) ثم يكبر حين يهوى ، ثم يكبر حين يرفع رأسه ، ثم يكبر حين يسجد ، ثم يكبر حين يرفع رأسه ، ثم يفعل ذلك في الصلاة كلها حتى يقضيها ، ويكبر حين يقوم من التمتين بعد الجوس» (١) .

ومثله في حديث رفاعة بن رافع عن أحمد وابن عباس «حتى تطمئن قائما»
ولأحمد : «فأقم صليتك حتى ترجع العظام» .

١٠٠٠

(٢) هذه الأحاديث في كيقية الصلاة يكمل بعضها ببعض ويذكر بعضها ما لم يذكره البعض الآخر وهي مجتمعة في

وعند حرق كمية الصلاة

(٢) أخرجته المبيعة، واللغة للبشاري، ولابن ماجه بإسناد صحيح، حتى تطعن قاصم.

(٤) مضيق عليه

والنسائي وأبي داود من حديث ربيعة بن رافع ، «إنها لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبح الوصوء كما أمره الله تعالى ، ثم يكبر الله تعالى ويحمده ويشئ عليه» .
ولأبي داود «ثم اقرأ بأم نكتاب وبما شاء الله» ولأبن حبان «ثم بما شئت» .
وعن أنس ، عن النبي ﷺ قال

«ما نال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم ، فاشتد قوؤه في ذلك ، حتى قال : لينتهن أو لتخطط أبنصارهم» .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال «كان رسول الله ﷺ ، إذا كبر في صلاة سكت هنية قبل القراءة ، فقلت يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، أرايت سكوتك بين التكبير والقراءة (١) ، ما تقول ؟ قال أقول اللهم باعد بيني وبين خطيئتي ، كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم بقب من خطيئتي كما يقب الثوب الأبيض من الدس اللهم اغسلني من خطيئتي بالماء والثلج والبرد» (٢) .

وعن عمر أنه كان يمرل

«سبحانك اللهم وبحمدك ، نبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك» (٣)

الصلاة وفاتحة الكتاب :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب ، فهي خداج» بقولها ثلاثا ، فقل لأبي هريرة إنا نكون وراء الإمام ؟ فقال اقرأ بها هي بمسك ، فأبى سمعت رسول الله ﷺ يقول «قال الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدى ما سأل فإذا قال لعبد الحمد لله رب العالمين قل لله حمدى عبدى فإذا قال الرحمن الرحيم ، قال الله أشئى عى عبدى ، فإذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى . وقال مرة ، فوض إلى عبدى ، وإذا قل - ياك نعبد وإياك نستعين ، قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، فإذا قال هذا الصراط المستقيم ، صراط الدين أنعمت عليهم غير المعصوب عليهم ولا الصالين ، قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل»

(١) أى قراءة الفاتحة

(٢) رواه الجماعة إلا الترمذى

(٣) رواه مسلم بسند منقطع ورواه الدارقطني موصولا وبوفرها

وعن عباده بن الصامت قال قال رسول الله ﷺ : « لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن »^(١) .

وهي رواية لابن حبان والدارقطني : « لا تجزى صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب » .

وهي أخرى لأحمد وأبي داود والترمذي وأبي حبان « لعلمكم تقرءون خلف إمامكم ؟ قلت : نعم . قال لا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال « إذا قال الإمام - صير المعصوب عليهم ولا الصالحين فتولوا آمين فإنه من وحق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وضع اليمنى على اليسرى :

عن ابن مسعود ، أنه كان يصلي فوضع يده اليسرى على اليمنى هراة النبي ﷺ فوضع يده اليمنى على اليسرى^(٢) .

إذا أمن الإمام :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أمن الإمام فأمنوا ، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » .

متى السجود :

عن لبراء بن عازب قال كنا نصلي خلف النبي ﷺ ، فإذا قال « سمع الله لمن حمده » لم يحرك أحد منا ظهره حتى يصنع النبي ﷺ جبهته على الأرض »

لا يرفع المأموم رأسه قبل الإمام :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، قال « أما يحشئ أحدكم أو ألا يحشئ أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار » .

(١) متفق عليه

(٢) رواه أبو داود والنسائي و ابن ماجه

الذكر في الركوع والسجود :

عن عقبه بن عامر قال لما نزلت ﴿ فسيح باسم ربك العظيم ﴾ (٥٦) قال لما
رسول الله ﷺ «اجعلوها في ركوعكم» قلت بركت ﴿ سيح اسم ربك الأعلى ﴾ قال
«اجعلوها في سجودكم» (١) .

عن حذيفة قال

صليت مع النبي ﷺ ، فكان يقول في ركوعه «سبحان ربي العظيم ، وهي
سجوده سبحان ربي الأعلى ، وما مرت به آية رحمة إلا وقف عندها يسأل ، ولا آية
عذاب إلا تعوذ منها» .

وعن عون بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن مسعود ، أن النبي ﷺ قال «إذا ركع
أحدكم ، فقال في ركوعه سبحان ربي العظيم ثلاث مرات فقد تم ركوعه ، وذلك
أدب» ، وإذا سجد فقال في سجوده سبحان ربي الأعلى ثلاث مرات فقد تم سجوده ،
وذلك أدب»

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال «إذا قال الإمام سمع الله لمن
حمده ، فقولوا اللهم ربنا ولك الحمد ، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما
تقدم من ذنبه» .

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال كشف رسول الله ﷺ الستارة والباس صفوف
حلف أبي بكر ، فقال «يا أيها الناس ، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا
الصالحة ، يراها المسلم أو ترى له ، ألا ، وإنى بهيت أن أقر القرآن راکعاً أو
ساجداً ، أما الركوع فعظموا فيه ثرب ، وأما السجود فاحتهدوا في الدعاء فقمن أن
يستجاب لكم» (٢) .

الدعاء عند الرفع من الركوع :

عن عبد الله بن أبي أوفى رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ ، إذا رفع ظهره من
الركوع قال «اللهم ربنا لك الحمد من السموات ، ومن الأرض وملء ما شئت من

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه . والآية الأولى من سورة الواقعة . والثانية من سورة الأعلى

(٢) رواه أحمد ومسلم والنسائي وأبو داود

شيء بعد اللهم بقى من الدوب والحطاي ، كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس
اللهم طهرنى بالثلج والبرد والماء البارد» (١) .

وعن أنس هريرة قال رسول الله ﷺ «لا ينظر الله إلى صلاة رجل ، لا نقيم
صلبه بين ركوعه وسجوده» (٢) .

الدعاء بين السجدين :

عن ابن عباس رضيه ، أن النسي ﷺ «كان يقول بين السجدين « اللهم اغفر
لى . وارحمنى واجبرنى ، واهدنى ، وارزقنى» (٣) .

فى كيفية السجود :

عن السراء بن عارب رضي قال قال رسول الله ﷺ «إذا سجدت فضع
كفيك ، وارفع مرفقيك» (٤) .

فى كيفية التشهد :

عن عبيد الله بن الربيع رضي ، قال . «كان رسول الله ﷺ ، إذا جلس فى التشهد
وضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ، ويده اليسرى على فخذه اليسرى ، وأشار
بالسيابة ولم يجاوز بصره إشرته» (٥) .

وعن وائل بن حجر رضي . «أن النبى ﷺ ، كان إذا ركع هرج بين أصابعه ، وإذا
سجد صم أصابعه» (٦) .

صيغة التشهد :

عن ابن مسعود رضي قال «علمنى رسول الله ﷺ ، التشهد كفى بين كفيه ،
كما يسمى السورة من القرآن «التحيات لله ، والصلوات والطيبات ، السلام عليك
أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن
لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله» روه الجماعة .

(١) أخرجه مسلم

(٢) رواه أحمد

(٣) رواه الترمذى وأبو داود إلا أنه قال فيه : وماضى مكان : واجبرنى

(٤) رواه مسلم

(٥) رواه أحمد ونسلى وأبو داود

(٦) رواه الحاكم

وهي لفظه أن النبي ﷺ قال «إذا قعد أحدكم في الصلاة ، فيقل التحيات لله ، وذكره» . وهيه عند قوله «وعلى عباد الله الصالحين» فإنكم إذا فعلتم ذلك فقد سبتم على كل عبد لله صالح في السماء والأرض» وفي آخره «ثم يتخير من المسألة ما شاء» (١) .

ولأحمد من حديث أبي عبيدة عن عبد الله ، قال «علمه رسول الله ﷺ التشهد ، وأمره أن يعلمه الناس ، التحيات لله ، وذكره . . .»

قال الترمذي حديث ابن مسعود أصبح حديث في التشهد ، والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصعبة والتابعين .

في صلاة فجر الجمعة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال .

كان رسول الله ﷺ ، يقرأ في صلاة المحرم يوم الجمعة : ﴿ التم ○ تريل ﴾ سورة المسجدة ، ﴿ هل أتى على الإنسان ﴾ سورة الإنسان (٢) .

فراءة هذه السورة في فجر الجمعة ليس واجبا ويجوز أن يقرأ المصلي بغيرها ، ويجوز أن يقرأ بحزء منها ، آية أو آيتين بحسب ما يتيمر له .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال

«صليت مع النبي ﷺ ، فما مرت به آية رحمة إلا وقف عندها يسأل ، ولا آية عذاب إلا تعوذ منها» (٣) .

من صيغ الدعاء في السجود :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت .

«عقدت رسول الله ﷺ ليلة من المراثي فانتعسته فوفعت يدي على بطن قدميه وهو ساجد وهما منصوبتان وهو يقول «اللهم إني أعوذ برصاصك من سحقك ، وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» (٤)

(١) متفق عليه .

(٢) متفق عليه .

(٣) أخرجه مسلم

(٤) أخرجه الخمسة وصححه الترمذي

قنوت الوتر :

عن الحسن بن علي رضي الله عنه أنه قال :

«عنني رسول الله ﷺ ، كلمات أقولهن في قنوت الوتر «اللهم اهديني هيم هديت ، وعافني هيم عافيت ، وتولى هيم توليت وبارك لي فيما أعطيت ، وقنى شر ما قصيت ، فإنك تقضى ولا يقضى عليك - ونه لا يدل من واليت ، تباركت ربنا وتماليت» روى الحمسة وروى الطبرنى والبيهقي «ولا يعر من عديت» راد النعش من وجه آخر في آخره - «وصلى الله تعالى على النبي» .

دعاء في الصلاة :

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : «لرسول الله ﷺ ، علمي دعاء أدعوه به في صلاتي ، قال قل ، «اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ، ولا يعفر الذنوب إلا أنت فاعمر لي معفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم» (١) .

وعن علي رضي الله عنه ، قال

كان رسول الله ﷺ ، إذا قام في الصلاة يكون من آخر ما يقول بين تشهد والتسليم - «اللهم اعصر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت ، وما أعلقت وما أسررت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت» (٢) .

التسليم :

عن وائل بن حجر رضي الله عنه أنه قال

«صليت مع النبي ﷺ ، فكان يسلم عن يمينه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وعن شماله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» (٣)

(١) متفق عليه .

(٢) روى مسلم .

(٣) روى أبو داود بإسناد صحيح

متنائرات فى شئون الصلاة

عن أبى هريرة ؓ قال : نهى رسول الله ﷺ : «أن يصلى الرجل مختصرا» (١) .

وعن أنس ؓ ، أن رسول الله ﷺ قال «إذا قدم لعشاء فابدءوا به قبل أن تصلوا المغرب» (٢) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات فى الصلاة فقال «هو احتلاس يحتلسه الشيطان من صلاة العيد» (٣) .

والترمذى وصححه : «إياك والالتفات فى الصلاة فإنه هلكة ، فإن كان لابد فمى التطوع» .

وعن حذير بن سمرة ؓ قال قال رسول الله ﷺ «ليستهير أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء فى الصلاة أو لا ترجع إليهم» (٤)

وعن أبى هريرة ؓ أن النبى ﷺ قال «تثاؤب من الشيطان فإذا ثأب أحدكم فليكنظم ما استطاع» (٥)

وعن معاوية بن الحكم ؓ قال قال رسول الله ﷺ «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» (٦)

وعن أنس ؓ قال قال رسول الله ﷺ «التسبيح للرجال والتصديق للنساء» (٧) . أى عندما يريد المصلى أن يبه على أمر

وعن أبى قتادة ؓ قال كان رسول لله ﷺ يصلى وهو حامل أمامة بنت ربيب ، وإذا سجد وضعها ، وإذا قام حملها ^أ ولم يسم وهو يؤم الناس فى المسجد

(١) متفق عليه ولفظ مسلم ومعاذ أن يجس يده على حاصرته

(٢) متفق عليه

(٣) رواه البخارى

(٤) رواه مسلم

(٥) رواه مسلم والترمذى ورواه ترمذى فى الصلاة

(٦) رواه مسلم

(٧) متفق عليه ، زاد مسلم فى الصلاة

(٨) متفق عليه

وعن أبي جهيم عن الحارث رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ، «لو يعلم الناس بين يدي المصلي ماذا عليه من الإثم ، لكان أن يقف أربعين خيرا له من أن يمر بين يديه» (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «إد صلى أحدكم فليجعل تلقاء وجهه شيئا فإن لم يجد فليصب عصا ، فإن لم يكن فليحط خطا ثم لا يصره من مابين يديه» (٢) .

دعاء رسول الله ﷺ في الصلاة وبعدها :

ذكرنا من قبل بمناسبة افتتاح الصلاة وغيره بعض أدعية رسول الله ﷺ ، والآن نذكر ما لم نذكره من قبل من الأدعية ، ومما ينبغي التنبه عليه أن هذه لأدعية التي ذكرناها والتي نذكرها لم يكن رسول الله ﷺ يقونها كلها في ركعة واحدة أو في صلاة واحدة ، وربما كان يذكر منها في الصلاة بحسب ما يشرح الله صدره له ، وبحسب ما يفتح الله عليه ، وللمصلي أن يحفظ منها ما يوفقه الله لحفظه وأن يتجه بالدعاء إلى الله كلما وجد في نفسه ابشراحا وفتحا .

عن أبي حميد وأبي سعيد قالا : قال رسول الله ﷺ «إذا دخل أحدكم المسجد ، فليقل : اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليقل : اللهم أسألك من فضلك» (٣) .

وعن هاطمة نزهراء رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال «باسم الله والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج قال باسم الله والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب فضلك» (٤) .

وعن معاذ بن جبل قال : لقيت النبي ﷺ فقال «إني أوصيك بكلمات تقولهن في كل صلاة اللهم أعني على ذكرك ، وشكرك وحسن عبادتك» (٥)

(١) متفق عليه ، واللفظ للبخاري ، ووقع في التبرار من وجه آخر أربعين خريفا

(٢) أخرجه أحمد وابن ماجه وصححه ابن حبان ولم يصب من زعم أنه مضطرب بل هو حسن

(٣) رواه أحمد والسنائي وكذا مسلم وأبو داود

(٤) رواه أحمد وابن ماجه

(٥) رواه أحمد والسنائي ، وأبو داود

وعن عائشة رضى الله عنها أنها فقدت النبي ﷺ من مضجعتها ، فلمسه بيدها ، فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول «رب عظم نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها» (١) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن النبي ﷺ ، صلى فجعل يقول في سجوده «اللهم اجعل في قلبي نورا ، وفي سمعي نورا ، وفي بصري نور ، وعن يميني نورا وعن شمالي نورا ، وأمامي نور ، وخلفي نورا وفوقي نورا ، وتحتي نور ، واجعل لي نور ، أو قال واجعلني نورا» .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ «حصلتان لا يحصييهما رجل مسلم إلا دخل الجنة ، وهما يسيرتان ، ومن يعمل بهما قليل يسبح الله في دبر كل صلاة عشرا ، ويكره عشرا ، ويحمد عشر ، قال فرأيت رسول الله ﷺ يعقدهما بيده فتلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمسمائة في الميزان ، وإذا أتى إلى فراشه سبح وحمد وكبر مائة مرة ، فتلك مائة باللسان وألف في الميزان»

وعن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال أنه كان يعلم فيه هؤلاء الكلمات ، كما يعلم المتعلم العلماء الكتابة ، ويقول إن رسول الله ﷺ ، كان يعود بهن دبر صلاة «اللهم إني أعود بك من البحر وأعود بك من الحب وأعود بك من أن أزد لي أزدل العسر ، وأعود بك من هتفه الدنيا ، وأعود بك من عذاب القبر» (٢)

وعن شدد بن أوس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ ، كان يقول في صلاته «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد ، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ، وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعود بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم» (٣) .

وعن عائشة ، رضى الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده «سبحانك اللهم ، ربنا وبحمدك ، اللهم أعمرني ، يتأول القرآن .

(١) رواه أحمد

(٢) رواه البخاري والترمذي وصححه .

(٣) رواه النسائي

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال كان النبي ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال

«وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيئاً مسلماً وما أنا من المشركين ، إن صلاتي وتسكبي ومحباتي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين ، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ، أنت ربي ، وأنا عبدك ، ظلمت نفسي واعتزيت بذنبي فاعصر لي دويي جميعاً ، إنه لا يقصر الذنوب إلا أنت ، وأهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئها ، لا يصرف عني سيئها إلا أنت ، لبيك وسعديك ، واسخبرك كله هي يديك ، والشر ليس إليك ، أنا بك وإليك ، تباركت وتعاليت ، أستعمرك وأتوب إليك» وإذا ركع قال

«اللهم لك ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي» وإذا رفع رأسه قال :

«اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات ، وملء الأرض ، وملء ما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد» وإذا سجد قال :

«اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، سجد وجهي للذي خلقه وصوره ، وخلق سمعه وبصره : تبارك الله أحسن الخالقين» ، ثم يكون من آخر ما يقول :

« اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت ، وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت» ^(١) .

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال كان النبي ﷺ إذا سلم من الصلاة قال

« اللهم أعصر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت ، وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت» ^(٢) .

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول في ذكر كل صلاة

«اللهم ربنا ورب كل شيء ، أنا شهيد أنك أنت الرب وحدك لا شريك لك

اللهم ربنا ورب كل شيء ، أنا شهيد أن محمداً عبدك ورسولك

(١) أخرجه الإمام أحمد ، ومسلم ، والترمذي ، وقال هذا حديث حسن صحيح

(٢) أخرجه أبو داود

اللهم ربنا ورب كل شيء . انا شهيد أن العباد كلهم إحوة

اللهم ربنا ورب كل شيء . أحملني محاسنك وأملني من كل ساعة من الدنيا والآخرة .

يا ذا الجلال والإكرام ، اسمع واستجب ، الله ، الأكبر ، الله ، الأكبر ، الله نور السموات والأرض ، رب السموات والأرض الله أكبر حسبي لله ونعم لوكيل الله أكبر^(١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ليلة حين خرج من صلاته :

«اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي ، وتجمع بها أمري ، وتلم بها شعلي^(٢) ، وتصلح بها عائي ، وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي ، وتلهمني بها رشدي ، وترد بها أفتي^(٣) ، وتمصمني بها من كل سوء .

اللهم أعطني إيمانا صادقا ، ويقينا ليس بعده كفر ، ورحمة أبال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة

اللهم إني أسألك المور في القماء ، ويزل الشهداء ، وعيش السعداء ، والنصر على الأعداء .

اللهم إني أنزل بك حاجتي ، وإن قصر رأيي وصعب عملي اهتقرت إلى رحمتك ، فأسألك يا قاصي الأمور ، ويا شافي الصدور ، كما تجير بين البحور ، أن تجيرني من عذاب السعير ، ومن دعوة ثبور^(٤) ، ومن فتنة انقبور

اللهم ما قصر عنه رأيي ، ولم تبلغه بيتي من خير وعنده أحدا من خلقك أو خير أنت معطيه أحدا من عبادك ، فإني أرفع إليك فيه وأسألك رحمتك رب العالمين

اللهم ذا لحيل الشديد ، والأمر الرشيد ، سألك الأمن يوم الوعيد ، والجنة

(١) أخرجه أبو داود

(٢) يعني وإن جمع بهم ما يفرق من أمري

(٣) يعني الدين ألتهم وألموس من أحببتهم

(٤) الثبور هو الهلاك

يوم الخلود ، مع المقربين لشهود ، الركع السجود ، الموهين بالمهود ، إليك رحيم ودود ، وإليك تعمل ما تريد .

اللهم اجعلنا هادين مهتدين ، غير ضالين ولا مضيين ، سلما لأوليائك ، وعدوا لأعدائك ، نحب بحبك من أحبك ، وبعدى بعداوتك من حادمت

لهم هذا الدعاء وعليك الإجابة ، وهذا الجهد وعليك الثكلان^(١)

اللهم جعل لى نورا فى قبرى ونور فى قلبى ، ونورا بين يدى ونور من حنى ، ونور من يمينى ونور عن شمالى ونورا من فوقى ، ونورا من تحتى ، ونورا فى سمعى ونورا فى بصرى ونورا فى شعرى ونورا فى بشرى ، ونور فى لحمى ، ونورا فى دمى ، ونورا فى عظامى

لهم أعظم لى نورا ، وأعظمى نورا ، واجعل لى نورا .

سبحان الذى أعظم بالعر وقال به^(٢) .

سبحان الذى ليس المجد وتكرم به .

سبحان الذى لا يبعى التسبيح إلا به .

سبحان ذى الفصل والنعيم .

سبحان ذى المجد والكرم .

سبحان ذى التحلل والإكرام^(٣) .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وكبر الله ثلاثا وثلاثين ، وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»^(٤) .

وعن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، كان يتعود دبر الصلوات بهذه الكلمات ، اللهم إني أعود بك من الحس ولبس وأعود بك من أن أؤد إلى أؤدل العمر ، وأعود بك من فتنة الدنيا وأعود بك من فتنة القبر^(٥)

(١) الجهد : هو المداقة ، والثكلان : المصبود به التوكل على الله سبحانه

(٢) أعظم بالعر يعنى لودى به واتصف وتلك على طريق المجاز فى حقه تعالى

(٣) حرجه الترمذى وقال : حديث حسن عريب لا يعرف من حديث أبى أبى لى إلا من هذا الوجه

(٤) رواه مسلم ، (٥) رواه البخارى

وعن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال «يا معاذ ، والله إنني لأحبك ، فقال أوصيك يا معاذ ، لا تدعن في دبر كل صلاة تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» ^(١) .

وعن ثوبان رضي الله عنه قال - كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال - «اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام» .

قيل للأثر هي ، وهو أحد رواة الحديث كيف الاستغفار ؟

قال : يقول - «استغفر الله ، استغفر الله» ^(٢) .

وعن المعيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من صلاة وسلم قال «لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد» ^(٣) .

وعن عبد الله بن الربيع رضى الله عنهما ، أنه كان يقول دبر كل صلاة حين سلم «لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة والمصل ، وله الثناء الحسن لا إله إلا الله ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، هال أن الربيع وكان رسول الله ﷺ ، يهلل بهن دبر كل صلاة ^(٤)

وعن المعيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد» ^(٥)

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بهن دبر كل صلاة - «اللهم إني أعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك من الجن ، وأعوذ بك من أن أزد

(١) رواه أبو داود بإسناد صحيح

(٢) رواه مسلم

(٣) متفق عليه

(٤) رواه مسلم

(٥) متفق عليه

إلى أردل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر» (١)

من مظاهر رحمته ﷺ في الصلاة :

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

«إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف . من منهم الضعيف ، والسقيم ، والكبير ،
ولا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء»

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ، أن النبي ﷺ قال

«إني لأدخل في الصلاة ، وأنا أريد إطالتها ، فأسمع بكاء الصبي فأتجور في
صلاتي ، مما أعظم من شدة وجد أمه من بكائه» .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : ما صليت وراء إمام قط أحف صلاة ، ولا أتم
من الصبي ﷺ ، وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تمت أمه

وعن أبي مسعود الأنصاري رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال
يا رسول الله ، إني والله لأتأخر عن صلاة العداة من أجل فلان ، مما يطيل بنا فيها
قال : فما رأيت الصبي ﷺ قط أشد غصا في موعظة منه يومئذ ، ثم قال

«يا أيها الناس ، إن منكم متفرقين ، فأيكم صبي بالناس فليوحره إن فيه
الكبير والضعيف ودا الحاجة»

المرأة والمساجد :

عن ابن عمر رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ . «إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد
فلا يمنعها» .

صلاة التطوع

بين رسول الله ﷺ في بعض الأحاديث الحد الأدنى في النوافل ، وبين في
بعضها الآخر زيادة عن الحد الأدنى لمن أراد الزيادة في الخير .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال : «حفظت عن رسول الله ﷺ ،
ركعتين قبل الظهر ، وركعتين بعد الظهر ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء» .

(١) رواه البخاري

وركعتين قبل العداة ، كانت ساعة لا أدخل على النبي ﷺ فيها فحدثتني حفصة أنه كان إذا طلع المجر وأدى المؤذن صلى ركعتين،^(١) .

صلاة الليل :

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال :

«سئل رسول الله ﷺ أى صلاة أفضل بعد المكتوبة؟ قال : الصلاة هي جوف الليل ، قال : «أى الصيام أفضل بعد رمضان؟ قال : شهر الله المحرم»
وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال :

«قام رجل فقال : يا رسول الله ، كيف صلاة الليل؟ فقال رسول الله ﷺ : صلاة الليل مثني مثني ، فإذا حفت الصبح فأوتر بواحدة» ، روه لجماعة ، ورد أحمد في رواية «وصلاة الليل مثني مثني تسلم في كل ركعتين» وذكر الحديث .
وليسم هيل لابن عمر : ما مثني مثني؟ قال : يسلم في كل ركعتين

الوتر :

عن أبي أيوب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«لوتر حق ، فمن أحب أن يوتر بخمس فليفعل ، ومن أحب أن يوتر بثلاث فليفعل ، ومن أحب أن يوتر بوحدة فليفعل»
وهي لمحمد لأبي داود : «لوتر حق كل مسلم» .

رواه ابن المنذر وقال فيه : «لوتر حق وليس بواجب» .

وعن حارثة بن حذافة رضى الله عنه قال ، خرج عبيد رسول الله ﷺ ذات عداة فقال

«لمد أمدكم ، الله بصلاه هي خير لكم من حمر نعم ، قلنا : وما هي يا رسول الله؟ قال : الوتر فيما بين صلاة المساء إلى طلوع المجر»

(١) مثنى عليه

تطوع الفجر :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر (١) .

وعنها عن النبي ﷺ قال : «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها» (٢) .

تطوع الصبح :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يصلي الصبح أربع ركعات ويريد ما شاء الله (٣) .

تطوع الظهر :

عن أم حنيفة رضي الله عنها قالت : سمعت النبي ﷺ يقول : «من صلى أربع ركعات قبل الظهر ، وأربعاً بعدها ، حرمه الله على النار» .

تطوع العصر :

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : «رحم الله امرأً صلى قبل العصر أربعاً» (٤) .

تحية المسجد :

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إدخلكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين» ، رواه الجماعة .

وروى عنه ﷺ : «أعطوا المساجد حقها ، قالوا : ما حقها؟ قال : أن تصلوا ركعتين قبل أن تجلسوا» .

النافلة في البيت والمريضة هي المسجد .

عن زيد بن ثابت : أن النبي ﷺ قال :

«أفضل الصلاة صلاة امرء في بيته إلا المكتوبة» .

(١) متفق عليه

(٢) رواه أحمد ومسلم ، والترمذي وصححه

(٣) رواه أحمد ومسلم وابن ماجه

(٤) رواه أحمد وأبو داود والترمذي

الأوقات التي تتركه فيها الصلاة :

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

«لا صلاة بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس ، ولا صلاة بعد صلاة المجر حتى تطلع الشمس» (١)

وفي لفظ : «لا صلاة بعد صلاتين ، بعد الفجر حتى تطلع الشمس ، وبعد العصر حتى تغرب» (٢) .

يوم الجمعة :

عن أبي أيوب رضي الله عنه سمعت النبي ﷺ يقول :

«من اعتسل يوم الجمعة ، ومس من طيب إن كان عنده ، ولبس من أحسن ثيابه ، ثم خرج وعليه السكينة حتى يأتي المسجد فركع إن بدا له ولم يؤد أحدا ، ثم أتت إذا خرج إمامه حتى يصلي كانت كفرة لما بينها وبين الجمعة الأخرى» (٣)

فضيلة السجود :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا السجدة» (٤) .

وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول :

«أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر ، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن» (٥) .

وصلّى الله على محمد المي الأمل وعلى آله وصحبه وسلم .

(١) متفق عليه

(٢) رواه أحمد والبخاري

(٣) رواه أحمد

(٤) رواه أحمد ومسلم وابن داود والنسائي

(٥) رواه الترمذي وصححه

الركن الثالث من أركان الإسلام

الزكاة

حكم وأسرار

روى الإمام البخارى رحمه الله ، عن أبى هريرة نصر الله وجهه ، قال
« لما توفى رسول الله ﷺ ، وكفن أبو بكر رضي الله عنه ، وكمر من كمر من العرب
بسبب عدم خراجهم الزكاة وامتناعهم عن تأديتها فقال عمر رضي الله عنه
كيف تقاتل الناس ، وقد قال رسول الله ﷺ ، «أمرت أن أقاتل الناس حتى
يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم مني ماله ، ونفسه إلا بحقه ، وحسابه
على الله؟» ، فقال والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال،
والله لو منعوني عناقا ، كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها
قال عمر رضي الله عنه

«هو الله ما هو إلا أن يشرح الله صدر أبى بكر رضي الله عنه فعرفت أنه لحق»
من هذا الحديث الشريف يعلم ، أن مانع الزكاة بهذا الوضع وعلى هذه
الصورة : كافر ، وأنه يحارب حتى يؤديها ولا قتل .
وقد حارب سيدنا أبو بكر رضي الله عنه ، مانعي الزكاة لأنه رأى أن الامتناع عن
الزكاة إنكارا لها ، ارتداد عن الإسلام ، ولم يدفعهم فيما رأى سيدنا أبو بكر
وفيما رأى الصعابة معه - صلاة أو صيام ، أو غير ذلك من الشعائر الإسلامية
ذلك أن الزكاة ركن من أركان الإسلام ، والامتناع عن أدائها إنما هو هدم ركن من
أركان الدين .

إنها الركن الثالث يدفعها من تجب عليه لمستحقيها ليحيى بها نفوس ،
ويشبع بها بطوننا ، ويمسح بها دموعنا ، ويرين بها آلامنا ، ويتنازل بها ثواب وأجرا من
الله تعالى (١) .

(١) انظر : إحياء علوم الدين للإمام الغزالي في كتاب الزكاة

وكان الإسلام بقرصها أراد أن يلمت بها بظن المسلم ، ويوجه انتباهه - هي صورة من صور الواجب إلى ضرورة شكر الله تعالى ، على ما أسدى إليه من نعمة المال ، وعلى ما وهب من نعمة الثراء .

وأراد أن يلمت نظره إلى أنه . عصو هي مجتمع يحب أن يكون متعاوناً متسانداً ، كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والعسر . وإلى أنه عصو هي مجتمع يتكفل كل فرد فيه بالآخرين .

فالغنى متكفل بالفقير والقوى متكفل بالضعيف ، وذو الجاه متكفل بمن لا جاء له ، وذو العلم متكفل بمن لا علم له .

وقد حمل الله سبحانه وتعالى ، الزكاة برهاناً على الإيمان ، يقول صلوات الله وسلامه عليه : «الصدقة برهان»^(١) .

وكل من يحادق نفسه إدس ، فيدعي الإيمان ثم يمتنع عن زكاة ماله ، فإن هذا لامتناع نفسه برهان على كذبه

وإذا كانت الزكاة برهاناً ، فإنها أيضاً امتحن يستبين فيه من أجاب داعي الله ، ومن أعرض عنه .

ثم هي تطهير للنفس وتركية لها ، وتطهير للمال وتركية له ، بقول الله تعالى

﴿ خذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾^(٢)

والمال الطاهر ، يركى : يعمو باستمرار ، ويجعل الله فيه البركة ، ويحفظه الله تعالى من التلف ، ويبعد عنه الآفات ثم يحمله الله تعالى .

﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ يَهْرُجُحْنَهُ وَهُوَ حَيْرُ الرَّارِقِينَ ﴾^(٣)

وهو سبحانه وتعالى ، يعوضه أضعافاً مضاعفة :

﴿ مَنِ الَّذِينَ يُضِلُّوا أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةٍ آتَتْ سَنَعًا مِثْلُ سِنَةِ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يَصَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٤)

(١) كلمة الصدقة التي تظهر بالصنق والإسلام تستعمل أحياناً بمعنى الصدقة الواجبة ، أي الزكاة . وتستعمل

أحياناً أخرى بمعنى التبرع

(٢) سورة مائدة آية ٢٩

(٣) سورة سبأ آية ١٠٣

(٤) سورة البقرة آية ٢٦١

ويأتي من بعد ذلك كله الأجر والثواب ، ورضوان الله سبحانه وتعالى .

وأجر الزكاة يبدأ من عشرة أمثالها هالخمسة عشر ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى ما شاء الله ، من أضعاف لا يكاد يحصيها العد .

والزكاة إذن رابطة بين الإنسان وربه ، رابطة وصول من لله ، وأجر وثواب وماء وبركة ، ورابطة شكر من الإنسان لله تعالى على ما أنعم به ، وتفصل وأحسن وأكرم

وهي من ناحية أخرى : رابطة بين الإنسان : وأفراد المجتمع الذي يعيش فيه ، رابطة مودة وتعامل وقرح

والأساس الذي يجب أن يقوم عليه إعطاء زكاة أن يعطيها الإنسان طيبة بها نفسه مشرجا بها صدره غير منتظر شكرا ولا حمدا ولا معروفا بسدي ، ولا خدمة تؤدي يقول الله سبحانه وتعالى

﴿ فَأَذْرَتْكُمْ إِرَا نَظِي (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَنَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ بِحَرَى (١٩) إِلَّا نَفَاءً رَحْمَةً رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١) ﴾ (١)

وبعض الناس يتبعون صدقاتهم بدين والأذى فيبطل ذلك زكاتهم ، ولكن ﴿ أَلَيْسَ يُعْقَبُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّخِذُوا مَا آتَوْا مِنْهُ إِلَّا أَدَى لُهُمْ حرهه عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٢٠٠) ﴾ (٢)

وبعد ، ههنا المال الذي استحللنا الله عيه وحمنا محرم مستحصب فيه إنما هو مال الله سبحانه عن انقضاء معاملات الأنبياء

﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُستَحْلِفِينَ فِيهِ قُلُوبُ مَوَّكُمْ وَأَنْفَقُوا فِيهِ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) ﴾ (٣)

وهي الحديث القدسي يقول الله تعالى

«الأعياء وكلاني ، واله نراء عياني ، فإذا بخل وكلاني على عيالي أدقتهم مكالي ولا أبالي» .

(١) سورة الفيل آية ١٤ - ٢١

(٢) سورة البقرة آية ٢٦٢

(٣) سورة الحديد آية ٧

٦ أما هؤلاء الذي يشحون بالمال ويحطون به ، فإن الله سبحانه وتعالى يتحدث عنهم فيقول

﴿ وَلَا يَحْسِبِ الَّذِينَ يَحْلُونَ بِمَا أَنفَعَهُمْ شَيْءٌ مِّنْ فَعْلِهِ خَيْرًا لِّهِمْ بَلْ هُوَ بَرُّ نَبِّهِمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا يَحْلُونَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١٨) ﴿

المعاني الإنسانية هي الزكاة

روى الإمام أحمد رضى الله عنه بسنده عن سر رضى الله عنه قال أتى رجل من نعيم رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ، إنى ذو مال كثير ودواهل ورجال وحاضرة ، فأحبرنى كيف أصنع ، وكيف أبقى؟ فقال رسول الله ﷺ «تخرج الزكاة من مالك وإياها تطهر بطهرتك وتصل أقربائك ، ويعرف حق المسكين ، وتجار ولسائل» .

فى هذا الحديث الشريف يبين رسول الله ﷺ أن الزكاة تطهر الركن ، إياها تطهره من البخل ، والله سبحانه وتعالى يقول

﴿ وَمَن يُؤِ شَيْءٌ نَّفْسَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْضَحُونَ ﴾ (٩) ﴿ ١٧

وإن من الثلاث المهلكات التى تحدث عنها رسول الله ﷺ الشح لمطاع .

وتطهر النفس من الأنانية التى تجعل بعض النفوس يستأثر بكل شيء ويحتص بنفسه بكل خير مكتنزا له ومقترا حتى على أقربائه ، فإذا ما تعود على إخراج الزكاة فإنه بذلك يكون قد تعود على أن يفتح ما يملك ويعطى مما أعطاه الله فيخرج بذلك عن شيء من أنانيته ، ومن أجل ذلك يقول تعالى لرسوله الكريم

﴿ خذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ (٢) .

ثم هو طمأنينة للنفس : على النفس وعلى المال .

فالزكاة نوع من تصدع عن النفس ، يشعر بذلك الركن شعورا واضحا ، أو شعورا خفيا ، إنه يشعر فى نفسه بعد أداء الزكاة بطمأنينة ، ويشعر فى قلبه برضا ، وفى ضميره بارتياح

(٢) التوبة ١٠٣

(٣) سورة الحشر ١٠١

(١) سورة آل عمران ١٨٠

والزكاة نوع من المدء عن المال ، ومن أحل ذلك يقول رسول الله ﷺ .
 « حصصوا أموالكم بالزكاة » .

ونه لما يرصى النفس ويرتاج له الفؤاد ، أن يصل لإنسان بالزكاة أقرباءه
 فتكون لزكاة زكاة ، وصلة رحم ، ويكون ثوابها بذلك مصاعفا
 وبه لشكر الله على النعمة ، أن يحرج الإنسان بعضها لمن لم يمنحه الله الثراء .
 وبعد فإن المسلم الصادق يرى من قبل ذلك ومن بعده ، أن للزكاة صيتين
 أولاهما أن الزكاة تأدية حق ، إنها واجب وليست محبة ، إنها واجب وليست
 تفصيلا . فهو يؤديها على أنها حق السائل والمحروم ، يقول الله تعالى ، هي سورة
 الداريات عن المتقين ، ﴿ وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ (١) .

ويقول الله تعالى في سورة المعارج دأكر صفات المؤمنين الحميدة
 ﴿ وألدين في أموالهم حق معلوم * لسائل والمحروم ﴾ (٢) .

أما العاية الثانية : العاية العليا ، العاية السامية ، فإنها الرض الإلهي
 يقول تعالى ﴿ فأذرتكم نارا ناطا (١) لا يضلها إلا الأشقى (٢) الذي كذب وتولى (٣)
 وسيجننها الأثقى (٤) الذي يأتى ماله يركى (٥) وما لأحد عنده من نعمة تجرى (٦) ، لا ابتغاء
 وجه ربه الأعلى (٧) وتسوف يرصنى (٨) ﴾ (٣) .

الصدقة

قول معروف ومنفرة : خير من صدقة يتبعها أذى :

يقول الله تعالى :

﴿ قول معروف ومنفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم ﴾ (٤) .

وردت هذه الآية ، للكرامة ، ضمن آيات عدة بحث على الصدقة ، ويذكر آدابها
 وثمراتها ، وقد بدأ الله سبحانه وتعالى هذه الآيات من سورة البقرة بذكر ثمرات
 التصديق في سبيل الله ، ترغيبا في الصدقة من أول الأمر

(١) الداريات ١٩ (٢) المعارج ٢٤ ، ٢٥

(٣) قليل ١٤ ، ٢١ (٤) البقرة ٢٦٣

مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله سبحانه - كمثل حبة عرست في الأرض ، هنتى ، واينعت ، وأثمرت سبع منابل ، ممثلة موفورة ، في كل سنلة منها مائة حبة ، ويشير الله بذلك إلى أحر المتصدق . ومقدار ما يعطيه الله عليه جزء صدقته ، هـ الأجر الذي يتضاعف فيصل إلى سبعمائة مثل ، ولكنه لا يقتصر على ذلك ، فإنه بمقدار إخلاص ، يتصدق يضاعف الله له الأجر ، إذا شاء . وأن فضل الله لأوسع من أن يضيق بمنع الأصناف المضاعفة ، وهو سبحانه عليم بمن يستحق ذلك من المحلصين .

وبعد ذلك تتعرض الآيات لبعض شروط صدقته المقبولة ، فمن ذلك أنه سبحانه :

١ - لا يقبلها من هؤلاء الذين يتييمونها بالمر .

والمر أن يعتد المتصدق بإحسانه على من أحسن إليه ، فيقول مثلاً أنا أحسنت إليه في كذا وكذا ، وأنا فعلت معه هذا وذاك يريد إظهار فضله عليه

٢ - ومن ذلك أيضاً أنه سبحانه لا يقبلها ممن يتبعها بالأذى

والأذى أن يتناول المبعق على من أسقى عليه بالكلام أو بغيره . أما الذين لا يتبعون ما أنفقوا من ولا أدى ، من أجرهم عند الله سبحانه جريل

ومن أجل إبعاد المتصدقين عن أن يقعوا فيما يتصل بالمر والأذى من قرب أو بعد أقص سلبها الصالح في الحديث فما يكون من أو دى فقاروا

المر أن يستعده بالمعطاء . والأذى أن يميّره بالمقر

وقالوا لمن أن ينكبر عليه لأجل عطائه ، والأذى أن ينتهره ويوبخه بالمسألة .

ولقد قال الإمام المصنفه سمن الثورى «من من فست صدقته هفيل له

كيف اس؟ فقال . أن يذكره ويتحدث به» .

ولقد كان سمننا الصانع رقيقاً في هذه المعاني . حتى لقد قال ريد بن

أسلم رضي الله عنه : «إذا أعطيت أحدا شيئاً ، وطننت أن سلامك بثقل عليه ، فكف سلامك عنه»

على أن الكلام الحسن والرد الجميل على السائل ، والبشاشة في وجهه ، والتجاور عن إلحافه ، ومعفرة ذلك له - وكلها أمور سهلة التحقيق - حير عبد الله وأفضل من صدقة يتبعها من أرى لدى للسائل

والدين الإسلامى ، دين يحافظ على كرامة الفرد ، محافظة تامة مادام الفرد محافظاً على حدود الدين وأدائه لا يتجاوزها ، وإن حث على الصدقة والإنفاق . فليس يمسى بذلك الخط من قيمة افقير ، بل إنه مما يؤثر عن رسول الله ﷺ ، أنه قال ، «ما الذى أعطى من سعة ، بأفضل أجراً من الذى يقبل من حاجة» .

وبروى أيضا أنه قال ما معناه «إن الصدقة تقع فى يد الله ، قبل أن تقع فى يد الفقير»

على أن الصدقة فى الجو الإسلامى إنما تفيد المتصدق أكثر مما تفيد الآخذ ، ذلك أن فائدتها للآخذ : تكاد تكون فائدة مادية وحسب ، إنها بالنسبة له لا تعدو أن تكون علاجاً للجوع

أما بالنسبة للمعطى ، فإنها تفيد فى الدنيا ، وتفيد فى الآخرة .

أما فائدتها فى الدنيا ، فإن الله سبحانه ، يحلف عليه لا يثبت فقط ، بل بأضعاف مضاعفة يقول تعالى . ﴿وَمَا تَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ لَهُوَ يُحْلَفُ﴾ .

والصدقة دواء من المرض ، يقول صلوات الله وسلامه عليه «داووا مرضاكم بالصدقات»

ويقول صلوات الله وسلامه عليه ، فى جمال ، وفى شمول «الصدقة تسد سبعين باباً من الشر» .

أما فائدة الصدقة فى الآخرة فإنها كما يقول صلوات الله وسلامه عليه «تطفى الحطية كما يطفى الماء النار»

ويقول صلوات الله وسلامه عليه

«اتقوا النار ولو بشق تمر» ، فإن لم تجدوا تلك كلمة طيبة ،

ومن أجل فائدتها دينا وأخرى ، كان سلفنا الصالح ، رضى الله عنهم عندهم شعور مرهف وإحساس دقيق ، واندهاع لى الخير ، فى صورة الصدقة .

هتقد تصدقت السيدة عائشة رضوان الله عليها بحمسين ألفا ، وإن ثيابها لمرقعة
 ولقد كانت رضوان الله عليها كغيرها من أفاضل ، ومن فصليات ذلك
 العهد الكريم ، إذا أرسلت صدقة إلى فقير قالت لمن ترسله بالصدقة حمط
 ما يدعوه ، ثم كانت ترد عليه مثل قوله فتدعوه له بمثل ما دعا لها ، وتقول
 هذا بذاك ، حتى تحلص لنا صدقتنا ، وكانت لا تتوقع ادعاء ، لأنه شبيه
 بالمكافأة ، وكانت تقابل الدعاء بمثله

ولقد عرفوا رضوان الله عليهم قيمة الصدقة عند الله ، وقيمتها في سبيل
 «تقرب منه سبحانه» يقول سيدنا عمر بن عبد العزيز واصفا فصل العبادات في
 التقريب من الله «الصلاة تبعك بصف الطريق والصوم يلفتك باب الملك ،
 والصدقة تدخلك عليه» .

عرفوا ذلك فتنافسوا في البذل والإساق ، والتزموا حدود الآداب التي يحسها
 الله سبحانه من المصق وعتيروا أن للمقبر فضلا عليهم في تطهير أموالهم وفي
 تركية بموسمهم ، وفي وضعهم موضع القبول والرضا من الله سبحانه وتعالى ،
 فابتعدوا كل البعد عن إبداء لفقراء على أي وضع من الأوضاع ، وإذا لم يكن عندهم
 ما يهدونه إلى الفقير قالوا له قولا معروفا ، وإذا ألحف غصروا له إلحاحه ، وإذا قام
 ببعض النماط - لما يجد من الضيق الذي يحيط به - عفوا عنه .

وبعد فإن أسلافنا ممن أنار الله بصائرهم ، كانوا يتبعون الهدى الإسلامي في
 أموالهم - إن هذه الأموال اشتراها الله مما في عهد الإيمان بشئ هو الحبة
 ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْرٌ لَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ (١) .

فالمال مال الله ، والله سبحانه يستخلص عليه ، ثم أمرا بأن نسق في سبيله
 وعلى عياله أي المقراء مما استخلصت فيه ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ﴾ (٢)
 وهو سبحانه يعطى لعماله فالمفضل منه وإليه ، ولو شاء الله لأغنى
 المقراء ، ولكنه سبحانه فتح أمام الأعياء بالصدقة بابا هو الصدق في الإيمان
 حتى تكمل بموسمهم وتتركى فيرعى عنهم ويدخلهم في رحاب رحمته ورضوانه

الإيمان والإنفاق في سبيل الله

إن رسول الله صلوات الله عليه وسلامه يقول «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وإذا وحد الإيمان وحد التأزر والتعاطف .

ونريد أن نتحدث في هذا الجانب عن عامل واحد من عوامل التعاطف وهو الركاه (١) نريد أن نعود إلى الركاه من جديد ، والحديث فيها لا يكاد ينص .

إن الركاه وإن كانت تركية لمال المركي فإنها تركية وتطهير لنفسه وهي تركية وتطهير لنفس الآخر فإنها تمتع فيه الرضا والاطمئنان ، وهي تربط بين أفراد المجتمع برباط محكم لأنها مودة وشكر .

والركاه هي أوسع معانيها ، إنما هي بذل وتصحية : فمعارضة الضعيف ركاه ، وزيارة المريض ركاه ، وكظم الغيظ ركاه ، والعمو عند المقدرة ركاه ، والصدقة ولو بشق تمرة ركاه ، والكلمة لطيفة ركاه ، وكل إنفاق من القوة أو الذكاء أو المال في سبيل الله ، إنما هو ركاه ، وقد وعد الله بأن يحسنه ، يقول الله تعالى

﴿وَمَا يَفْقَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ (٢)

يحسنه في الدنيا ، ويجزل العطاء عليه في الآخرة .

والإسلام من أجل ذلك مشجع البذل والإنفاق والعبادات التي استعملها القرآن في ذلك بغت حدا من انروعة لا يجارى .

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَفًا مِنْ فَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ تَنْبُتُ مِنْهَا حَبَّةٌ أَوْ قَلِيلٌ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣)

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَأْ وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٤)

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (٥)

ولقد قال رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، فيما رواه البخاري

(١) يستعمل كلمة تركاه هذا في هذا نكاح من الكتاب بمعنى ما يركي النفس غير باظرون في بقية إلى معنى الاصطلاح المعنى الذي سيحدد إلى شاء الله فيما بعد .

(٢) مائا ٣٩٠ . (٣) البقرة ، ٢٦١ - ٢٦٢ (٤) الحديد ١١ (٥) البقرة ٢٦٢

«عنى كل مسلم صدقة» . .

فقالوا : يا نبي الله ، فمن لم يجد؟

قال : يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق .

قالوا : فإن لم يجد؟

فقال : يعين ذا الحاجة الملهوف .

قالوا : فإن لم يجد؟ قال : فيعمل بالمعروف ، وليمسك عن الشر فإنها له صدقة» .

ولأهمية الزكاة السالمة - سواء نظرت إليها باعتبارها جزءا من الدين ، أو نظرت إليها باعتبار أهميتها للمجتمع - حارب سيدنا أبو بكر هؤلاء الذين امتنعوا عن أركانها قائلا : «و الله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة»
الزكاة حق المال ، وهي أيضا من حقوق لا إله إلا الله .

وسواء كنا بصدد الزكاة أو بصدد الصدقة فإن مسرلتهم هي الدين . وأهميتهما بالنسبة للمجتمع نية واضحة والأحاديث في الحث عليهما كثيرة يقول رسول الله ﷺ «تصدقوا ولو بتمر فإنها تعد من الحائض ، وتطهر الحطينة كما يطهر الماء النار»

وقال عليه الصلاة والسلام

«اتقوا النار ولو بشق تمره فإن لم تجدوا بكلمة طيبة» .

«ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا طيبا - لا كان الله أحدهم يمينه فيربها كما يرى أحدكم فصيلة حتى تبلغ التمرة مثل أحد» .

وقال ﷺ : « كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس » « والصدقة تسد سبعين بابا من الشر »

الربا

(١)

والطرف المعارض للصدقة . الطرف الذي يبعضه الله ، ويبعض المتعاملين به .

هو الربا

وقد حارب الإسلام الربا حرب لا هوادة فيها ، حاربه لأنه مبدأ ليس بإنساني .
واستهمس في محاربته من التعبير أفساه ، لقد حاربه في جملة وتفصييه ، يقول
الله تعالى ﴿ لَدِينِ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَحَبَّطُ الشَّعْطُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ (١)
والمعاملون بالربا ﴿ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾
﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (٢) .

ويقول الله تعالى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُّزْمِنِينَ ﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا
فَأَذِئُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبَسِّمُوا فَلَكُمْ دُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٣) .

ومما لا شك فيه أن الرب على أية صورة من صوره يتعارض مع الروح الدينية
الصحة ، التي هي الرحمة والتعاون

وإذ أردنا إذن أن تسود الشمة بين الناس هي لمجتمع ، وأن يوجد لتعاون ،
والتآزر ، ولتعاطف ، بين أفراد ، وسبيل أمام واضحة إنها إحياء الإيمان هي
للموس بشتى الوسائل ، وبمختلف الطرق حتى يستمر إيجابيا فعلا ، فمحقق
بذلك قوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَارُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَهْجُونَ عَنِ الْمَكْرِ

وَتُزْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٤)

(١) سورة البقرة آية ٢٧٥

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٦

(٣) سورة البقرة آية ٢٧٨ - ٢٧٩

(٤) سورة آل عمران الآية ١١٠

الريسا

(٢)

قال الله تعالى ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَحَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ النَّاسِ دَنْتٌ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (١) .

إن القاعدة الأساسية في بيان حقيقة الربا هي ، أن كل قرص حر نعمًا فهو ربا . وقد بين الشرع الحكيم أن من أعطى غيره مقدار من القمح أو من النقود فليس له أن يسترد إلا المقدار نفسه ، يقول تعالى .

﴿وَإِنْ نَبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ .

وصاحب المال إذن ليس له إلا المقدار الذي أعطاه .

وقد كان عند سلفنا الصالح رضوان الله عليهم إحساس دقيق بهذه المعاني ، لدرجة أن الواحد منهم كان يتحرج من أن يستظل بظل شجرة ابتغرض أو حائطه وعلى هذا الأساس ، تدبى من القرآن والسنة ، فإن كل محاولة لإحراج المائدة ، مهما قلت عن معيضة الربا ، تكون منافية للكتاب والسنة وعمل السلف الصالح والآية القرآنية الكريمة التي بين أيدينا تتحدث عن حالة الذي يأكل الربا هي نفسه ، وتتحدث عن هؤلاء الذين يحادون ويمارون في أوامر الله وبواهي من أجل تحليل ما حرم ، وتتحدث عن ثمة استعمال الربا وثمره الجاني المقابل له ، وهو الصدقة .

أما حالة من يأكل الربا فيها كعالة لمحنون الذي يتحبطه الشيطان من المس ذلك أنه إذا كان هذا الذي أصابه حبل ، يقوم ويسقط ويمسح ويهوى إلى الأرض فهو متخبط بجسمه المادي .

() سورة البقرة الآية ، ٢٧٥

فإن لدى يقيس الربا على البيع ، ويجعل الربا حلالا ، لأن البيع حلال متحيط في تمكيده لعقبي ، من هذا شر من الذي يتحيط بحسمه .

قال المعارضون لصراط الله المستقيم إنما البيع مثل الربا ، وقصدوا بذلك المبالغة ، حيث جعلوا الربا أصلا ، وقاسوا عليه البيع وكان أهل لجاهلية إذا حل مال أحدهم على غيره ، يقول لغريم : ربي في الأهل أردك في المال ، فيصعلان ، ويقولان : سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند محل الدين هو مراصاة .

فأنكر الله سبحانه وتعالى عليهم ذلك وكذبهم وبين لهم ما يجب أن يلتزموه دون معارضة أو نقاش أو شك ، وهو لخصوع لحكم الله سبحانه وتعالى حصوما لا يحدون معه في أنفسهم حرجا ولا صيقا . قل الله تعالى لهم ﴿ وَأَحِلُّ لَكُمْ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾

هكل قياس بعد ذلك يريد أن يحرج على هذا النص فإنه قياس فاسد ، وكل محاولة تريد أن تبرر حل الربا فإنها محاولة خاسرة .

وهؤلاء الذين يتجهون هد الاتهام ليس مثلهم في تحبط مطلقهم إلا كمثل تحبط المحصور الذي لا يكاد يخطر حتى يهوى إلى الأرض معثرا مضروعا

وموقف أكلة الربا ، بعد بيان الله سبحانه هذا وموعظته ، إنما هو أحد أمرين

إما أن ينتهي المرابي ويستحيي لله سبحانه وتعالى بترك الربا ، فهذا يكون مره راجعا إلى الله وله رأس ماله فقط .

وإما أن يستمر على الربا ويتمادي بعد بلوغه النهى فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .

على أن الله سبحانه وتعالى يذهب ببركة الرب فيحول بين المرابي وبين ما كان يطمح إليه من الرباداة أضعافا مضاعفة .

وإذا كان الله سبحانه يمحى الربا ويذهب بركته فإنه سبحانه يبارك في المال الذي أحرحت منه لصدقة

وإن الرسول لله ، صلوات الله عليه وسلامه ، يقول

«ما نقص مال من صدقة» .

ويحتم الله آيات الربا بهذا التهديد العنيف وبهذا الوعيد الشديد

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا
لَأَكْثَرُنَا بَحْرِبَشٍ مِّنَ اللَّهِ وَرُسُولَهُ وَإِن تَتَّبِعُوا فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ (١)

والمفهوم من هذه الآية الكريمة أن المراهي الذي لم يتب لا يحل له شيء من
ماله

وقد وردت آيات الربا التي معنا بعد آيات رائعات تحدث عن الصدقة ، وعن
مؤلاء الذين يستجيبون لله تعالى فيسارعون إلى مرصاته بالصدقة وبالزكاة ،
فيرعاهم ويكلوهم بعنايته ويحفظهم بحمضه

﴿ الَّذِينَ يُفْقُونَ أَمْوَالَهُم بِالْئِيلِ وَالْهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَرَفَ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يُعْرَبُونَ ﴾ (٢)

وإذ ذكرت قصص المربين في بشاعة واشمئزاز ، فإن قصص أصحاب
الصدقات ، والمؤثرين على أنفسهم ، ولو كان بهم حصاصة ، لا تكاد تحصى ولا تعد
وإذا كان المربون تسعرونهم بأرحمهم فإن أصحاب الصدقات وأصحاب
لقرص يحسن على هدى من الله ، وهي رخاب رضونه ، فإن من أنظر معسرا أو
وضع عنه : «أطله الله بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله» .

هذا ولم يكن موقف السنة النبوية ، الشريفة فيما يتعلق بالربا بأقل صرامة من
موقف القرآن الكريم ، فقد روى ليحدرى ومسلم وعبرهما أن رسول الله ﷺ قال
«احتسبوا السبع الموبقات - أي المهلكات - قالوا : يا رسول الله ، وما هن؟ قال
الشرك بالله ، والسحر ، وقتل نفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل
مال يتييم ، و لتولى يوم الرحمة وقدف الحصصات العافلات المؤمنات»
وروى مسلم عن حابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال لعن رسول الله ﷺ
أكل الربا وموكله وكاتبه وشهديه ، وقال «هم سواء» .

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٤

(١) سورة بقره الآيات ٢٧٨ ٢٧٩

وقد تتساءل عن لسر في تحريم الربا بهذه الصرامة الصارمة ، ولكن هذا السر ساهر ماهر لا يغيب عن ذوى لبصائر الرشيدة ، هين الأساس الذي يتحده الدين الإسلامى لساء العلاقات بين أفراد المجتمع بعضهم مع بعض إنما هو الأحوة ﴿يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (١) .

«والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يسلمه ، ولا يحذله»

والأحوة تتأهى تتأهى مطلقا مع أى نظام استعلالى ، إنها تتأهى إذن تتأهى تاما مع التعامل بالربا .

ثم إن طابع الرسالة الإسلامية إنما هو الرحمة

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢) .

والمسلمون هبما بينهم إذن إحوة متراحمون ، إنهم هبما بينهم عطف وتعاون ، ومودة ورحمة ، وكل هذا طريق غير طريق المرابين .

وبعد ، فإن رسول الله ﷺ يقول هبم رواء الحاكم

«أربع حق على الله ألا يدخلهم الجنة ولا يديقهم نعيمها مدمن لحمر وكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والعاق لوالديه» .

وجوب الزكاة

الزكاة فرض على الأغنياء المسلمين (٣) :

عن على رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «إن الله فرض على أغنياء المسلمين هي أموالهم بقدر الذى يسع فقرهم ، ولن يجهد انفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع أغنيائهم ، ألا وإن الله يحاسبهم حسابا شديدا ، ويمتد بهم عذابا اليما» (٤)

الأمر بإيتاء الزكاة :

يقول الله تعالى ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٥) .

(١) الحجرات ١٠ . (٢) الأنبياء ١٧ .

(٣) الفلى هي المرق الإسلامى هو من امتلك الثمناب

(٤) رواء الطبرانى فى الأوسط والصغير ، (٥) سورة بقره آية ١١٠

ويقول سبحانه ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِثْلُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ١١ ﴾

ويقول تعالى .

﴿ أَشَقَقْتُمْ أَنْ تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَحْوَانِمْ صِدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ نَفْعَمْ وَأَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٢ ﴾ .

ويقول سبحانه

﴿ إِنْ رِبْكَ يَعْلَمْ أَنَّكَ تَقْرُمْ أَدْنَى مِنْ ثُلَاثِي الدَّيْلِ وَبَصْمَهُ وَتَلَّهُ وَطَائِعَةً مِنَ الدِّينِ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ الشَّيْءَ وَاسْتَهَارَ عِلْمُ أَنْ لَنْ تَحْصُرَهُ فَبِذَلِكَ عَلَيْكُمْ فَافْرُوا مَا تَيْسَّرُ مِنَ الْقُرْآنِ عِلْمُ أَنْ يَكُونَ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَفِرُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخَرُونَ يَبْقَاوْنَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَافْرُوا مَا تَيْسَّرُ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَفْرِضُوا اللَّهَ فَرَضًا حَسَنًا وَمَا تَقْدُمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ مِنْ عِزٍّ آخَرٍ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ١٣ ﴾

وقال تعالى :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّ صِلَاتَكَ مَكْنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٤ ﴾

محاربة المشركين للزكاة :

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، فيما روه البخاري أن أبا هريرة رضي الله عنه قال « ما توهى رسول الله ﷺ ، وكان أبو بكر رضي الله عنه ، وكسر من كسر من العرب ، فقال عمر رضي الله عنه كيف تقاتل الناس ، وقد قال رسول الله ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا

(١) سورة الحج آية ٧٨

(٢) سورة مجادلة آية ١٢

(٣) مدورة برجل آية ٢

(٤) سورة النوبة آية ١٠٢

حقه وحسابه على الله ، فقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة و الزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو سمعوى عاق كانوا يؤوبها إلى رسول الله ﷺ ، لقاتلتهم على منعها .

قال عمر رضي الله عنه ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه ، فعرفت أنه الحق»

الزكاة مما بنى عليه الإسلام :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ «بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان» (١) .

البيعة على إيتاء الزكاة :

يقول الإمام البخارى باب البيعة على إيتاء الزكاة «فإن تابو وقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإحواكم هي الدين» .

عن قيس قال قال جرير بن عبد الله بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم

وحينما أرسل رسول الله ﷺ سيدنا معاذ بن ليث أوصاه عدة توصيات كان منها «إني أتأتى قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم فإن هم أطاعوك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فبه لايس بينها وبين الله حجاب»

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال .

«إذا أدبنا الزكاة فقد فصيت ما عليك ، ومن جمع مالا حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان إصره عليه» (٢) .

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما

(٢) رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما ، والحاكم وقال صحيح لإسناد

المعاطل في الزكاة ملعون :

عن مسروق رضي الله عنه قال قال عبد الله : «أكل الربا ، وموكله ، وشاهداه ، رد عاماه ، والواشمة ، والمؤنشة ، ولاوى الصدقة ، والمترد أعرابيا بعد الهجرة ، ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة» . رواه ابن خزيمة في صحيحه ، واللفظ له

ورواه أحمد ، وأبو يعلى ، و بن حبان في صحيحه ، عن الحارث الأعور ، عن ابن مسعود رضي الله عنه . (لاوى الصدقة هو المعاطل بها ، لممتنع من أدائها)

جزاء الكاذبين :

يقول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَكُونُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَسْأَلُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ تَكْوَىٰ يَها حِبَاهُهُمْ وَحَبْرُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَرَّمْنَا لَأَنفُسِكُمْ فَذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه بقول قال النبي صلى الله عليه وسلم «تأتى الإبل على صاحبها على خير ما كانت إذا هو لم يعط فيها حقها تطؤه بأحماضها ، وتأتى العنم على صاحبها على خير ما كانت ، إذا لم يعط فيها حقها تطؤه بأظلافها وتنطعه بقرونها» .

قال «ومن حقها أن تحلب على الماء» ، قال : «ولا يأتى أحدكم يوم القيامة شاة يحملها على رقبتها لها يعر (٢) ، فيقول يا محمد ، فأقول لا أملك لك شيئا ، قد بلغت .. ولا يأتى ببيعير يحمله على رقبتة له رعاء فيقول : يا محمد ، فأقول لا أملك لك شيئا قد بلغت» أ هـ .

إثم مانع الزكاة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «منا من صاحب ذهب ولا قصة لا يؤدي حمها إلا إذا كان يوم القيامة صمعت له صفائح من نار ، فأحمر عليها في نار جهنم ، فيكوى بها جنبه ، وحبيته ، وظهره ، كلما بردت أعيدت له في

(١) سورة التوبة آية ٢٤ ٢٥

(٢) وقوله لها يعر ، بتحتانية مصمومة ثم مهملة صوت ، وفي رواية المستطلى والكشتمهيس لها ثناء بضم المثناة ثم معجمة بغير راء ، ورجعه ابن التين ، وهو صياح الضم .

يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد ، فيرى سبيله إما إلى الجنة ، وإما إلى النار .

قيل : يا رسول الله ، فالإبل؟ قال : «ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها - ومن حقها حلبها يوم وردها - إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع ^(١) فرقر ^(٢) أو فرما كانت ، لا يفقد منها عصبلاً واحداً ، تطؤه بأحمافها ، وتمصه بأفواهها - كلم مر عليه أولاهها رد عليه أحرأها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد ، فيرى سبيله . إما إلى الجنة ، وإما إلى النار .

قيل : يا رسول الله ، فالبقر والعم؟ قال : «ولا صاحب بقر ولا عنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع فرقر . لا يمقد منها شيئاً ، ليس منها عقصاء ^(٣) ، ولا حجاج ^(٤) ولا عضباء ^(٥) ، تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ^(٦) كلما مر عليه أولاهها رد عليه أحرأها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله . إما إلى الجنة ، وإما إلى النار .

قيل : يا رسول الله ، هانخيل؟ قال : «الحيل ثلاثة : هي لرحل وزر ، وهي لرحل ستر ، وهي لرحل أحر ، فأما التي هي له وزر ، فرحل يبطها رياء وفحراً ، ودوء ^(٧) على أهل الإسلام ، فهي له وزر ، وأما التي هي له ستر ، فرحل يبطها هي سبيل الله ، ثم لم يس حق الله هي يلهوها ، ولا رقابها ، فهي له ستر . وأما التي هي له أحر فرحل يبطها هي سبيل الله لأهل الإسلام في مرج وروضة فما أكلت من ذلك المرج ، أو الروضة من شيء إلا كتب له بهد بها أكلت حسنات وكتب له عدد أرواتها وأبوالها حسنات ، ولا تقطع طولها ^(٨) حسنت ^(٩) شرفاً ^(١٠) أو شرفين إلا

(١) القاع : المكان المستوي من الأرض

(٢) الفرقر : بقاقي مفتوحتين ورأين مهملتين ، هو الأمس

(٣) العقصاء : هي مخلوية القرن

(٤) الحجاج : هي التي ليس لها فرق

(٥) العضباء : بالاضاء الممجة هي المكسورة الشرف

(٦) الطنط : للبقر والعم بصولة الحاضر للفرس ،

(٧) الدوء : يكسر النون ويأخذ - هو الماء

(٨) الطول : يكسر بطاء وفتح الواو هو حين تشد به قائمة الذئبة وترسها ترعى أو تمسك طرفه وترسها

(٩) حسنت : بتشديد السين أي جبرت بقوة

(١٠) شرفاً : يفتح لتشين الممجة والراء أي شوطاً ، وقيل بضم السين

كتب الله به عدد آثارها وأرواثها حسنات ، ولا مر بها صاحبها على نهر فثريت منه ولا يريد أن يسقيها إلا كتب الله به عدد ما شريت حسنات .

قيل يا رسول الله فالحمر ؟ قال « ما أنزل على في الحمر شيء إلا هذه الآية الصادة الجامعة . ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ﴾ (٧) ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ (٨) ﴾ (١) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي عنه ، عن رسول الله ﷺ قال « ما من أحد لا يؤدي ركعة ماله إلا مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع حتى يطرق به عنقه » ثم قرأ عيب النبي ﷺ مصداقه من كتاب الله ﴿ ولا يحسن الذين يخطون بما اتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شرُّ لهم سيطوفون ما يحلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير ﴾ (٢) .

مخير مانعي الزكاة :

عن بريدة رضي عنه قال قال رسول الله ﷺ ، « ما مع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالناسين » .

رواه لطبراني في الأوسط ، ورواه ثقات ، ولحاكم وبيهقي في حديث إلا أنهما قال « ولا مع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر » (٣) .

خمسة بخمسين :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « خمسة بخمسين ، قيل يا رسول الله ما خمسة بخمسين ؟ قال ما يقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الموت ، ولا منعوا لركاة إلا حبس عنهم المطر ، ولا طمعوا السكينة إلا حبس عنهم النبات وأحدو بالمسيين » (٤)

(١) لايتان ٧ ، ٨ من سورة الزلزلة ، والحديث رواه البخاري ومسلم ، والنظ له

(٢) رواه ابن ماجه ، واللفظ به ، والسنن بإسناد صحيح ، وابن حريمة في صحيحه

(٣) السنين جمع سنة ، وهي العام المحط الذي لم تثبت الأرض فيه يدعي ممانعاً إلى شيء واحد وهو المحط والجذب

(٤) السنين جمع سنة ، وهي العام المحط الذي لم تثبت الأرض فيه شيئاً سواء وقع ناطر أولم يقع والحديث رواه لطبراني في الكبير ، وسنده قريب من صحيح وله شواهد

رواه ابن ماجة والبرار والبيهقى من حديث بن عمر ، وبمطأ البيهقى ، أن رسول الله ﷺ قال «يا معشر المهاجرين ، خصال خمس إن اجتليتم بهن ، وبرئ بكم ، أعوذ بالله أن تدركوهن . لم تظهر المحشء هي قوم قط حتى يعلنوا بها ، لا فتا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ، ولم ينقصو المكيال والميراث إلا أخذوا بالنسبين ، وشدة المؤبة ، وحرور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يعطروا ، ولا نقصوا عهد الله وعهد رسوله ، إلا سلب عليهم عرو من غيرهم فيأخذ بعصر ما هي أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بيهم» .

الأنواع والمقادير الواجبة في الزكاة

زكاة الزروع :

يبتدئ في ذلك وألله المستعان ، بالآيات والأحاديث التالية

يقول الله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالسَّيِّتُونَ وَالسَّرُومَانُ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (١) .

ويقول سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْمَعُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أُخْرِجْنَا بِكُمْ
مِنَ الْأَرْضِ وَلَا يَكُنْ لَهُمْ فِيهِمْ شَيْءٌ أَنْتُمْ مُسْمِعُونَ﴾ (٢).

وعن جتاه بن أسيد رضي الله عنه قال أمر رسول الله ﷺ ، أن يخرص العيب كما يخرص الفحل ، وتأخذ زكاته زيباً ^(٢) .

و عن سمرة بن حنبل رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ ، يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي نعدّه للهِم (٤)

(١) سورة الانعام آية ١٤١

(٧) سورة البقرة آية ٢٦٧

(٢) براء غير واحد من قلب الصنم

(٤) **جواد ابو داود**

ویرجو بعد ذلك أن يتدبر القارئ قصة أصحاب الجنة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في سورة القلم حيث يقول سبحانه .

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَوُونَ (١٨) فطاب عليها طائف من ربك وهم يائمون (١٩) فَأَصْبَحَ كَالْصَّرِيمِ (٢٠) فَتَدْرَأْ مُصْبِحِينَ (٢١) أَوْ ائْتَدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَاسْطَلَقُوا وَهُمْ يَخِفُّونَ (٢٣) أَوْ لَا يَدْخُلُهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مَّاكِدٌ (٢٤) وَعِدُوا عَلَىٰ حَرْثٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَصَائِلُونَ (٢٦) بَلْ حُسْ مُحْرَمُونَ (٢٧) فَآبَ أَرْسُلُهُمْ إِلَيْنَا أَلَّا لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَامِذُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا مُدْعِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبَّنَا أَنْ يُدْخِلَنَا جَنَّاتٍ خَيْرٌ مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ مِنْ كَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٣) ﴾ (١)

ویرجو أيضا أن يتدبر القارئ قصة قارون .

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فِيمَا عَاهَدُوا أَنِّي لَا أُتِيَّهُمْ مِنْ تَحْتِهَا فَاذْهَبْ فِي الْبَلَدِ (٧٥) فَأَخْرَجْنَا لَهُ مِنْهُ خِزْيَانًا مِمَّا كَانَتْ تَرْتَأَىٰ أَنَّهَا هِيَ (٧٦) إِذْ أَخْرَجْنَا لَهُ خِزْيَانَهُ لَبِثَ فِيهَا ثَلَاثِينَ لَيْلًا (٧٧) فَلَمَّا خَلَّصَهُ مِنْهَا كُنَّا إِلَيْهِ رَاجِعِينَ (٧٨) قَالَ إِنِّي لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٧٩) إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا بِكَوْنِي كَافِرًا (٨٠) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ (٨١) إِنَّكَ أَنْتَ الْبَصِيرُ (٨٢) ﴾ (٢)

والجو القرآني كله وجو الأحاديث ، والروح الإسلامية على وجه العموم ترشد إلى أن كل ما حصل عليه الإنسان من ثمار ، وكل ما اكتسبه من تجارة يؤدي ركانه .

(١) سورة القلم ١٧ ، ٣٣ .

(٢) سورة القصص آية ٧٦ - ٨٢ .

يقول الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق : «وَأَحِبَّ أَنْ أَقَرَّ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَبِمَسَابِقَةِ دَحُولِ الرَّوْعِ فِي مَوْسَمِ الْحَصَادِ . أَنَّ الشَّرِيعَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ أَوْجِبَتْ زَكَاةَ الزَّرْعِ وَالثَّمَارِ فِي كُلِّ مَا تَحْرَجُهُ الْأَرْضُ بِاسْتِثْنَاءَاتِ الْإِنْسَانِ وَعَمَلِهِ كَيْفَمَا كَانَ الزَّرْعُ ، وَكَانَتْ الثَّمَارُ» .

ويقول : «وَالْتَعَمِيمُ فِي زَكَاةِ الرَّوْعِ عَلَى هَذَا الْوَحْدِ . هُوَ الَّذِي يَحَقِّقُ مَعْنَى التَّكَافُلِ الْاجْتِمَاعِي الَّذِي يَقْصِدُهُ الْإِسْلَامُ مِنْ مَشْرُوعِيَّةِ الزَّكَاةِ الَّذِي يَقْضِي بَعْدَ اسْتِثْنَاءِ طَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ سَوْعٍ مِنْ نَعَمِ الْأَرْضِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلزَّرْعِ وَامْتِنَ بِهَا عَلَى جَمِيعِ عِبَادِهِ» أ هـ .

وهذا معناه أن الزكاة واجبة في القليل والكثير على حد سواء ، وفي جميع الأنواع التي تحرجها الأرض ، وليس لذلك حد أدنى . أما مقدار زكاة الروع فإنه يختلف باختلاف الجهد المبذول في الاستنبات .
ولأحداث التالية توصل لمقدار .

أخبرنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث أن أبا الربيع حدثه أنه سمع جابر بن عبد الله يذكر أنه سمع نبي ﷺ يقول : «فِيمَا سَقَتْ الْأَنْهَارُ وَالْعِيمُ (١) ، لِعَشُورٍ (٢) ، وَفِيمَا سَقَى بِالسَّانِيَةِ (٣) نِصْفَ الْعَشْرِ» (٤) .

وعن سالم بن عبد الله ، عن أبيه رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «فِيمَا سَقَتْ السَّمَاءُ وَالْعِيُونَ أَوْ كَانَ عَثَرِيَا الْعَشْرِ ، وَفِيمَا سَقَى بِالنَّضِجِ نِصْفَ الْعَشْرِ» .
رواه البخاري ، ولأبي داود : «إِذَا كَانَ بِعَلَا الْعَشْرِ ، وَفِيمَا سَقَى بِالسَّوَابِي أَوْ النَّضِجِ نِصْفَ الْعَشْرِ» .

ومعنى ذلك أنه إذا كانت الأرض تروى بدون جهد ، ففيها العشر ، أما إذا كانت تروى بالسانية ، أو بجهد على أي وضع كان ففيها نصف العشر .

(١) العيم : أي المطر

(٢) أي العشر

(٣) السانية : هو البعير الذي يسقى به أثناء من العشر ، ويسمى أيضا الناضج . والمبيث يدل على أن ما سقى بسهولة ويسر فيه العشر ، أما ما سقى بتعب وتكلف ففيه نصف العشر

(٤) رواه مسلم في صحيحه

زكاة عروض التجارة .

والتجارة تقوم كل عام هي موعد محدد ، ويقدر ثمنها ، فإذا بلغ نصاب ففيها ربيع العشر .

زكاة العمارات :

وما من شك في أن مال العمارات الذي يؤخذ من إيجارها الشهري يسجل تحت قومه تعالى . ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾

وهو د خ في المصنوع العام لقوله تعالى . ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ... ﴾ (١) . وفيه أيضا ربيع العشر .

زكاة المرقب :

وإذا كان نصف قيراط من فحل أو كراث ، مثلا ، تحب فيه الزكاة ، فإن هذه المربعات الشهرية ما دامت تتبع انصباب فإنه يجب فيها الزكاة ، وهي داخلة أيضا في نطاق قومه تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ .

وهي أيضا داخلة في المصنوع العام لقوله تعالى ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ وفيه أيضا ربيع العشر .

زكاة الكنز :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ، «وفي الركاك الخمس» (٢)

والركاك هو الكنز الذي يجده الإنسان مدفونا ، ويتمثل في ذهب أو فضة أو جواهر قد دفنته الأقدمون ، وتداول عليه الدهر

زكاة البترول :

وزكاة البترول كزكاة الركاك فيها الخمس ، وعلى الدول الثرية بالبترول أن تحسب خمس أرباحها لتنفقه في مصارف الزكاة المحددة .

(١) لأسام ١٤١

(٢) متفق عليه .

ركاة الأنعام :

روى الإمام البخارى بسنده عن ثمامة بن عبد الله بن أنس أن أسا حدثه أن
أبا بكر رضي الله عنه كتب له هذا الكتاب لما وجهه إلى البحرين :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« هذه فريضة لصدقة التي فرض رسول الله ﷺ على المسلمين والتي مر الله
بها رسوله ، فمن سئلها من المسلمين على وجهها فليعطها ، ومن سئل فوقها فلا
يعطى . في أربع وعشرين من الإبل هم دونها في كل خمس شاة ^(١) .

فإذا بلغت خمسا وعشرين إلى خمس وثلاثين ففيها ست محاص أنثى ^(٢) .

فإذا بلغت ستا وثلاثين إلى خمس وأربعين ففيها بنت لبون أنثى ^(٣) .

فإذا بلغت ستا وأربعين إلى ستين ففيها حقة ^(٤) طروقة الجمل

فإذا بلغت واحدة وستين إلى خمس وسبعين ففيها جدعة ^(٥) .

فإذا بلغت ستا وسبعين إلى تسعين ففيها بنتا لبون ^(٦) .

فإذا بلغت إحدى وسبعين إلى عشرين ومائة ، ففيها حقن طروقة لجمل ^(٧)

فإذا زادت على عشرين ومائة ، ففي كل أربعين بنت لبون ، وفي كل خمسين
حقة ^(٨) .

ومن لم يكن معه إلا أربع من الإبل فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها ^(٩) .

(١) الشاة من الصان وهي ما لها سنة وطعت في الثانية

(٢) بنت مخاض أنثى من ولد الناقة وهي ما لها سنة وطعت في الثانية

(٣) بنت لبون أنثى الجمل وهي الناقة التي مضى عليها سنتان ودخلت في ثلثه

(٤) حقة أنثى لجمل وهي ما مضى عليها ثلاث سنين ودخلت في سابعها وأستحققت أن تطروقه المحص

(٥) الجدعة هي أنثى لجمل التي مضى عليها أربع سنين ودخلت في خامسة وأستحققت محرم أستاذها

(٦) بنتا لبون تقدم بحريص كبنت لبون

(٧) حقن طروقة خمس ، سبق تعريف الحقنة الطروقة

(٨) معنى هذه العبارة أن يصاب ركاة الإبل إذا بلغت مائة وعشرين إلى تسع وأربعين ففيها ثلاث بنات لبون فإذا بلغت

مائة وخمسين ففيها ثلاث محاص وعن أبي حنيفة إذا زادت الإبل عن عشرين ومائة رجعت إلى فريضة التسم

فيكون في خمس وعشرين ومائة ثلاث بنات لبون وشاة

(٩) معنى ليس فيها صدقة أي ركاة واجبة ولكن إن شاء صاحبها تصدقة بغل لا فرض فعل

فإذا بلغت حمسا من الإبل فميتها شاة ^(١) .

وفي صدقة الفهم هي سائمتها إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائة شاة ^(٢) .

هكذا زادت على عشرين ومائة إلى مائتين شاتان ^(٣) .

فإذا زادت على مائتين إلى ثلاث مائة فميتها ثلاث ^(٤) .

هكذا زادت على ثلاث مائة ، ففي كل مائة شاة ^(٥) .

فإذا كانت سائمة ، لرجل ناقصة من أربعين شاة واحدة ، فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها ^(٦) .

وهي الرقة ربع العشر ^(٧)

فإن لم تكن إلا تسعين ومائة ، فليس فيها شيء ، إلا أن يشاء ربها ^(٨) .

زكاة الحلبي :

وقد اختلف العلماء في ذلك ، فروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنه أوجب في الحلبي الزكاة ، وهو مذهب عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمرو ، وسعيد بن المسيب ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، وعبد الله بن شداد وميمون بن مهران ، وابن سيرين ، ومجاهد ، وجابر بن زيد ، والزهري ، وسفيان الثوري ، وأبي حنيفة وأصحابه ، واحتاره ابن المنذر .

وممن أسقط الزكاة فيه .

عبد الله بن عمر ، وجابر بن عبد الله ، وأسماء بنت أبي بكر ، وعائشة والشعبي ، والفاسم بن محمد ، ومالك ، وأحمد ، وإسحاق وأبو عبيدة .

(١) إذا بلغت الإبل حمسا فزكاتها شاة ، وقد سبق تعريف الشاة

(٢) زكاة الفهم التي ترمي في كلاً مباح إذا بلغت أربعين إلى عشرين ومائة ، شاة .

(٣) زكاة العسم التي ترمي في كلاً مباح إذا زادت على عشرين ومائة إلى مائتين فزكاتها شاتان

(٤) زكاة العسم التي ترمي في كلاً مباح إذا زادت على مائتين إلى ثلاثمائة فزكاتها ثلاث شياه

(٥) زكاة العسم التي ترمي في كلاً مباح إذا زادت على ثلاثمائة فزكاتها في كل مائة شاة

(٦) من كان العسم ترمي في كلاً مباح وكانت تسع والثلاثين فما دونها فليس فيها زكاة إلا أن يشاء صاحبها

(٧) الرقة هي المال البالغ من خالص الذهب ما قيمته مائتا درهم فضة خالصة ، زكاته ربع العشر ، إذا حصص عليه حول ، بذلك يعلم أن الفضة لليلامة مائتي درهم ، فيها ربع العشر كذلك

(٨) فإذا لم تبلغ الرقة - نمياً أو فضة - مائتي درهم ، فإن كانت مائة وتسعين أو دون ذلك ، فليس فيها زكاة واجبة .

ولا أن يتطوع صاحبها بالتصدق منها

قال ابن المنذر :

وقد كان الشافعي قال بهذا ، إذ هو بالعراق ، ثم وقف عنه بمصر وقال :
هذا مما استحير الله تعالى فيه

وقال الخطابي وهو الرأي الذي نراه «الظاهر من الآيات يشهد لقول من
أوجسها ، والأثر يؤيده ، ومن أسقطها ذهب إلى النظر ، ومعها طرف من الأثر ،
والاحتياط أدواؤها والله أعلم» (١) . هـ .

مصارف الزكاة والصدقة

يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَانْفَارٍ
وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) .

الزكاة والإنفاق في سبيل الله :

ذكر القرآن الكريم أن الإنفاق في سبيل الله أحد مصارف الزكاة ، فهل سبيل
الله يتضمن الإنفاق في الجهاد؟

إن الإنفاق في الجهاد ينفاق في سبيل الله ، وحسناته وثوابه بصاعف ، يقول
تعالى

﴿ مَن لَّدِي يَسْعُرُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةِ خَيْثُ أَنْبَتُ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ
مِائَةَ حَبَّةٍ وَلِلَّهِ يَصَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

والآية الكريمة تفيد أن الله سبحانه وتعالى «ضاعف لمن يشاء ، فيزيد من
سبعمئة ضعف ، وذلك تبعاً لإحلاص المتصدق وصديق نبوته وإرادته بعمله وجه الله
سبحانه

وهل سبيل الله حاصر على الإنفاق في الجهاد؟

(١) عن الترمذي والتهذيب

(٢) التوبة آية ٦

(٣) البقرة : ٢٦١

وإذا كان الإنفاق في الجهاد من أوائل الأمور التي يمكن أن يعبر عنها بسبيل لله ، فإن بناء المساجد إنفاق في سبيل الله ، وإصلاحها ، وعمارتها ، وترميمها ، والقيام عليها ، كل أنواع القيام والإشراف ، إنفاق في سبيل الله ، وبناء المدارس ، والمساهمة في النهوض بها تثقيفاً لأبناء الوطن واستزارة من العلم الذي طلبه رسول الإسلام الزيادة منه ، فقال ﷺ : « ربى ددى علماء » .

العلم الذي يرفع الله درجات أصحابه مصوراً ذلك بقوله
﴿ يرفع الله الَّذِينَ آمَنُوا مَكُومًا وَالَّذِينَ آمَنُوا نَعْلَمُ درجَابِ ۖ ﴾ (١) .

يقول ابن بناء المدارس إنفاق في سبيل الله

وبناء المستشفيات إنفاق في سبيل الله ، ومن أجمل ما يروى في الآداب العلمية ما أحضر به رسول الله ﷺ ، فيما يرويه عن ربه ، أن الله عز وجل يقول يوم القيامة

« يا بن آدم مرصت فلم تعدني ، قال يا رب كيف أعوذك وأنت رب العالمين؟ قال أما علمت أن عبيدي فلانا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا بن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف أطعمتك وأنت رب العالمين؟ قال أما علمت أن عبيدي فلانا استطعمك فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو طعمته لوجدت ذلك عندي . يا بن آدم استسقيتك فلم تسقي؟ قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال استسقاك عبيدي فلان فلم تسقه؟ أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي؟ » (٢) .

وإذا كان الله تعالى يبحثنا في هذه الصورة الجميلة على عيادة المريض فما بالك بمن يبني المستشفيات أو يساهم فيها علاجاً للمرضى ، وتحفيظاً للآلام؟

ومن أوائل الذين ذكرهم الله تعالى كمصارف للركاة المقراء ، ويقول الله تعالى هبهم أيضاً ﴿ لِّلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْغِيَاهُ أَعْيَاءُ مِنَ الْعَقْفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُعْطُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

(٢) رواه الإمام مسلم

(١) المجادلة ١١

(٣) سورة البقرة آية ٢٧٣

الصدقة على الأقارب :

يقول تعالى .

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَسْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرِ ثَلَاثِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَالْمَسَاكِينَ وَاسْأَلُوا السَّبِيلَ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ١﴾

ويروى الإمام البخاري بسنده ، عن حكيم بن حزام رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال
«اليد العليا خير من اليد السفلى ، وأبدأ بمن تعمل ، وخير الصدقة ما كان
عن ظهر عني ومن يستعصم بعمة الله ، ومن يستعص بعمة الله» اهـ
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال

«أتى رجل من تميم ، رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إني ذو مال كثير ،
ودو أهـ ومال ، وحاضرة فأخبرني كيف أصنع ، وكيف أنفق؟ فقال رسول الله ﷺ
تخرج الزكاة من مالك ، فإنها طهرة تطهرك ، وتصل قرياءك وتعرف حق المسكين ،
والجار ، والعائل» (١) .

الصدقة على الأقارب صدقة وصلة رحم :

روى الإمام مسلم بسنده عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ «أفص ديار
يصفه الرجل ديار ينفقه على عياله ، وديار يبعثه الرجل على دابته في سبيل الله
وديار ينفقه على أصحابه في سبيل الله» .

قال أبو قلابة وبدأ بالعيال ، ثم قال أبو قلابة وأي رجل أعظم أجر من
رجل ينفق على عيال صغار يعمهم أو ينفقهم ، لله به وعنيهم .

وعن عبد الله بن يزيد بن أبي مسعود البدرى ، عن النبي ﷺ قال «إن المسلم
إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها ، كانت له صدقة» (٢)

وروى الإمام مسلم بسنده عن ابن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن
مالك يقول كان أبو طلحة أكثر أنصارى في المدينة مالا ، كان أحب أهله إليه

(١) سورة البقرة، آية ٢٦٥

(٢) للحديث رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح

(٣) رواه مسلم في صحيحه

بیرحاء ، وكانت مستقبية لمسجد ، وكان رسول الله ﷺ ، يدخلها ويشرب من ماء
فيها طيب .

قال أس : فلما نزلت هذه الآية :

﴿ لَنْ تَأْكُلُوا أَلْبَنَ حَتَّى تَغْفُوا مَاءً تُحِبُّونَ... ﴾ (١) .

قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال إن لله يقول في كتابه

﴿ لَنْ تَأْكُلُوا أَلْبَنَ حَتَّى تَغْفُوا مَاءً تُحِبُّونَ... ﴾ .

وإن أحب أموالى إلى بئرحاء ، وإنها صدقة لله أرجو برها ، ودحرها عند

الله ، فضعها يا رسول الله ، حيث شئت قال رسول الله ﷺ .

« بخ ، ذلك مال رابع ، قد سمعت ما قلت فيها ، وإنى أرى ن تحملها هي

الأفريين » ، فقسمها أبو طلحة هي أقاربه وبني عمه (٢)

وروى الإمام مسلم بسنده عن ربيب امرأة عبد الله قالت قال رسول الله

ﷺ : « تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن ، قلت :

صرحت إلى عبد الله فقلت إنك رجل حفيظ دانت أئيد وإن رسول الله ﷺ

قد أمرنا بالصدقة ، فأنت ، فأسأله ، فإن كان ذلك يجزى عني وإلا صرفتها إلى

غيركم قالت

فقال لي عبد الله ، بل أشيه أنت ، قالت :

فاطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ ، حاجتى حاجتها ،

قالت وكان رسول الله ﷺ قد ألقى عليه المهادية ، قالت ، مخرج علي بن لال

فقلنا له أئيد رسول الله ﷺ ، فأخبره أن امرأتين بباب تسألانك ، أنجرى

الصدقة عسهما على أزواجهما ، وعلى يتامى في حجورهما ، ولا تحبره من بحر؟

قالت فدخل لال على رسول الله ﷺ ، فعسأله فقال له رسول الله ﷺ من

هما؟ فقال امرأة من الأنصار ، وزينب ، فقال رسول الله ﷺ أى الربيب؟

ر (١) آل عمران : ٩٢

(٢) رواه مسلم في صحيحه

قال امرأة عند الله ، فقال له رسول الله ﷺ لهما أحرار ، أحر القرابة ، وأجر الصدقة» (١) .

وروى الإمام البخاري بسنده عن أسماء بنت أبي بكر قالت قدمت على أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ صاهدهم ، فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ﷺ قدمت على أمي وهي رابعة ، أهأصل أمي؟ قال «نعم صلي أمك» وعن ربيب بنت أبي سلمة عن أم سلمة قالت : قلت يا رسول الله ، هل لي أجر في بني أبي سلمة أبيع عليهم ، ولست سأركنهم هكذا ، وهكذا ، إنما هم بني؟ فقال : «نعم لك فيهم أجر ما انفقت عنهم» (٢)

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال جاءت ربيب امرأة ابن مسعود ، فقالت : يا رسول الله ، إنك أمرت اليوم بالصدقة وكان عدي حلي لي ، فأردت أن أتصدق به ، فرعم ابن مسعود أنه وولده أحق من أتصدق به عليهم . فقال النبي ﷺ «صدق ابن مسعود هو وولده أحق من تصدقت به عليهم» (٣)

الصدقة

(ب) أدبها .

(١) فصلها .

(د) مسائل تتعلق بها

(ج) أبواب منها

فضل الصدقة (٤)

العنى يتصدق والفقير أيضا :

يقول سبحانه وتعالى : ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ وَمَن قَدَّرْ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَلْيُسْقُ مَا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهُ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (٥) .

(١) رواه مسلم في صحيحه

(٢) رواه مسلم بسنده في صحيحه

(٣) رواه الإمام البخاري .

(٤) يستعمل في هذا الباب لفظ الصدقة بمعنى الزكاة الواجبة ، وبمعنى صدقة التطوع

(٥) سورة الطلاق آية ٧

من يبخل فإنما يبخل عن نفسه :

يقول سبحانه وتعالى ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ دُعَوْتُمْ لَتَتَّقُوا، فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِمَّكُمْ مَنْ يَبْخُلْ
رَمَن يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا
يَكُونُوا أَمْثَانَكُمْ ﴾ (١)

وما تنفقوا من خير فالأنفوسكم :

يقول سبحانه وتعالى ﴿ لَيْسَ غِيثٌ هَدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ
خَيْرٍ فَلَإِنَّهٗمْ لَأَسْفِسُكُمْ وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا بِتَاءٍ وَجْهَ اللَّهِ وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

وكلا وعد الله الحسنى :

يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِمَّنْ أَسْفَىٰ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُوْتِنَتْكَ أَعْظَمُ دَرَجَةٍ مِّنَ الَّذِينَ أُسْفُوا مِنْ
بَعْدِ وَقَاتِلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٣)

والله يعلم ويخلص :

يقول سبحانه وتعالى . ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَمَا
لِنُظَاهِمِ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (٤) .

ويقول سبحانه وتعالى . ﴿ قُلْ إِن رَّبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا
أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (٥) .

(١) سورة محمد آية ٢٨

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٧

(٣) سورة الحديد آية ١٠

(٤) سورة البقرة آية ٢٧

(٥) سورة سبأ آية ٣٩

إن الله هو الذي يأخذ الصدقة (١) :

يقول سبحانه وتعالى : ﴿أَنْتُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ
الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الثَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ (٢) .

الصدقة والثريا :

يقول سبحانه وتعالى .

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الْرِبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَالَّذِي لَا يُحِبُّ كُلَّ كُفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (٣)

فضل الصدقة (١)

(٢)

عن سعيد بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ
«ما تصدق أحد بصدقة من طيب ، ولا يقبل لله إلا الطيب إلا أحدها
الرحمن يمينه ، وإن كانت ثمرة هريو هي كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل
كما يرى أحدكم فلوله أو فضيله» .

ويروى الإمام مسلم بسنده ، عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال :
«قال الله تبارك وتعالى . «يا ابن آدم أنفق أنفق عني» . وقال : «يمين الله
ملأى ، سحاء لا يفيضها شيء الليل والنهار» .

وعن الحسن بن علي قال قال رسول الله ﷺ «حسبوا أموالكم بالزكاة .
وداؤوا مرضاكم بالصدقة ، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع» (٥)

١. هي هذه المعنى يقول رسول الله ﷺ ما معناه : إن الصدقة تقع في يمين الله قبل أن تقع في يد المقبر .
(٢) سورة نوبة آية ١٠٤

(٣) سورة البقرة آية ٢٧٦

(٤) ويقول مرة أخرى إن الصدقة هي ستممها بمعنى الصدقة (الزكاة) وبمعنى صدقة انتفع

(٥) رواه أبو داود في المراسين . ورواه الطبراني والبيهقي وغيرهما عن جماعة من الصحابة مرطوعا متصلا
والرسل أشبه

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رجل

يا رسول الله ، أ رأيت إن أدى الرجل زكاة ماله ؟

قال رسول الله ﷺ - « من أدى زكاة ماله ، فقد ذهب عنه شره » .

رواه الطبراني في الأوسط ، واللفظ له ، وابن خزيمة في صحيحه ، والحاكم
مختصراً - « إذا أدبت زكاة مالك ، فقد أذهب عنك شره » وقال صحيح على شرط
مسلم .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله ﷺ ، في سمر ، فأصبحت
يوماً قريباً منه ، ونحن نسير ، فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلكني الجنة
ويباعدني من النار . قال : « لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله
عليه تعبد الله ، ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان
وتحج البيت » (١)

وعن بلندر بن حرير عن أبيه قال : كنت عند رسول الله ﷺ ، في صدر النهار
فقال : « جاء قوم حمة عراء ، مجتأبي النمار » (٢) أو العباء ، متملدي السيوف
عامتهم من مصر ، بل كلهم من مصر ، فتمعر (٣) وجه رسول الله ﷺ ، لما رأى بهم
من العاقبة ، فدخل ثم خرج ، فأمر بلالا ، فادن وأقام ، فصلى ، ثم خطب فقال
﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً
كثيراً وساء الله الذي نساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ (٤) .
والآية التي هي الحشر : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لعد
واتقوا الله إن الله خير بما تعملون ﴾ (٥) .

تصدق رجل من ديناره ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بره ، من صاع تمره ،
حتى قال ولو بشق تمرة ، قال فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تمجز

(١) الحديث رواه أحمد والترمذي ، وصححه ، والسنائي وابن منجه

(٢) (مجتأبي النمار أو العباء) النمار بكسر النون جمع نمرة بفتحها وهي ثياب صوف فيها تمير والمعنى أنهم
خرقوها وقطروا ومطوها

(٣) تمعر وجهه تغير ، (٤) النساء ١ ، (٥) الحشر ٨

عنها ، من لقد عجزت ، قال : ثم تتابع الناس حتى رأيت كومي من طعام وثياب ، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهل كأنه مدهبة ، فقال رسول الله ﷺ «من سن في الإسلام سنة حسنة ، فله أجرها ، وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ، وورر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(١) .

وعن عدي بن حاتم قال ذكر رسول الله ﷺ النار ، فأعرض ، وأشاح ثم قال : «تقوا النار» ثم أعرض وأشاح ، حتى طمأ أنه كأنما ينظر إليها ، ثم قال «اتقوا النار ولو بشق تمرة» فمن لم يجد فبكلمة طيبة»^(٢) .

وعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا خطب رسول الله ﷺ فقل : «والذي نفسي بيده - ثلاث مرات - ثم أكب فأكب كل رجل منا يكي لا يدري على ماذا حلف؟ ثم رفع رأسه ، وهي وجهه لبشرى فكانت أحب إلينا من حمر لنعيم ، قال «من من عيّد يصلي لصلوات لخمس ، ويصوم رمضان ، ويحج الزكاة ، ويجتنب الكبائر السبع ، إلا فتحت له أبواب الجنة ، وقيل به ادخل بسلام»^(٣)

وعن عبد الله بن مسعود عن عدي بن حاتم ، قال سمعت النبي ﷺ يقول «من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمر فليفع»^(٤) .

باب صدقة التطوع :

وروى الإمام البخاري قال

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «سبعة يصلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» وذكر الحديث وفيه «ورجل تصدق بصدقة فأحسها ، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»^(٥) .

وعن عتبة بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس»^(٦)

(١) الحديث بطوله رواه الإمام مسلم في صحيحه

(٢) رواه الإمام مسلم

(٣) رواه الترمذي والمفضل وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما وحاكم وقال صحيح الإسناد

(٤) رواه الإمام مسلم ، (٥) متفق عليه

(٦) رواه ابن حبان وحاكم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال . قيل يا رسول الله . ي الصدقة أمضر؟ قال
«جهد المقل ، وابدأ بمن تعول» ^(١) .

من آداب الصدقة

عن أبي حارم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «يا أيها الناس ، إن
الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال :
﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝ ﴾» ^(٢) .
وقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ ۝ ﴾ ^(٣) ، ثم ذكر الرجل
يطيل المنصر أشعث أعبر يمد يديه إلى السماء يارب ، يارب ، ومطعمه حرام ،
ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك» ^(٤)
ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أذى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ ۝ ﴾ ^(٥) .
ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَتِمَّمُوا
الْحَيَاةَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَنْتُمْ بِأَحْدِيهِ إِلَّا أَنْ تُنْفِقُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ ۝ ﴾ ^(٦)
ويقول جل ذكره

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ﴾ ^(٧) .
ويقول عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُفَقِّمُ مَالَهُ بَيْنَ النَّاسِ وَلَا

(١) أخرجه أحمد وأبو داود وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم

(٢) المؤمنون ٥١ . (٣) البقرة ١٧٢

(٤) رواه الإمام مسلم في صحيحه . (٥) سورة البقرة ٢٦٢

(٦) سورة البقرة ٢٦٧ (٧) سورة البقرة ٢٦٣

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَعْوَابٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿إِنْ تَبَدُّوا لَاصِدَاتٍ فَمِمَّا هِيَ وَإِنْ تُحْفَرُوا وَتُزَوَّرُوا الْمَعْرَاءُ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢﴾

وقال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ نَبْهَمُ عَقَبَى الدَّارِ ﴿٣﴾

ويقول تعالى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ يَبُورَ ﴿٤﴾

أبواب الصدقة

عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا به أبو هريرة، عن محمد رسول الله ﷺ
فذكر أحاديث منها : وقال رسول الله ﷺ : «كل سلامى من الناس عليه صدقة ، كل
يوم تطلع فيه الشمس ، قال - تعدل بين الاثنين صدقة ، وتعين الرجل فى دابته
فتحميه عيها ، أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، قال - والكلمة الطيبة صدقة ، وكل
خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة - وتميط الأذى عن الطريق صدقة» (١) .

وعن سعيد بن أبى بردة ، عن أبيه ، عن حده ، عن النبي ﷺ قال «على كل
مسلم صدقة ، قيل : أرأيت إن لم يجد؟ قال : يعمل بيديه ، فيضع نفسه ويتصدق ،

(١) سورة البقرة : ٢٦٤

(٢) سورة البقرة آية ٢٧١

(٣) سورة الرعد آية ٢٢

(٤) سورة هاطر آية ٢٩

(٥) رواه الإمام مسلم فى صحيحه

قيل : أرايت إن لم يستطع؟ قال : يعين ذا الحاجة ، الملهوف ، قال قيل له أرايت إن لم يستطع؟ قال : يأمر بالمعروف أو الخير قيل : أرايت إن لم يفعل؟ قال : يمسك عن الشر فإنها صدقة» (١) .

وعن أبي الأسود الدبيلي ، عن أبي ذر ، أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ : يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور بالأجور ، يصلون كما صلى ، ويصومون كما صوم ، ويتصدقون بفصل أموالهم قال ﷺ : أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به؟ إن لكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهيلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن منكر صدقة وفي بصع أحدكم صدقة ، قالوا : يا رسول الله ، يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال أرايت لو وضعها في حرام ، أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر» (٢) .

مسائل من الصدقة

يقول الإمام البخاري .

باب : لا صدقة إلا عن ظهر غنى .

ومن تصدق وهو محتاج أو أهله محتاج ، و عليه دين ، فالدين أحق أن يقضى من لصدقة ، والعتق والهبة ، وهو رد عليه ليس له أن يتلم أموال الناس وقيل النبي ﷺ «من أخذ أموال الناس يريد إتلافها ، أتلفه الله» إلا أن يكون معروفا بالصبر ، هيؤثر على نفسه ، ولو كان به حصاصة كمهل أبي بكر رضي الله عنه حين تصدق بعاله .

وكذلك أثر الأنصار المهاجرين ، ونهى النبي ﷺ عن إصاعة المال ، وليس له أن يضيع أموال الناس بعلة الصدقة .

وفال كعب بن مالك قلت يا رسول الله ، إن من توبتي أن أنزع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ قال «أمسك عليك نعم مالك فهو خير لك»

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه

قلت : فإني أملك سهمي الذي بحبير^(١) . ه .

باب : إذا تصدق على غني وهو لا يعلم :

روى الإمام البيهقي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال

«قال رجل لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق . فأصبحوا يتحدثون تصدق على سارق فقال اللهم لك الحمد . لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد رابية ، فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على رابية فقال اللهم لك الحمد على رابية ، لأتصدقن بصدقة ، فخرج فوضعها في يد غني ، فأصبحوا يتحدثون تصدق على غني فقال اللهم لك الحمد على سارق ، وعلى رابية ، وعلى غني فأنى ، فقيل له أما صدقتك على سارق فلعله أن يستغف عن سرقة ، وأما لرابية فلعنها أن تستغف عن ربها ، وأما الغني فلعله أن يعتبر فينق مما أعطاه الله»^(٢)

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال «من ولي يتيما له مال فيتجر له ، ولا يتركه حتى تأكله الصدقة»^(٣) .

وعن علي رضي الله عنه ، أن العباس رضي الله عنه ، سأل النبي ﷺ في تعجيل صدقته قبل أن تحل فحرص له هي ذلك^(٤)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي ﷺ «إذا أنفقت لمراة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ، وبزوجها أجره بما اكتسبت ، وللخادم مثل ذلك لا ينقص بعضهم من أجر بعض شيئا»^(٥)

(١) رواد الإمام البيهقي

(٢) رواد الإمام البيهقي

(٣) رواد الترمذي والد رقائق ، وإسناده صحيح ، وله شاهد من عمل عبد الشافي

(٤) رواد الترمذي والحاكم

(٥) متفق عليه

صدقة الفطر

وركاة الفطر واجبة على كل مسلم وجد لديه من المال ما يريد عن حاجته ،
وحاجة من تلزمه بمقتة ، يوم العيد وليلته ، ويخرجها عن نفسه ، وعن كل من تلزمه
بمقتة من ذكر وأنثى من المسلمين .

يقول ابن عمر رضي الله عنهما ، فيما رواه البخاري ومسلم :

« فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر ، أو صاعا من
شعير ، على العبد والحر و الذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين ،

وعن موسى بن عمية ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ ، أمر
بركاه الفطر أن تؤدي قبل خروج الناس إلى الصلاة ^(١) .

وروى الإمام مسلم بسنده ، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ ، أمر
بإخراج زكاة الفطر أن تؤدي قبل خروج الناس إلى صلاة .

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري ، أن معاوية لما جعل نصف
الصاع من الحنطة عدل صاع من تمر ، أنكر ذلك أبو سعيد وقال

لا أخرج فيها إلا الذي كنت أخرج في عهد رسول الله ﷺ صاعا من تمر ، أو
صاعا من زبيب ، أو صاعا من شعير ، أو صاعا من أقط .

وتيسيرا لأهل الريف نعرفهم أن الكيلة من التمتع تكفي عن ستة أفر د .

وتيسيرا لأهل المدن نعرفهم أن خمسة عشر قرشا ^(٢) تكفي في سعة عن
الفرد الواحد ، ويحوز أن يخرجها الإنسان بمجرد الدخول في شهر رمضان ويكون
عنده شهر رمضان كله فرصة لإخراجها ، والوقت المستحب للإخراج هو يوم العيد
قبل صلاة العيد .

فقد روى البيهقي والدارقطني ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال فرض
رسول الله ﷺ زكاة الفطر وقال - «أغنوهم في هذا اليوم» .

(١) رواه مسلم

(٢) كان هذا المبلغ في وقت تأليف الكتاب ، والقاعدة في أي وقت يمكن إخراج ثمن كيلة قمح يسعر يومها عن ستة
أفراء ، بمعنى أن تكون زكاة الفطر للفرد الواحد ما يساوي ثمن ستمين كيلة قمح

وهي روية للبيهقي «اعبواهم عن طواف هذا اليوم» .

وصدقة المظفر حق الله سبحانه وتعالى ، وهي كأي حق من حقوق الله ، لا تسقط بموت وقتها ، وإنما تستمر دينا على من لم يؤدها ، ويكون في تأخيرها إثم على من أخرها ، وعليه أن يعجل بأدائها .

وهي على كل حال درس في دمه يستمر حتى تؤدي ، ولو هي حجر العمر ، وإذ مات قيل أدائها فعلى ورثته أن يخرجها من تركته قبل تقسيمها .

فعلى كل من لم يؤد زكاة الفطر من المسلمين ، أن يخرجها فوراً فهي دين هي رقيته ، وهي طهارة لنصائمه من اللغو والرفث ، وثوابها عند الله عظيم .

* * *

الصيام

شهر رمضان فرض صيامه ، وحكمة الصيام

«شهر» و«رمضان» :

والشهر ، فيما قيل ، أصله من «الشهرة» يقال منه :

«قد شهر فلان» سببه - إذا أحرجه من غمده - فاعترض به من أراد صومه -
«يشهره شهرا» وكذلك «شهر الشهر» إذا طلع هلاله «وأشهرنا بحر» إذا دخلنا في
الشهر ، هذا عن كلمة : شهر .

أما عن كلمة رمضان فإنها من الرمض ، يقول صاحب مختار الصحاح
(الرمض) بفتح حاء شدة وقع الشمس على الرمل وغيره ، والأرض (رمضاء)
بورى حمراء ، وقد (رمض) يوما اشتد حرقه وباده طرب ، وأرض (رمضة)
الحجارة

و(رمضت) هدمه أيضا من الرمضاء أى احترقت .

وفى الحديث «صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال من الصعاء» ، أى إذا وجد
الفصيل حر الشمس من الرمض ، يقول صلاة الصبح تلك الساعة ، و(أرمضته)
الرمضاء أحرقته .

و(رمضان) جمعه (رمضانات) و (أرمضان) بورى أصمياء ، قيل - إنهم لما نقلوا
أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأرمية التى وقعت فيها فوافق هذا الشهر
أيام رمض الحر فعسمى بذلك^(١) اهـ .

وكان مجاهد رحمته الله يكره أن يقال «رمضان» ومن كلامه لكن يقول كما قال
«الله شهر رمضان»

(١) مختار الصحاح .

فرض صيام رمضان :

فرض صيام رمضان هي السنة الثانية من الهجرة .

روى ابن سعد في طبقاته الكبرى بسنده عن أبي سعيد الخدري قال

نزل فرض شهر رمضان بعدما صرعت القبلة إلى الكعبة بشهر ، في شعبان ،
على رأس ثمانية عشر شهر من مهاجرة رسول الله ﷺ

والآيات القرآنية التي نزلت في شأن الصيام من حيث فرضيته ومن حيث
الحكمة التي فرض من أجلها والتي تذكر بعض أحكامه ، قد جمعت متتالية في
سورة البقرة يتخللها آية من آيات الدعاء . والآيات هي :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)
أَيُّهَا مَنْ دُونَكَ مِمَّنْ كَانَ مِثْلُكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ
طَعَامٍ مُّسْكِينٍ مَّنْ تَطَوَّعَ خَيْرٌ لَّهُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُمْ وَأَن يَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شهر
رمضان لدي أمر فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى و الفرقان فمن شهد منكم الشهر
فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
وَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) وإذا سألت عبادي عني
فإني قريبٌ أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستحسبوا لي وثيقنوا بي لعلمهم بربوبيتي (١٨٦) أحل
لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكُم من ناس لكم رأيتم ناس لهم علم الله أنكم كنتم محتاجون
أن ينصركم فعلى عليكم وعفا عنكم فلا تباشروهن وأمنوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى
يبرز لكم الحيط الأبيض من المحيط الأسود من الفجر ثم آمنوا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن
ومنهم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلمهم
يتقون (١٨٧) ﴿ (١) .

وهذه الآيات الكريمة تحدثت عن أمور ستأخذ في الحديث عنها إن شاء الله
مبتدئين بحكمة الصوم .

(١) سورة البقرة ١٨٥ - ١٨٧

لعلكم تتقون

(١)

والناس يتحدثون عن صيام رمضان وهوائده ، وحكمة مشروعيته عند أن
هرضه الله تعالى إلى الآن .

وحيما نحل هذا الشهر المبارك ، يكثر الحديث عنه في الصحف ، والمجلات
والكتب .

وصحافتنا المصرية تتبارى في اجتذاب أكبر عدد من الكتاب يكتبوا «حديث
رمضان» أو «حديث الصيام»

ويصفون كتابا هي استنتاج لهدف من فرض الصيام .

ومن الحق أن نقول

إن التوفيق يصاحبهم في كثير من الأحيان . بيد أن هذه الآراء التي تذكر هي
حكمة لصوم محدودة معينة ، ولذلك كانت دائما ، موضع تكرار ، ولو لم يكرر
لقول لعمد كما يقولون .

لذلك كان تصورات كتابا ، إنما هو ، على الخصوص ، هي كيفية الفرض
وجمال الأسلوب .

ومن الآراء التي ذكرت هي حكمة الصيام :

١ - أن الإنسان تحكمه عاداته ، ويصل به الأمر إلى أن يصبح مجموعة من العادات
وتتحكم فيه العادات إلى درجة يصبح معها ، كأنه آلة من الآلات ، تسير على
نسق معين ، تؤدي أعمالا محدودة ، فيتعبد كل لا يتعبد عن المرونة التي تصرف
بفيه وبين الآلات ، والإنسان الذي تحكمه عاداته يصبح عبدا لها ويتجنى عن
شيم الأحرار الذين يعملون في حرية واختيار وفرض الله الصيام ، ليحرر
الإنسان من هذه العبودية ، فإن الصيام يقلب العادات رأسا على عقب ويعلم
الإنسان نوعا من المرونة حتى لا يتصرف تصرف لآلة .

٢ - وقد كتب الكاتبون كثيرا عن فائدة الصوم من الناحية الطبية ، وقد عبر عن
ذلك خير تعبير ، المرحوم الأستاذ «فريد وحدي» إذ يقول :

كان الناس إلى زمان قريب يحسبون أن الصيام من الشئون الخاصة بالأديان ، ولكن لم يكد ينشر تاريخ لطلب بين الناس ، حتى علموا أن لصيام قد اعتبر في كثير من الأمراض من مقومات الصحة الجسمانية ، كما علموا من عهد «أبوقراط» أنه عامل قوى من العوامل المنقية للجسم من سموم لأعدية ، فإن المواد الحيوانية التي تناولها بشره تحتوى على مراد ذهبية ، ومواد رباعية لعناصر لا تطبق البنية البشرية أن تحتزن مقداراً يريد عن الحاجة منها ، وطلاق الحرية للإنسان يجمعه يتناول كل ما يقع تحت يده ، وكثير ما بصاب بسبب هذه الحرية بأفات مرضية تكون وبالاً عليه

والصوم ذو تأثير بالغ في تخفيف الأمراض التي تنشب الأعضاء ، الظاهرة والباطنة ، وتحويل محمود في حالة المريض يتأذى منه إلى التخلص مما أصابه من الآلام والانحرافات ، وحصة الروح من هذا التحويل لا تقل قيمة عن حصة الجسم ، وقد استناد الطب من ناحية الصوم ما لم يستفده من ناحية لعلاج بالعقاقير أ هـ .

٢ - وقد فرض الله الصوم ليخص الغنى بألم الجوع فيحسن إلى الفقير ، وبذلك يتم العطف والمودة ، وينشأ عنهما تماسك المجتمع وسعادته .

٤ - وقد فرض الله لصوم كذلك تربية للإرادة ، وتقوية للمريمة ، وتدريباً على الصبر

٥ - وكذلك فرض الله الصوم ، تهديداً للنفس ، وتصمية للروح

هذه الآراء وغيرها قد قيت في حكمة الصوم ، وكررت ولكن الذي لاحظته الكثيرون من دوى البصائر أن الأمم الإسلامية في وضعها الحالي ، أقل مرونة من الأمم لغربية وعلى لأخص من قطر كأمریکا الشمالية مثلاً

ويلاحظون أن هذه الأمم لإسلامية ، أقل في مستواها الصحي من الأمم لغربية ، كما يلاحظون أنها في بيئاتها المحاصرة وفي وضعها الراهن ، تعاني الأمرين من شح الأضيء ولا تكاد ترى من يشجع لمعهد علمي ، لتعميم أولاد الفقراء ، و لمبرة حيرية ، وبيوتهم مغلقة لا يكاد العتقير يجرؤ حتى على التطلع إليها ، ومع أنهم سرمدون في ملادهم ، ويمشون الآلاف في أوربا وغيرها على موائد ثقمار

وحملات السباق ، وعلى العبادات وبراكعات ، فإنهم لا يتفقهون شروى نقيير فى وحه من وجوه الحير .

ومن دقة الإمام الشافعى رحمته أنه لم يقل ' إن الصوم نعم الجود أو يبسط الأيدى ' وإنما تمسأ أن يكون لصائم كدلك ، فقال فى أسلوبه الدقيق «أحب للصائم الزبدة بالحدود فى شهر رمضان ، اقتدء برسول الله ﷺ ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم ، ولتشغل كثير منهم بالعبادة عن مكاسهم» .

ولاحظ ذرو البصائر أيضا :

أن الصبر لا يكاد يوجد عند الصائم ، بل يتخذ لناس الصوم عدرا للصائم إذا تجاوز الحد ، وكثيرا ما تحاوره .

★ ★ ★

لهذا كان رى بعض لمفكرين ، أن حكمة الصوم لا تعلمها ، ذلك ؛ لأنه عبادة ، والعبادة فى كثير من تفاصيلها لا نعلم لها حكمة .

هل نعم مثلا حكمة الصلاة فى أن تكون ركعتين فى الصبح وقت نشاط ، وأربعا فى لظهر وهو وقت يكون الإنسان فيه عادة ، محجدا؟

إن الصوم حسب يرون من هذا النمط ، فرصه الله تعالى لحكمة لاشك فى ذلك ، ولكننا لا نعلمها

وبعض هنا لا نمشى مع النظرة الأخيرة ، التى يمس يدها من بين الحكمة فى الصوم ، لا نريد أن نكرر ما قالوه مناسا .

دك أننا نتحه إلى الآيات اقرآنية التى تحدثت عن لصوم همستلهمها الحكمة ، وهى لو تأمسا الحكمة واضحة ، فى تعبير غاية فى لبقة يقول به تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ عَلَيْكُمْ تَقْوٌ ﴾

فى هذه الآية حدث الله سبحانه وتعالى أنه كتب علينا لصوم وفرصه لعبه معينة ، ذكرها فى قوله . ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

وعبر القرآن بكلمة «لعل» ولم يقطع ، ولم يحرم ، بأن ثمرة الصوم لا محالة تحقق التقوى ، لأن الصوم يعد الصائم للتقوى .

إنه إعداد وتهيئة ، إن مثله بالنسبة للصائم : كمثل رارع تعد له الأرض ونهيا . وتعطى له محروثة ، لا حشائش فيها ، مهياة تمام التهيئة ، وما عليه إلا أن يتصرف حسيما يريد .

فإن شاء ألقى فيها البذر ثم تركه يدبل ويموت ، وإن شاء تركها مهملة ، نمو فيها الحشائش الحبيثة من جديد وتعود تربة غير صالحة وإن شاء ألقى فيها البذر وتعهده حتى يترصرع ويستوى على سوقه ويؤتى أكله ، كل هذا منطوق في كلمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ .

فإذا ما تعهد الإنسان نفسه ، التي أعدت بالصوم ، ونهى إلى التقوى ، كان حراؤه حميمة عند الله عظيما .

ومن هنا مفتاح فهم الأحاديث التي رويت في الصوم ، والتي لا تفهم فهما حقيقيا إلا إذا راعينا أن الصائم ، يتعهد نفسه التي مهدت وأعدت بالصوم .

طلب أبو أمامة من رسول الله ﷺ ، يوما أن يأمره بعمل ينصحه الله تعالى به ، فقال ﷺ «عليك بالصوم ، فإنه لا عدل له» فكرر له أبو أمامة الطلب فقال ﷺ «عليك بالصوم فإنه لا مثل له» وطلب أبو أمامة للمرة الثالثة نصر الطلب ، فقال عليه الصلاة والسلام أيضا بنفس ما قاله في المرة الثانية «

ولا شك أن الصوم لا عدل له ، ولا مثل له ، هي تهية الصوم للتقوى ، ومن انتهى بهذه التهيئة ، إلى غايتها ، «صيام رمضان إيمانا واحتسابا» غفرله ما تقدم من ذنبه» .

ومن هنا كان المعنى العميق ، للحديث المشهور

«كل عمل ابن آدم يصاعف ، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجرى به» .

وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم وبقية الكتب الستة ، وهو متناسق مع حديث آخر قدسي ، رواه البخاري وغيره «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم ، فإنه لي وأنا أجرى به» .

وقد فهم الناس أن الله يحاري الصوم ، باستمرار جراء يريد على سبعمائة صعب ، وهذا صحيح فيما يتعلق بمن تعهد نفسه واتقى

أما من لم يتعهد نفسه ، ولم يتق ، فتصدق فيه الأحاديث الأخرى التي لا تفهم فهما صحيحا إلا على صوء ما قدمنا ، يقول الرسول ﷺ «كم من صائم ليس به من صومه إلا الجوع والعطش»^(١) .

ويقول ﷺ «من لم يدع قول الرور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»^(٢) .

ولا ينتهي الصوم إلى ثمرته التي أرادها الله تعالى منه ، إلا إذا صدقت نية وقويت العزيمة ، وصام الإنسان إيمانا واختسابا ، أي صام على التصديق والبرعة ، طيبة بالصوم بحسه غير كاره له ولا مستثقل لأيامه ، وصام طلبا لوجه الله تعالى، وصدقته نيته في النجاة ، واستشرفت نفسه لرصوا الله

فإذا ما قوام كل ذلك تحقق ما قاله السابقون والمعاصرون في فائدة الصوم .
أما غير ذلك ، فليس للصوم من فائدة ، إلا الجوع والعطش ، عاهد الله وياكم من ذلك أ هـ .

لعلكم تتقون

(٢)

يقول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

وإن لقيم الروحية في الصوم ، لتتركز أسسا ومبادئ في هذه الكلمة التي ختم الله سبحانه وتعالى بها الآية الكريمة وهي : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

فالتقوى تتألف من عنصرين :

عنصر إيماني هو القيام بما أمر الله سبحانه به من فروض وواجبات ، في

(١) رواه النسائي وابن ماجه

(٢) رواه البخاري

القول كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي كان مع الإيمان مناط حيرية الأمة الإسلامية .

يقول سبحانه وتعالى

﴿ كُنْتُمْ حَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ بِالنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١) .

وكذلك لقيام بها أمر الله سبحانه وتعالى به ، في العمل ، كالصلاة على وجهها الصادق الذي يترتب عليه الانتهاء عن المحشاء والمنكر .

أما العصر الثاني من عناصر لتقوى ، فإنه الانتهاء عما نهى الله سبحانه وتعالى عنه في القول كالغيبة التي يمثل الله فاعلها بمن يأكل لحم أخيه ميتا . وكذلك جميع أنواعه ، يقول الله تعالى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْقُسُوفُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢) .

والانتهاء كذلك في العمل عما نهى الله عنه مثل العيش في المكائيل والمواريث الذي يقول الله سبحانه فيه :

﴿ وَيَلِ لِلْمُظَفِّفِينَ (٣) الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٤) وَإِذَا كَالُواهُمْ أَوْ وَرَوْهُمْ يُخْسِرُونَ (٥) أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٦) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٧) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٨) .

هذا العيش لدى كان من الأسباب التي من أجلها دمر الله أمة من الأمم . يقول تعالى في سورة هود

﴿ وَبِئْسَ مَدِينُ آبَائِهِمْ شَعْبَانَا يَا هَؤُلَاءِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِ كُنْتُمْ مُّزْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ (٩) .

(١) آل عمران ١١٠ (٢) الحجرات ١١

(٣) المظففين ٦ (٤) هود ٨٤ - ٨٦

ولكن أهل مدين لم يستحيبوا لشعيب ، وسحروا به ولم يجد هيبهم أسلوب
الرمية أو الرهبة ، فكانت النتيجة ما عبر الله سبحانه وتعالى عنه بقول
﴿ولما جاء أمرنا بنحيا شعيب والذين آمنوا معه برحمة منا وأحدت الذين ظلموا النصيحة
فأصبحوا في ديارهم جائمين﴾ (٩٤) كان لم يفتوا فيها إلا بعدا لعدى كما بعدت ثمرد (٩٥) ﴿١﴾
فإذا تحققت لتقوى بالصوم ، فقد تحققت لقيم الروحانية لى أحبها الله
سبحانه للصائم ، يقول رسول الله ﷺ «إيها الصوم جنة ، فإذا كان أحدكم صائما ،
فلا يرهث ولا يجهل ، وإن امرؤ قاتله ، أو شاتمه ، فليقل : إني صائم ، إني صائم» .
وهى هذا الحديث الشريف ، يبين رسول الله ﷺ ما ينبغي للصائم ، وهو أن
يكون صومه جنة ، أى وقاية له وقاية عن همل ما أمر الله تعالى به ، ووقاية عن
إتيان ما نهى الله تعالى عنه .

وبه وقاية عن ذلك هو القول . فإنه ينبغي للصائم ألا يتحدث بأسلوب لا
يحببه الله سبحانه ، وهذا معنى قوله ﷺ ، «فلا يرفث» هذا فى القول .
أما ما ينبغي فى العمل فقد عبر رسول الله ﷺ عنه بهذه الكلمة الجامعة
«ولا يجهل» أى لا يتعدى حدود العمل الذى أحبه الله ، ثم ذكر رسول الله ﷺ
مثالا لذلك بقوله «وإن امرؤ قاتله أو شاتمه ، فليقل : إني صائم ، إني صائم»

لعلكم تتقون

(٣)

يقول الله تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾

فإذا ما وطن الإنسان نفسه على الخير والصلاح بعد أن مهد له الصوم
السبيل لى ذلك وأعد له ليسير فى سهوله وبسر على الصراط المستقيم ، فقد هاز
بثمرة الصوم المرجوة ، وهى التقوى ، والتقوى هى تجب العصية الكبرى ، التى لا

يغفرها الله قط ، وهي الشرك بالله ، وكذلك تحسب ما دونها من المعاصي ، وهذا جانبها السلبي ، أما جانبها الإيجابي فإنه لقيام بكل واجب اقترصه الله تعالى .

وإذا ما حقق الإنسان التقوى، فقد هاز ودخل في نطاق الآية القرآنية «الكرامة» ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ لِمُورِ الْعَظِيمِ (٦٤)﴾ (١) وقد روى في الحديث : أن الله ينادي يوم القيامة :

«يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ، ولا أنتم تحزنون» هترفع الخلائق رعوسهم ويقولون نحن عباد الله عر وحس ، ثم ينادي الثانية «الذين آمنوا وكانوا ياتقون» مسممين ، فيكس الكفار رعوسهم ، ويبقى الموحدون رفعى رعوسهم ، ثم ينادي الثالثة «الذين آمنوا وكانوا يتقون» فيكس أهل الكناثر رعوسهم ويبقى أهل التقوى راهمى رعوسهم ، قد أزال الكريم عنهم الحوف والحزن كما وعدهم (٢)

أما الحكمة الثانية التي من أجلها فرض الصوم فهي ما يمكننا أن نلمسه في قوله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَزُقَرَاتٍ مِّنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ .

فقد أمر الله تعالى بالصوم بعد أن ذكر أن هذا الشهر الكريم نزلت فيه الهداية الكاملة ممثلة في القرآن فكان لابد أن يحتفل به والاحتفال بشيء ما ، بما يكون بما يناسب معه ، فلاحتمال بالهداية ممثلة في القرآن إنما يكون بما يعد العرس ويمهده للاستقبال هذه الهداية على خير ما ينبغي . وذلك بالصوم فكأنما بالصوم إيما واحتسابا يصل إلى مستويات من شافية النفس وبطهيرها وبركيها فتتسم هدى السماء وتتشربه وتمتج به فرحة معتطرة ، فيهم في عمو ، قول الله تعالى :

﴿أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ دِينُكَ وَأَنذَرْتُ عَلَيْكَ بُعْثًا وَبُشْرًا وَإِلَىٰ عِلِّيُّنَ (٣)﴾

أما الحكمة الثالثة لفرض الصيام ، فإننا نلمسها في قوله تعالى مخفتما بعض آيات الصوم :

(٢) كتاب الرعاية لحقوق الله

(١) يوسف ٦٢ - ٦٤

(٢) المائدة ٢

﴿وَتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٨٥)

فقد قرص الصوم تنتهي منه ونحن في رحاب الله مفتيحين مستبشرين ، قد تركت منا التموس ، وتظهرت منا الأفتدة ، فيترتب على ذلك أن نكبر الله ونحمده على هديته السماوية أولا ، وعلى توفيقه لنا بإتمام لصوم ثانيا ، ونشكره على كل ذلك فيزيدنا سبحانه بهذا الشكر هداية وتوفيقا ﴿لَنْ شُكْرُكُمْ لَأَرِيدَكُمْ﴾ (١) .

ومما له معناه العميق ، أنه في ثياب هذه الآيات الكريمة التي تتحدث عن الصوم وتوجهها إلى التقوى ، وإلى تكبير الله وإلى الشكر يحاطب الله رسوله ﷺ فجأة فيقول ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَحِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمَرُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (٨٦) .

ولا ريب أن النفوس التي صامت إيمانا واحتسابا ، وتزكت وتطهرت ، والتممت التقوى ، وكبرت الله وشكرته إنما هي بموس قريبة من الله ، إذا دعته ستجاب ، وإذا استلهمته الرشد والصواب ألهم ، وإذا استهدته هدى .

على أن الارتباط وثيق بين هذه النعمات الروحية التي يتحدث عنها الآن ، وبين ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن ، والتي تنزل فيها الملائكة ، وتنزل فيها الروح على من يصطفيهم الله في هذا الشهر المبارك ليكونوا من حاصة عبادته فيسعدون في الدنيا والآخرة .

★ ★ ★

أما إذا تساءلنا الآن عن العبادة التي شغل بها أنفسنا على العموم في شهر رمضان ، والتي تهيننا لليلة القدر والشرف ، فإنها فيما ينبغي : تلاوة القرآن وتبهره ، ومحاولة فهمه ، والاسترشاد به ، وحمله ذرياسا لمسير على ضوئه في كل أمورنا .

وإذا ما فهمنا رمضان على هذا الوضع ، واستقبلناه بهذه الروح التي تستشرف رحمة الله ومغفرته في هذا الشهر المبارك ، وتلقيناه بقلوب ملؤها العزم المصمم على التقوى والرشاد ، وصممناه إيمانا واحتسابا فإننا نعم بمغفرة الله لنا ما تقدم من ذنوبنا حسبما روى عن رسول الله صلوات الله عليه وسلامه

(١) إبراهيم ٧

وفصلا عن ذلك فإن الله يحل لنا العطاء والثواب ، يقول الله تعالى هي حديث قدسي : «كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به» .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه البخاري ومسلم

«كل عمل ابن آدم يصاعف الحسنه عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال الله تعالى : إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به» .

وإذا كان جبراء الصوم عظيما ، فإن له آداب منها ما ذكره رسول الله ﷺ فيها روى البخاري قال : «إنها ، الصوم حنة فإذا كان أحدكم صائما ، فلا يرفث ، ولا يجهل ، وإن امرؤ قاتله أو شتمه فليصم ، إلى صائمه ، إلى صائمه ، إلى صائمه»

فضل شهر رمضان

شهر عظيم :

حييم كان يهل شهر رمضان ، كان رسول الله ﷺ يحطب في المسلمين
خطبة ، يبين فيها فضل هذا الشهر المبارك .

فمن سلمان رضى الله عنه قال

حطبا رسول الله ﷺ ، في آخر يوم من شعبان . قال :

« يا أيها الناس قد اطلقكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف
سهر ، شهر جعل الله صيامه فريضة ، وقيامه تطوعا ، من صام فيه بحصة من
حصال الخير ، كان كمن أدى فريضة قيمه سواه ، ومن أدى فريضة فيه ، كان كمن
أدى سبعين فريضة فيما سواه .

وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة وشهر يراد في
ريق المؤمن فيه ، من فطر فيه صائما كان معمرا له دونه ، وعتق رقبة من النار
وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء » .

قالوا يا رسول الله ، ليس كلنا يجد ما يطر الصائم ، فقال رسول الله ﷺ
« يعطى الله هذا الثواب من فطر صائما ، على ثمرة ، أو على شربة ماء ، أو
مذقة لبن » .

وهو شهر اوله رحمة ، وأوسطه معصية وأخره عتق من النار .
من حرم عن مملوكه ^(١) فيه ، عمر الله له ، واعتقه من النار ، واستكثر
فيه من أربع حصال :

حصلتين ترصون بهما ربكم ، وحصلتين لاغناء بكم عنهما .

(١) يقيد المملوك في العصر بحاصر الخادم فيستخيف عن الخادم في رمضان عن أسباب معصية بدوب

فأما الغصلتان اللتان ترضون بهما ربكم .
 فشهادة أن لا إله إلا الله ، وتستعمرونه
 وأما الغصلتان اللتان لا أعزاء بكم عنهما :
 فتسألون الله الجنة ، وتعوذون به من النار .
 ومن سقى صائماً سقاه الله من حوصى شربة لا يظلم^(١) حتى يدخل
 الجنة »

رواه ابن خزيمة في صحيحه ، ثم قال : صح الخبر .
كل عمل ابن آدم له إلا الصوم :
 عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ
 قال الله عز وجل
 « كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجرى به »
 « والصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم ، فلا يرقت ولا يصحب ، فإن
 سابه أحد ، أو قاتله ، فليقل إنى صائم ، إنى صائم .
 والذي نفس محمد بيده ، لحلوف فم الصائم ، أطيب من ريح المسك .
 للصائم فرحتان يفرحهما :

إذا أفطر فرح بطوره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه »^(٢) .
 الترغى بفتح الراء و تاء يطلق ، ويراد به الجماع ، ويطلق ويراد به
 المعشر ويطلق ويراد به خطاب الرجل المرأة ، فيما يتمنى بالجماع^(٣) .
 وقال كثير من العلماء :

إن المراد به في هذا الحديث الفحش وردى الكلام
 واللعنة - يضم لجيم وهو ما يحبك : أى يسترك ويقبلك معا تخاف .

(١) أى أن الله سبحانه وتعالى ييسر له دائماً الترى في سهولة. فلا يأتي عليه ظرف يكون فيه على أزمة. فتدرك الظن

(٢) رواه البخارى

(٣) الحديث الشريف ، والشرح من كتاب « الترغيب والترهيب » .

ومعنى لحديث :

إن الصوم يستر صاحبه ويحفظه من الوقوع في معاصي .

وسئل سمبان بن عبيدة عن قوله تعالى

« كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم فإنه لى » فقال :

« إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عز وجل عبده ، ويؤدى ما عليه من

المظالم من سائر عمله ، حتى لا يبقى إلا الصوم فيتحمل الله ما بقى عليه من

المظالم ، ويدخله بالصوم الجنة »

الصوم لى وأنا أجرى به :

قال الشيخ (١) رحمه الله روى عن النبي ﷺ ، أنه قال .

يقول الله تبارك وتعالى

« الصوم لى وأنا أجرى به » .

هــن قال قائل

ما معنى تخصيص الصوم من بين سائر لعبادات وقد علمنا أن جميع

الأعمال له ، وهو يجري به ، فما معنى قوله « الصوم لى وأنا أجرى به » ؟

فيقال له معيار :

أحدهما أن للصوم تخصيصاً من بين سائر لعبادات لمترصبات لأن

جميع المترصبات حركات جوارح ، يتهيأ للمحقق ، أن يظفروا إليها ، إلا لصوم ، فإنه

عبادة بغير حركة لجوارح

هــن أجل ذلك قال تعالى : « الصوم لى » .

والمعنى الآخر هـى قوله « لى » بمعنى أن الصمديـة لى ، لأن « الصمد » هو

الذى لا خوف له ، ولا بحتاج إلى الطعام أو الشراب . هــن تخلق بأحلافه أخرىـه

مالا يحظر عى قلب بشر » .

وأما معنى قوله « وأنا أجرى به » هــن الله تعالى ، وعد عى (جميع) فعـل

(١) صاحب كتاب الجمع فى التصوف

لحسنات ، الثواب لمعدود من الواحدة إلى عشر أمثالها (من العشرة) إلى
لستمائة إلا لصائمين و (الصائمون) هم الصابرون

(وقد) قال الله عز وجل

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حَسَابٍ ﴾ (١) .

فخرج الصوم من الحسنات المعدودات وثوبها ، لأن الصوم هو صبر
لنفس عن مألوفاتها وإمساك الجوارح عن جميع شهواتها ، والصائمون هم
الصابرون .

وقد روى في معنى ذلك عن النبي ﷺ أنه قال .

« إذا صمت فليصم سمعك ، وبصرك ، ولسانك ، ويدك »

وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال

« إذا صام أحدكم فلا يرفث ، ولا يمسق ، فإن شتمه إنسان فليقل إلى

صائمه » .

وصحة الصوم ، وحسن أدب الصائم في صومه ، صحة مقاصده ، ومباينة
شهواته ، وحفظ حوارجه ، وصفاء مطعمه ، ورعاية قلبه ، ودوام ذكره ، وقلة
اهتمامه بالمصمومين من رقه ، وقلة ملاحظته لصومه ، ووجله من تقصيره ،
والاستعانة بالله تعالى على تأديته ، فذلك أدب الصائم في صومه (٢) .

هل من تائب ؟

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال

« إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ، فتحت أبواب الجنات ، فلم يعلق منها
باب واحد ، الشهر كله ، وغلقت أبواب النار ، فلم يفتح منها باب واحد الشهر كله ،
وغلبت عتاة الحن ، وبأدى مناد من السماء كل ليلة إني نفاخ الصبح

يا ناصي الحير يعم وبشر ، ويا داعي الشر افصر وابصر .

هل من مستعمر يغفر له ؟

(١) سورة برعر الآله

(٢) من كتاب التبع

هل من تائب يتوب ، الله عليه ؟

هل من داع يستجاب له ؟

هن من سائل يعطى سؤاله ؟

ولله عز وجل عند كل فطر من شهر رمضان كل ليلة عتقاء من النار ستون ألفا ، وإذا كان يوم القدر أعتق الله مثل ما أعتق في جميع الشهر ، ثلاثين مرة ، ستين ألفا ، ستين ألفا (١)

أبواب الرحمة في شهر رمضان :

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال .

« إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ، وعلقت أبواب النار ، وصمدت الشياطين » (٢) .

وفي رواية لمسلم

« فتحت أبواب الرحمة ، وعلقت أبواب جهنم ، ومسدت الشياطين » .

ورواه الترمذى ، وابن ماجه ، وابن خزيمة فى صحيحه ، والبيهقى ، كلهم من رواية أبى بكر بن عياش عن الأعمش ، عن أبى صالح عن أبى هريرة ، ولعظمهم قال

« إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صمدت الشياطين ، ومردة الجن »

وقال ابن خزيمة

« للشياطين مردة الجن » بغير واو « وعلقت أبواب النار ، فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة ، فلم يعلق منها باب ، ويدى مناد « يا باغى لحير قتل ، يا باغى الشر أقصر ، والله عتقاء من النار ، وذلك كل ليلة » (٣) .

(١) رواه البيهقى

(٢) رواه البيهقى ومسلم

(٣) رواه الترمذى وحاكم ، يحو هذا اللفظ ، وقال الحاكم صحيح على شرطيهما

باب الريان :

عن سهل بن سعد رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قال :
« إن في الجنة بابا يقال له الريس ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة
لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أعقبه فلم يدخل منه أحد » (١)

من لا ترد دعوتهم

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا ترد
دعوتهم الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق
الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء . ويقول الرب
« وعزتي لأبصرنك ولو بعد حين » .

رواه أحمد في حديث ، والترمذي ، وحسنه ، وابن حريمة ، وابن حبان في
صحيحتهما والبرار ، ولمطه :

« ثلاثة حق على الله أن لا يرد لهم دعوة الصائم حتى يفطر والمظلوم
حتى ينتصر ، والمسافر حتى يرجع » .

وعن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ
« حصروا المبر ، وحضروا ، فما رتقى درجة قال آمين ، فلما ارتقى
الدرجة الثانية قال آمين ، فما رتقى الدرجة الثالثة قال آمين
فما نزل قلنا يا رسول الله ؟

نقد سمعنا منك نيوماً شيئاً ما كنا نسمعه ، قال :

إن جبريل عليه السلام ، عرض لي ، فقال :

بعد من أدرك رمضان فم يفر له ، قلت : آمين .

فلما رقيت الثانية قال :

بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك ، فقلت : آمين .

(١) رواد البخاري

فلما رقيت لثالثة قال

بعد من أدرك أبويه لكبر عبده أو أحدهما ، فتم بدخلاه الجنة ، قلت
أمين « (١) .

صيام رمضان فرض ، وقيامه سنة :

وفي رواية للنسائي أن رسول الله ، ﷺ قال :

« إن الله فرض صيام رمضان ، وسبب لكم قيامه »

فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً ، خرج من ذنوبه ، كيوم ولدته أمه

رمضان ومعصرة الذنوب :

لقد كان رسول الله ، ﷺ ، يربح في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة
ثم يقول

« من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » (٢)

معنى إيماناً واحتساباً .

قال الخطابي قوله « إيماناً واحتساباً » أي نية وعزيمة ، وهو أن يصوم
على التصديق والرغبة في ثوابه طيبة بها نفسه ، عهر كاره له ، ولا مستثقل
لصيامه ، ولا مستطيل لأيامه ، لكن يفتتم طول أيامه لعظم الثواب .

وقال البغوي :

قوله : « احتساباً » أي طلباً لوجه الله تعالى وثوابه

يقال : فلان يحسب الأخبار ، ويحسبها : أي يتطلبها .

ومما هو دحل في « إيماناً واحتساباً »

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي ، ﷺ ، قال :

« من صام رمضان ، وعرف حدوده ، وتحفظ مما يفهم أنه أن يتحفظ ، كفر
ما قبله » (٣) .

(١) رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود ، والترمذي والنسائي

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي .

• الصيام جنة

روى عن النبي ﷺ قال

« الصيام جنة ، وحصل حصين من النار » (١) .

وعن معاذ بن جبل رضى الله ، أن النبي ﷺ قال له :

« ألا أدلك على أبواب الخير ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال

« الصوم حنة ، وأنصدة تصفى لحظيئة ، كما يطفى الماء النار »

من ثمار الصيام والقرآن :

عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « الصيام

والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام

أى رب ، منعت الطعام والشهوة فشفعنى فيه

ويقول القرآن

منعت النوم بالليل ، فشفعنى فيه .

قال : هيشفعان (٢) .

رواه ابن أبي الدنيا فى كتاب الجوع ، وغيره بإسناد حسن ، ولحاكم

وقال صحيح على شرط مسلم .

الصالحون وشهر رمضان

والصالحون دائماً يتأسون برسول الله ﷺ :

﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله

كثيراً ﴾ (٣) .

واتأسى برسول الله ﷺ إنما هو اتباع للقرآن

(١) رواه أحمد بإسناد صحيح

(٢) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير ، رجاله معتمد لهم فى الصحيح

(٣) الأعراب ٢١

فلقد كان رسول الله ﷺ الصورة الواقعية للقرآن .

لقد كان حلقه لقرآن ، كما تقول السيدة عائشة رضي الله عنها ،

وشهر رمضان موسم من أسمى لمواسم الروحانية ، في الانحياز إلى الله سبحانه وتعالى ، وهي الاندماج في عباده الصالحين .

والخطوة الأولى في هذا الطريق ، والسبلة الأولى في بناء صرح لتقوى ، بما هي التوبة : إنها أول قدم في طريق الصلح مع الله

ولقد دعانا الله سبحانه وتعالى إلى التوبة في أساليب تأتي بارة رفيعة كأرق ما يكون الأسلوب ، رحمة تبص بالראה .

« يا عبادي ، نكم تحطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا ، فاستعصروني أعمر لكم » (١) .

ولقد عبر رسول الله ﷺ عن موقف الله تعالى بالنسبة لتائب بكلمة «الصرح» إن الله سبحانه وتعالى ، يفرح بتوبة عبده المؤمن .

وتارة يدعو الله سبحانه وتعالى إلى التسوية في أسلوب رهيب شديد الرهبة، وقد جمع بين الرحمة والرغبة في الدعوة إلى التوبة ، قوله سبحانه وتعالى

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَأَسْعَوْا أَحْسَنَ مَا أَسْرَفْتُمْ مِنْ رِبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بِغَتَةٍ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاحِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ بِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَنِ انْفُسِهِمْ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أُنْجِلُوا مِنْ جَهَنَّمَ مَوْتًا لَمْ تَكُ مَكْرَهًا (٦٠) وَيُجِىءُ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِعَمَلِهِمْ لَا يَنْسَهُمُ السُّوءَ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦١)

(١) وردت هذه العبارة في حديث قدسي صحيح

(٢) سورة براءة ٥٢ ٦١

واختلفت الأساليب ، في الدهوة إلى التوبة ، لتتناسب مع مختلف الطوائع
و،نفطر .

والصالحون وإن كانوا يوبون إلى الله تعالى دثما ، ويرجعون إليه في السير
من أمرهم ، والمعظيم منه ، فإنهم يبدأون شهر رمضان بتجديد العهد مع الله
بالتوبة الحاصلة بالصوح .

التوبة التي تكون فيصلا حاسما ، في حياة الإنسان ، فيستأنف عهدا مع
الله كله صدق ، ويبدأ حياة كلها تقوى .

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ﴾ (١)

إن الله سبحانه وتعالى يجعل له مخرجا من كل صيق ، ومن كل أزمة ، يفرج
همه ، ويكشف كربته ، ويريل غمته .

إن كلمة « يجعل له مخرجا » مطلقة لا يقيدتها قيد ، ولا تحددها حدود ،
وشرعها الأساسي : التقوى

لتقوى بمعناها الصادق ، الصحيح ، المستقيم

إن الله سبحانه وتعالى بالتقوى ، ييسر له من أمره ما تيسر ، وهو سبحانه
بالتقوى يرزقه من حيث لا يحتسب .

يرزقه ماديا ، ويرزقه روحيا ، ويرزقه من حيث يدري ، ومن حيث لا يدري
إن الصالحين في ابتداء رمضان يجددون عهدهم مع الله ، ويلتزمون بتجديد
هذا العهد الصادق ، التقوى

وتتألق تقواهم - تأسيا برسول الله ، ﷺ في أمرين :

الأمر الأول :

الإكثار من قراءة القرآن

الأمر الثاني :

الإكثار من صدقة .

(١) الطلاق ٢ ٢

القرآن

وما من شك في أن ميرة رمضان النضمة ، أنه أنزل فيه القرآن
والقرآن هو دستور المسلمين ، إن قراءته ، والتفكير فيه عبادة ، واتباعه
واجب ، وكلما اقترب الإنسان من تحقيق لأحلاق انتى رسمها ، كان أقرب من الله
ورسوله ، وأحب إلى الله ورسوله .

يقول الله تعالى :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ ﴾

هميرة شهر رمضان النضمة ، أنه أنزل فيه القرآن ، ولقد كان رسول الله ﷺ
معسباً دائماً بالقرآن ، ولكنه كان يعنى عبادة خاصة به في هذا الشهر المبارك .
وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن

ودراسة القرآن وتلاوته من أسمى انقيادات ، ومن أنصن العبادات ، يمول ﷺ
هيما رواء البخارى

« خيركم من تعلم القرآن ، وعلمه » .

وروى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال

« إن الذى ليس فى جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب »

وثواب قراءة القرآن حزيل هالحرف منه بحسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ،
يقول ﷺ هيما رواء الترمذى :

« من قرأ حرف من كتاب الله فله حسنة ، ولحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول
الم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » ، وقد وردت الآثار فى
الحث على سور وآيات مخصصة ، فالماحة اعظم سورة فى القرآن ، وقل هو الله
أحد تعدل بصفه ، والمعوذتان بم ير مثلهما قط ، ومن القرآن سورة ثلاثون آية
شمعت لرجل حتى عمره ، وهى تبارك الذى بيده الملك .

وقد روى البخارى ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال :

من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه ويعقب الإمام النووى
عن ذلك بقوله - كفتاه المكروه تلك الليلة وقيل كفته من قيام الليل

أما أعظم آية في كتاب الله فيها أية الكرسي وروى الإمام البخاري رضي
الله عنه ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال

بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي ﷺ ، سمع نقيضا (أى صوتا)
من فوقه ، فرفع رأسه فقال هذا باب من اسماء فتح اليوم ، ولم يفتح قط إلا
اليوم ، فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل إلى الأرض ولم ينزل قط إلا اليوم
فسم (أى الملك) وقال مخاطبا رسول الله ﷺ أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤنهما
نبي قبك ، فاتحة الكتاب وحو تيم سورة لقمة لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته .

من كل ذلك يتبين فضل تلاوة القرآن ، وعلى الخصوص في شهر نزوله هدى
للناس وبيات من الهدى والفرقان .

الصدقة

أما لأمر الناس الذي كان يتألق به الرسول ، صلوات الله عليه وسلامه
في شهر رمضان فهو الحود ، لقد نيت طبيعته ﷺ ، على لكرم ، وبكته في شهر
رمضان كان في الحود كالتريح المرسلة روى البخاري ومسلم ، رضي الله عنهما ،
عن ابن عباس ، رضي الله عنهما قال :

كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين
يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن
فهرسل الله ﷻ حين يلقاه جبريل - أجود بالخير من الريح المرسلة

وفي هذا الحديث الشريف نص بين رمضان والقرآن ، وكثرة الصدقة
وتوقع أن كثرة الصدقة هي رمضان هي الدليل الواضح الصحيح على أن
الصوم وقراءة القرآن قد أثمر الثمرة المرجوة

أما هذا الذي يصوم رمضان ، ويتلو كتاب الله ، وهو رحمة ونور فلا
يشرق قلبه بنور الرحمة ، ولا تتألق نفسه بصياء لكرم ولم يوق شح نفسه فإن
ذلك إذا دل على شيء فإنما يدل على أن وسائل النور هذه لم تتقبل هي نفسه
فوصل إلى أعماقها مختلطة بحمه ودمه ، فتقوده إلى لجود والإحسان
﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾ () .

وشهر رمضان من المواسم التي يتصوع فيها الإيمان . ويشرق في النفس فتتذكر عهدا مع الله عهد الإيمان ، فتجود بالنفس في سبيله . إذ لزم الأمر . والجود بالنفس أسعى ثغابات لحود ، ونحود بالإن في سبيله مستثيرة بالوفاء بالعهد في صورته لهية السمحة . إن الصيقة برهان على حد إخبار رسول الله ﷺ

أما الشح المطاع ، فإنه من الثلاث المهلكات ، يقول الله تعالى

﴿ وَمَنْ يُوقِ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) ﴿

ويقول سبحانه :

﴿ وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُزْأً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطْرَقُونَ مَا يَحْمِلُونَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٢)

مع أن الرجل الذي يتصدق بصدقة ، فلم تعلم شئها له ما أعطت يمينه دخل في نطاق السعة الذين يضلهم الله يوم لا ظل إلا ظله

كان صلوات الله وسلامه عليه يكثر من تلاوة القرآن وكان حوادا ، حتى إذا ما أنت العشر الأواخر من رمضان : أحيا الليل كله .

وراء كان يجتهد في رمضان في العبادات مالا يجتهد في غيره ، فإنه في العشر الأواخر منه . كان يجتهد مالا يجتهد في غيرها

أما بعد . فيقول صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال .

قال به عمر وحل « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أحرى به . والصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرهق ولا يصعب . فإن صابه أحد أو قاتله فليقل : إني صائم ، إني صائم ، وإن رأى نفسه محسدا بيده أو لحيوه فم تصائم أطيب عند الله من ربح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بمطره . وإذا لقى ربه فرح بصومه » .

(١) آل عمران ٨٠

(٢) العشر ٩

أحكام

واجبات ، ومنهيات ، وسنن ، ومباحات

شروط الصيام الصحيح :

شروط الصيام الصحيح ، الإمساك عن إيصال شيء إلى الجوف عمدا ، مع ذكر الصوم فيفسد بالأكل أو الشرب عمدا ، أما إذا أكل أو شرب ناسيا ، فلا يفسد ذلك صومه .

وكذلك الإمساك من الناحية الجنسية .

هذه هي شروط الصيام الصحيح من الناحية المادية ، وهي على كل حال تسقط الفرض .

بيد أن هذه الشروط مع إسقاطها المرص ، لا تكفي مطلقا هي نظر لصالحين ، وللصالحين شروط أخرى منها :

١ - غص البصر عما حرم الله تعالى ، يقول الله تعالى

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَرَكِي لَهُمْ إِنْ اللَّهُ حَبِيرٌ بَمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (٣) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْصَصْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ... ﴿ (١) .

ويقول رسول الله ﷺ

« النظره سهم مسموم من سهام إبليس لعمري الله ، فمن تركها خوف من الله آتاه عر وجل إيمانا يحب حلاوته هي قلبه » .

٢ - حفظ اللسان من لعمريه والتعصية والكذب ، وقد نهى القرآن عن كل ذلك

ويقول رسول الله ﷺ ، فيما رواه الشيخان :

« إنما الصوم حبة فإذا كان أحدكم صائما فلا يرهث ولا يسهل ، وإن امرأة قالت أو شاتمته ، فليقل إني صائم »

٣ - كتم السمع عن المحرم حتى لا يدحس فيمن قال الله تعالى فيهم : ﴿ سَمَاعُونَ لِيَكُذِبَ ﴾ (٣)

(١) البقرة ، ٢١٠ - (٢) المائدة ، ١٧

وبالجملة كف الجوارح كلها عما حرم الله تعالى .
وما من شئ في أن كف الجوارح عما حرم الله تعالى درجة أرقى من درجة
مجرد الامتناع عن الأكل والشرب والناحية الجنسية
أما الدرجة العليا في الصوم ، فإنها صوم القلب عما سوى الله تعالى .
يقول أبو سعيد الخزاز :
كل ما فاتك من الله سوى الله يسير وكل حظ لك سوى الله قليل
رمضان وقول الزور :

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ
« من لم يدع قول الزور ولمس به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه ،
وشرابه » (١) .

الزور هو الباطل ، هو اللهو ، هو العبث ، هو الإثم بجميع ألوانه .
إنه الإثم قولاً يتمثل في ، نقيية والنعيمة والكذب ، وغير ذلك من آثام اللسان
الدى قالت العرب فيه
« مصل الرجل بين فكيه » .

وهو الإثم فعلاً ويتمثل في كل ما يأتيه الإنسان من أفعال على خلاف
السنن الشرعية ، مما نهى الله سبحانه ورسوله ﷺ عنه

وإن من الأوصاف الحميلة التي مدح الله سبحانه وتعالى بها عباد الرحمن
الصادقين ، أنهم لا يشهدون الزور ، وإذا كانوا لا يشهدونه ، ولا يشاهدونه ، فإنهم
من باب أولى لا يقولونه ، ولا يفعلونه ، ولا يأتونه بوجه من الوجوه .

وأنحديث الشريف يقول صراحة لهؤلاء ، الذين ينفمسون في الزور قولاً ،
وينفمسون فيه فعلاً على خلاف ما أحب لله لعباده ، وما رضىه للمؤمنين ..

يقول تعالى لهم :

إن الله لا حاجة له في أن يدعوا طعامهم وشرايبهم ، مع إتيانهم ما نهى عنه .

(١) رواه البخاري وأبو داود ومسلم

أى أنه لا فائدة لهم من ثواب من قبله ، أو من رضى عنه ، أو من حب لهم منه ،
فإنهم أحلوا بقواعد الثواب ، ومبادئ الرضا وأسس المحبة .

ومما من شك في أن الحديث ، مع هذا دعوة قوية في توحيه المؤمنين إلى
لرجوع إلى الله ، مؤتمرين بأمره مستهينين عما بهى الله عنه . تعرضا لرصد
الإلهي ، ورجاء في قبول الصوم وكسب الثواب .

صوم يوم التشك :

عن عمر بن ياسر رضى الله عنه قال

« من صام اليوم الذى يشك فيه ، فقد عصى أبنا القاسم » .

ذكره البحري تعليقا ووصله الخمسة ، ومسححه ابن حزيمة وابن
حبان ، ١ هـ .

تعجيل الفطر :

عن سهل بن سعد رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزال الناس
بغير ما عجباوا الفطر » (١)

السحور .

عن أس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « تسحروا فإن
في السحور بركة » (٢) .

إن تأخير السحور مستحب : ذكر ذلك رسول الله ﷺ ، بيد أنه ينبغي أن
يكون السحور قبل الفجر بوقت كاف .

وإذا سيقظ السحور متأخرا ، وأدركه أذان الفجر ، والطعام في فمه ، فإن
الأحوط بالمسبة له ، أن يمسك عن الطعام إلى نهاية النهار ، ثم يقضى اليوم بعد
رمضان ، وذلك أن المؤمنين عادة يتشتون من حلول الوقت ، فيؤخرون الأذان ولو
نصف دقيقة

(١) متفق عليه

(٢) متفق عليه

ومن أفضل العباد هي رمضان ، أن يجعل الإنسان مدفع الإمساك حد
فاصلا بين إباحة الأكل والإمساك عنه .

وهو عادة ينطلق قبل الفجر بثلاث ساعة

من أكل ناسيا :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ

« من نسي وهو صائم فأكَل أو شرب فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله
وسقاه » (١) .

وللحاكم :

« من أفطر في رمضان ناسيا ، فلا قضاء عليه ولا كفارة » وهو صحيح

القوي .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال رسول الله ﷺ « من درعه (٢) نقىء
فلا قضاء عليه ، ومن استقاء فعليه القضاء » .

إذا أصبح جنبا :

عن مالك عن سمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ،
أنه سمع أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام يقول :

كنت أب وأبي عبد مروان بن الحكم ، وهو أمير المدينة ، فذكر له أن
أبا هريرة يقول

من أصبح جنبا أفطر ذلك اليوم ، فقل مروان

أقسمت عليك يا عبد الرحمن لتذهب إلى أم المؤمنين عائشة وأم سلمة ،
فتسألنهما عن ذلك !

فذهب عبد الرحمن ، وذهبت معه ، حتى دخلتا على عائشة فسلم عليها ، ثم

قال

(١) متن طيه

(٢) درعه أي غلبه

يا أم المؤمنين إنا كنا عند مروان بن الحكم ، فنذكر له أن أبا هريرة يقول
 من أصبح جنباً أفطر ذلك اليوم ، قالت عائشة :
 ليس كما قال أبو هريرة يا عبدالرحمن .
 أترغب عما كان رسول الله ﷺ يصنع ؟
 فقال عبدالرحمن : لا والله .

قالت عائشة

فاشهد على رسول الله ﷺ ، أنه كان يصبح جنباً من جماع غير احتلام ، ثم
 يصوم ذلك اليوم
 قال ثم خرجنا حتى دخلنا على أم سلمة ، فسألها عن ذلك ، فقالت مثل
 ما قالت عائشة .

قال فخرجنا حتى جئنا مروان بن الحكم ، فذكر له عبدالرحمن ما قلنا
 فقال مروان

أقسمت عليك أنا محمد لتركك ديتي ، فإنها بالباب ، فأتدھن إلى
 أبي هريرة فإنه يرضه بالعقيق ، فلتحبرنه بذلك .

فركب عبدالرحمن ، وركبت معه ، حتى أتينا أبا هريرة ، فتحدث معه
 عبدالرحمن ساعة ، ثم ذكر له ذلك ، فقال له أبو هريرة :
 « لا علم لي بذلك ، إنما أخبرني معبر » .

الاتصال الجنسي في رمضان :

إذا كان الاتصال الجنسي ليلاً ، فإن لله سبحانه وتعالى يقول ﴿ أَحَلَّ لَكُمْ
 لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثَ إِلَىٰ سَائِكُمْ ﴾

أما الاتصال الجنسي في نهار رمضان ، فإنه محرم تحريماً باتاً .
 ومن صريف ما يروى في هذا ، ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال
 جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال هلكت يا رسول الله
 قال وما أهلكك ؟

قال : وقعت على امرأتي في رمضان . فقال :

هل تجد ما تمتق رقبة ؟ قال : لا ..

قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا ..

قال : فهل تجد ما تطعم به ستين مسكينا ؟

قال : لا ، ثم جلس

فأتى النبي ﷺ بعرويه تمر ، فقال : صدق بهذا .

فقال : على أفقر منا ؟ هما بين لابتئها أهل بيت أخرج إليه منا

وضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال :

« اذهب فأطعمه أهلك » (١) .

وكمسارة الاتصال الجنسي في شهر رمضان عتق رقبة . أو صيام شهرين

متتابعين ، أو إطعام ستين مسكينا

الحكم في القبلة في رمضان :

عن مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رجلا قتل امرأته وهو

صائم ، فوجد من ذلك وجدا شديدا ، فأرسل امرأته تسأل له عن ذلك ، فحدثت

عني أم سلمة ، روج النبي ﷺ ، فذكرت ذلك لها ، فأخبرتها أم سلمة أن رسول الله

ﷺ : يقبل وهو صائم

فرحبت فأخبرت زوجها بذلك ، فزاده ذلك شرا ، وقال :

لستنا مثل رسول الله ﷺ ، يحل لرسول الله ﷺ ما شاء ، ثم رحبت امرأته

إلى أم سلمة فوجدت عندها رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ

ما بال هذه المرأة ؟

فأخبرته أم سلمة ، فقال رسول الله ﷺ

ألا أخبرتها أنني أفعل ذلك ؟

() روى الترمذي والنسائي بسند صحيح ويبدو أن رسول الله ﷺ اعتبر أهل الرمل أهلا للعسفة فكان ذلك كفارة

مقالت لقد أخبرتها ، صديقت إلى زوجها فأخبرته فزاده ذلك شرا وقال
لسا مثل رسول الله ﷺ الله يحل لرسوله ﷺ ما شاء ، فعصم رسول الله ﷺ
وقال

« والله إنني لأتقاكم له ، وأعلمكم لحوده » .

التشديد في القبلة للصائم :

عن مالك أنه بلغه أن عائشة زوج النبي ﷺ ، كانت إذا ذكرت ، أن رسول
الله ﷺ ، يقبل وهو صائم ، تقول .

وأيكم أمك لنفسه من رسول الله ﷺ ؟

قال يحيى قال مالك ، قال هشام بن عروة ، قال عروة بن الزبير « لم أر
لقصة لصائم تدعو إلى حير » .

والرأى الذي نراه هو ما رواه الإمام مالك عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن
يسار ، عن عبد الله بن عباس سئل عن القصة للصائم فأرحص فيها للشيخ ، وكرهها
للشعب .

الصيام والسفر :

عن مالك عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أنه كان يسافر في رمضان
ويسافر معه ، فيصوم عروء ويفطر نحن ، فلا يأمرنا بالصيام .

وعن حمزة بن عمرو الأسلمي ، رضى الله عنه ، قال يا رسول الله ، إنني
أحد هي قوة على الصيام في السفر فهل على جناح ؟

فقال رسول الله ﷺ « هي رحمة من الله ، فمن أخذ بها فحسن ومن أحب
الصوم فلا جناح عليه » (١) .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال

« رحمن للشيخ لكبير أن يفطر عن كل يوم مسكينا ، ولا قضاء عليه » (٢)

١ رواه مسلم وأصله في حديث عائشة بن حمزة بن عمرو سأل

(٢) رواه الدرر مطبوع والحاكم وصححه

وعن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه ، أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال
لرسول الله ﷺ : يا رسول الله !

إنى رحل أصوم ، أهأصوم فى السفر ؟

فقال له رسول الله ﷺ : « إن شئت فصم ، وإن شئت فامطر » .

وعن مالك عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، أنه قال .

سأهرب مع رسول الله ﷺ فى رمضان فلم تعب الصائم على لمطر ، ولا
المطر على الصائم .

من قدم من سفر أو أراد فى رمضان :

عن مالك ، أنه بلغه أن عمر بن الخطاب كان إذا كان فى سفر فى رمضان
فعلم أنه داخل المدينة من أول يومه دخل وهو صائم .

قال يحيى ، قال مالك من كان فى سفر فعلم أنه داخل على أهله من أول
يومه ، وطلع له الفجر ، قبل أن يدخل ، دخل وهو صائم .

قال مالك وإذا أراد أن يعرج فى رمضان فطلع له الفجر ، وهو نارصه ،
قبل أن يعرج فإنه يصوم ذلك اليوم .

قال مالك فى الرجل يقدم من سفر ، وهو ممطر ، ومراته مطرة حين
ظهرت من حيصها فى رمضان أن لروحها أن يصيبها إن شاء

الواصل فى الصيام :

روى الإمام البخارى عن أنس ، رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال

« لا تواصلوا » .

قالوا : إلك تواصل ، قال

« لست كأحد منكم ، إني أبیت اطعم وأسقى » .

وفى رواية لهذا الحديث

« إني أبیت عند ربى يطعمنى ويسقى » .

ويرشدنا هذا الحديث الشريف إلى أن الوصال فى الصيام منهى عنه

ولكن بعض الصحابة حاول الوصال ، تأسيًا برسول الله ﷺ وألح في طلب الإذن من رسول الله بذلك ، فأراد صلوات الله وسلامه عليه أن يقسو عليهم ليزدجروا ، وكان ذلك في رمضان فواصل بهم يوما ، ثم يوما ، ثم رأى الهلال فقال صلوات الله وسلامه عليه « لو تأخر - أعنى الهلال - لزدتكم » أي لواصل بهم بعد ذلك يوما ثانيا .

قال أبو هريرة : وذلك كالتكيل لهم ، ما أيوا أن ينتهوا عن الوصال .

الوصال إذن منهي عنه بهي تحريم ، إذا أضرب الإنسان ، وبهي كراهية إذا لم يصبر ، لأنه وإن لم يصبر فإنه يبعث في الإنسان فتورا عن العمل .

على أن رسول الله ﷺ ، رخص في الوصال إلى السحر .

فعنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال :

« لا تواصلوا فأياكم أراد أن يواصل فليواصل حتى (السحر) أي إلى ما قبل المحر بوقت كاف لتناول الطعام والشرب .

يؤخذ من ذلك . أن الوصال ، خاص بالرسول ، صلوات الله وسلامه عليه .

وإن الترخيص بالوصال إنما هو إلى السحر فقط .

وأن بعض الصحابة ، رصوا الله عليهم كانوا يودون أن يواصلوا وبكهم عدلوا عن ذلك اتباعا لأمره صلوات الله عليه وسلامه .

وأما لطريقة المثلى فإنها تمجيل الصطر ، وتأخير السحور كما ورد عن رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه من قوله

« لا تزال أمتي يحير ما عجلوا الفطور وأخروا السحور »

والإنسان يمكنه بالرياسة أن يواصل ثلاثة أيام ولكن ذلك هي الإسلام حرام

سنة أيام من شوال :

عن ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ قال

« من صام ستة أيام بعد المصّر كان تمام السنة » .

﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ (١) .

رواه ابن ماجه والنسائي ولفظه

« جعل الله الحسنة بعشر أمثالها ، فشهرا بعشرة أشهر ، وصيام سنة أيام بعد المطر تمام السنة » .

واس خزيمة في صحيحه ولفظه : وهو رواية النسائي . قال

صيام شهر رمضان بعشرة أشهر . وصيام سنة أيام بشهرين ، فذلك صيام السنة . وابن حبان في صحيحه ولفظه .

« من صام رمضان وستا من شول فقد صام السنة » .

رواه أحمد والبربر والطبراني من حديث جابر بن عبد الله .

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ قال

« من مات وعليه صيام ، صام عنه وليه » (٢)

وقال يحيى .

« سمعت مالكا يقول فيمن فارق قضاء رمضان : فليس عليه إعادة ، وذلك

مجزئ عنه ، وأحب ذلك إلي أن يتابعه » .

ما يتحلى به الصائم من سلوك :

يتحد بعض الناس الصوم تعلقة يتعللون بها ، في أنواع من السلوك لا يحب

الله ورسوله .

منها صيق الخلق الذي يتمثل في الغضب ، هيتشاحن الموظف مع زملائه

والعامل في عمله ، ورب الأسرة في أسرته ، وهو خلق يبعثه الله ورسوله

وهو طلب رجل النصيحة مرة من رسول الله ﷺ فقال له

« لا تعصب » .

وإن من آثار الصوم لصحيح الصبر . من إن لصوم يصبه نوع من الصبر .

بل هو بصف الصبر على حد تعبير رسول الله ﷺ

(١) الاسام ١٦ . (٢) متفق عليه

فإذا لم يتحل الإنسان بالصبر ، هي رمضان ، فإن هي صيامه حلالا
والصائم الصائق فزح بصومه ، متماثل به راح به المعصره
فإذا تفاعل الصائم بصومه ، ورجا به المعصرة من له ، تحلى بحسن الخلق ،
وبمكارم الأخلاق ، وقد قال رسول الله ﷺ
« إنما بعثت لأنعم مكارم الأخلاق » .

بعض ما لا يفطر الصائم

يقول النبي ﷺ

« إذا توضأ فبمشتشق بمحره الماء » ولم يميز بين الصائم وغيره

وقال الحسن

لا بأس بالسقوط بصائم إن لم يصل إلى حلقه ويكتحل »

وقال عطاء :

« إن تمضمض ، ثم أفرغ ما في فيه من الماء ، لا يصره إن لم يردد ريقه ،
وماذا بقي في فيه ، ولا يمضغ الملك ، فإذا اردرد ريق العلف ، لا أقول إنه يفطر ،
ولكن يهي عنه ، فإذا استنثر ، فدخل الماء في حلقه لا بأس إن لم يملك »

وقال عطاء

« إن استنثر ، فدخل الماء في حلقه ، لا بأس إن لم يملك »

وقال الحسن

« إن دخل حلقه الدباب ، فلا شيء عليه »

ويعسل الصائم .

وبل ابن عمر ، رضى الله عنهما ثوبا فألقاه عليه وهو صائم . ودخل الشعبى
الحمام وهو صائم .

وقال ابن عباس . لا بأس أن يتطعم ^(١) القدر أو الشيء .

(١) يتدوفه من غير أن يبتامه

وقال الحسن

لا بأس بالضمصة ، واستبرد للصائم

وقال ابن مسعود

إذا كان صوم أحدكم ، فليصيح دهيئا مترجلا

وقال أسد :

إن لي أسرا (يشبه البانيو للاستحمام) أتقحم فيه وأد صائم

ويذكر عن النبي ﷺ ، أنه استاك وهو صائم .

وقال ابن عمر

يستاك أول النهار وآخره ، ولا يبلغ ريقه

وقال عصام :

إذا ازدرد ريقه ، لا أقول يمطر .

وقال ابن سيرين

لا بأس بالسواك الرطب ، قيل له طعم ؟

قال . والماء له طعم ، وأنت تتضمض به ؟

ولم ير أسد و لحسن ، وإبراهيم نالكحل للصائم بأسا

شهر رمضان وليلة القدر

وفي هذا الشهر المبارك أنزل القرآن الكريم ، يمول سبحانه

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾

ويقول سبحانه :

﴿ إِنَّمَا أُنْزِلَتْ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَذْرَاكَ مِنَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ حَبِيرٌ مِّنْ لِّفْ شَهْرِ

(٣) تَرَى الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) ﴾

كيف أنزل القرآن الكريم ؟

إن وثيقة مرسدة هي العالم كله ، لا مثيل لها هي تراث الإنسانية تحدثنا عن هذه الكيفية .

ونسمي بذلك «الحديث الشريف الذي رواه الإمام البخاري ، وروته كتب السنة من كيفية بدء الوحي

يهول الإمام البخاري بصر الله وجهه :

حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة ابن الربيع ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت

« أول ما بدئ به رسول الله ﷺ ، من الوحي ، الرؤيا الصالحة هي اليوم فإنه لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

ثم حيب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتروّد لذلك ، ثم يرجع إلى حديجة ، فيترود لمثلها حتى جاءه الحق ، وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال

اقرأ !!

قال : ما أنا بقارئ .

قال فأخذني فغطى حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال

اقرأ !!

قلت : ما أنا بقارئ

فأخذني فغطى الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال

اقرأ !!

فقلت : ما أنا بقارئ .

فأخذني ، فغطنى الثالثة ، ثم أرسلني فقال :

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق (١) خلق الإنسان من علق (٢) اقرأ وربك الأكرم (٣) ﴾

فرجع بها رسول الله ﷺ ، يرحف فؤاده ، فدخل على خديجه بنت حويد
رضى الله عنها فقال :

رملوني رملوني فرملوه حتى ذهب عنه الروح ، فقال لخديجة وأحبرها
الخبر ، لقد خشيت على نفسي
فقالت خديجة :

« كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب
المعдум ، وتقري الصعيف ، وتعين على نوائب الحق » .

فاطلقت به خديجة ، حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، ابن
عم خديجة ، وكان امرأ تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب
من الإنجيل بالعبرانية ، ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيعا كبيرا ، فدعاه
فقالت له خديجة

يا ابن عم اسمع من ابن أخيك

فقال له ورقة :

يا ابن أخى ، ماذا ترى ؟

فأحيره رسول الله ﷺ ، خبره رأى .

فقال له ورقة .

هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ياليتنى فيها جدد ، لىسى آكون
حيا إذ يعرجك قومك .

فقال رسول الله ﷺ :

أو محرجى هم ؟

قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركنى
يومك أنصرك نصرا مؤزرا .

إن هذا الحديث لأشرف بوضع كيفية نزول الوحي

ولقد سمى القرآن الليلة التي نزل فيها القرآن : ليلة القدر ، أي ليلة أشرف
والرفعة ووصفها بأنها مباركة ، يقول الله تعالى .

﴿ يَا أَرْثَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴾ (٣) فِيهَا يَقْرَأُ كُلُّ أَمْرِ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ بِهِ هُوَ لَسْمِيعٌ أَعْمِمْ (٦) ﴿ (١)

ومما دام القرآن الكريم قد أنزل في ليلة القدر ، وأنه سبحانه قد أنزله في شهر رمضان ، فإنه بتعيين أن تكون ليلة القدر هي شهر رمضان

ويتساءل الناس : أي ليلة هي في شهر رمضان ؟

وإدنا نظريا إلى القرآن الكريم ، فإنما حدد أنه لم يحدد في ولم يحدد في الرسول ﷺ تحديدا تاما ، وإنما حسدها على التقريب ، فإنه صلوات الله عليه وسلامه ، يقول فيها رواء بحاري ومسلم رضى الله عنهما

« تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر » أي في العشر الأواخر من رمضان ونحروا أي طليبوها بجد في العبادة ، ثم يقرب الرسول ﷺ الأمر أكثر من ذلك فيقول فيما رواء الإمام البخاري

« بحروا ليلة القدر في الوبر من العشر الأواخر من رمضان »

ولقد رأها كثير من الصحابة في السبع الأواخر من رمضان ويحددها أبي بن كعب ، وبن عباس رضى الله عنهما ، وكثير غيرهما ، بأنها ليلة السابع والعشرين .

عن زر بن حبیش قال : سألت أبي بن كعب فقلت

إن أخاك ابن مسعود يقول .

« من يقيم الحول يصب ليلة القدر » فقال رحمه الله « أراد أن لا يتكل الناس » .

أما إنه قد علم أنها في رمضان ، وأنها في العشر الأواخر ، وأنها ليلة سبع وعشرين ، لم حسب لا يستثنى أنها ليلة سبع وعشرين . فقلت

بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر ؟

قال « بالعلامة - و بالآية التي أخبرنا عنها رسول الله ﷺ أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها » (٢)

(٢) رواء مسلم

(١) الدخان ٢ - ٦

وعن أبي سعيد الخدري ، أن رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان
ثم اعتكف العشر الأوسط في قبة تركية ، ثم أطلع رأسه فقال
إني اعتكف العشر الأول انتمس هذه الليلة ، ثم اعتكف العشر الأوسط ، ثم
أتيت فقيل لي :

إنها هي العشر الأواخر ، فمن كان امتكف معي فيعتكف العشر الأواخر .
فقد أريت هذه الليلة . ثم أنسيتها ، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين من صبيحتها ،
فالتمسوها في العشر الأواخر ، وانتمسوها في كل وتر .

قال فمطرت السماء تلك ليلة وكان لمسجد على عريش ، فوقه
لمسجد ، فصبرت عبيد رسول الله ﷺ ، وعلى جبهته أثر الماء والطين من صبيحه
إحدى وعشرين .

متفق عليه في المعنى . واللفظ لمسلم إلى قوله « فقيل لي إنها هي العشر
الأواخر » والباقي للبخاري .

على أن المحاولات في سبيل تحديد ليلة القدر كثيرة وطريقة
منها مثلاً ما قال بعضهم من أن عدد كلمات سورة القدر ثلاثون كلمة
كعدد أيام رمضان ، وكلمته « هي » التي تشير إلى ليلة القدر في قوله تعالى في
السورة بصيها « سلام هي » هذه الكلمة تمام سبعة وعشرين هذه محاولة .
ومحاولة أخرى هي

أن حروف ليلة القدر تسعة حروف ، وقد ذكرت ليلة القدر في السورة ثلاث
مرات ، وثلاثة في تسع ، بسبع وعشرين .

أما الشيخ أحمد ريق رضي الله تعالى عنه فإنه يقول فيها
إنها لا تفارق ليلة جمعة من أوتار آخر الشهر . وقد روى هذا أيضا عن ابن
العربي .

هذه محاولات ، أم الثابت اليقين ، هو ، أن القرآن لم يبينها تعييناً و صراحة ،
وأن الرسول ﷺ ، لم يحددها تحديداً تاماً .

وقد قال أسلافنا رضي الله عنهم
أحصى الرب أمورا في أمور لحكم .
لينة القبر هي الليالي لتحيى جميعها ،
وساعة الإجابة في الجمعة ، ليدعوا في جميعها ،
والصلاة الوسطى في الصلوات ليحافظ على الكل ،
والاسم الأعظم في أسمائه ليدعى بالجميع .
ورصاه في طاعته ، ليحرص العبد على جميع الطاعات .
وعصبه في معاصيه ، لينزجر عن الكل ،
والولي في المؤمنين ليحصى الظن بكل منهم ،
ومجىء الساعة في الأوقات ، للخوف منها دائما ،
وأجل الإنسان عنه ، ليكون دائما على أهبة
ويعقب شيخ أحمد الصاوي على ذلك في حاشيته ، على الحلالين فيقول
فعلى هذا يحصل ثوابها لمن قامها ولو لم يعلمها نعم العالم بها أكمل
هذا الأظهر .

أما فصلها فإنه مثل صخر ، هي فيها نزل القرآن هدى للناس ، وبيئات من
لهدى والفرقان .

ومعنى نزول القرآن ، نزول رسالة الرحمة العامة ، الرحمة بكل العوالم ، فإن
الله سبحانه وتعالى قد حدد سبب لرسالة الإسلامية ، وحدد أساسها ، وحدد
غايتها ، وهدفها بأنه الرحمة يقول تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٧) ﴿ (١)
ويقول سبحانه

﴿ حَمْدٌ ۝ وَٱلْكِتَآبُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (٢) إِنَّا أَرْسَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُدْرِيسِينَ ﴿٤﴾ فَبِمَا
يُفَرِّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٥﴾ أَمْأَرْنَا مَنْ عِنْدَنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٦﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٧﴾ .

(١) الأنبياء ١٢ ، (٢) الدخان ١ - ٦ .

ثم إنه تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم .

عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :

إذا كان ليلة القدر نزل جبريل (عليه السلام) في كنيكة من الملائكة ، يصلون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل ، فإذا كان يوم عيدهم ، يعنى يوم فطرهم - ياهى بهم ملائكته ، فقال .

يا ملائكتى ! ما جراء أجير وهى عنده ؟ قالوا .

ربنا ، جراؤه أن يوفى أجره . قال

ملائكتى ، عبيدى وإمائى قصوا فريضتى عليهم ، ثم حرجوا يعجون إلى بالدعاء ، وعزتى وحلالى ، وكرمى ، وعلوى ، وارتفاع مكائى لأجيبنهم ، فيقول أرجعوا فقد غصرت لكم ، ويدلت سيئاتكم حسنات . قال فيرجعون معمورا لهم^(١) .

ثم هى سلام من أولها حتى مطلع الفجر ﴿ سلامٌ هى حتى مطلع الفجر ﴾

ومن أجل ذلك كانت خيرا من ألف شهر .

والألف شهر هى . ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر ، وذلك عادة عمر الإنسان ، فهى خير من عمر الإنسان ، من عمر كل إنسان : هى الماضى وهى المستقبل ، أى أنها خير من الدهر .

ومن حصل الله سبحانه وتعالى على المسلمين ، أن من قامها ، إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه .

وهى فضلها يروى الأحاديث التالية :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :

دخل رمضان فقال رسول الله ﷺ :

« إن هذا الشهر قد حضركم ، وهى ليلة خير من ألف شهر من حرمها فقد حرم خير كله ، ولا يحرم خيرها إلا محروم »^(٢) .

(١) رواد البيهقي فى « شعب الإيمان »

(٢) رواد ابن ماجه ، وإسناده حسن إن شاء الله تعالى .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ
« من قام ليلة لقدر إيماناً واحتساباً عمر له ما تقدم من ذنبه »^(١)

وتقدم في رواية لمسلم قال

« من يقيم ليلة قيومتها - ورأه قال - إيماناً واحتساباً - عُمر له ما تقدم من
ذنبه »

وروى أحمد عن طريق عبد الله بن محمد بن عميل عن عمرو بن عبد الرحمن
عن عبادة بن الصامت قال

أحسبنا رسول الله ﷺ عن ليلة القدر قال :

« هي في شهر رمضان في العشر الأواخر ليلة إحدى وعشرين أو ثلاث
وعشرين ، أو خمس وعشرين ، أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين ، أو آخر ليلة من
رمضان ، من قامها إيماناً واحتساباً عُمر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر »^(٢)

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال

« من قام ليلة لقدر إيماناً واحتساباً ، عُمر له ما تقدم من ذنبه ومن صام
رمضان إيماناً واحتساباً عُمر له ما تقدم من ذنبه »^(٣) .

يقول الإمام الصاوي في حاشيته على الجلالين :

« وأحسن ما يدعى به في تلك الليلة العمود والعافية كما ورد ،

ويسمى لمن شق عليه طول القيام ، أن يتحير ما ورد في قراءته ، كثرة
ثواب: كآية الكرسي

فقد ورد أنها أفضل آية في القرآن .

وكأواخر البقرة لما ورد « من قام بهما في ليلة كفتاه »

وكسوره ﴿ إِذَا زُلْزِلَتْ ﴾ لما ورد أنها تعدل نصف القرآن

(١) أخرجه في الصحيحين

(٢) أي من صليت توبته فيها واستقام على العبادة ولم يكت بهمة مع أنه سبحانه العهد الذي أئتمه في توبته

الصادقة التصريح بأن يستقيم ويحقق « قل تمت بالله ثم استقم » عمر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْنَدُ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ مُفْتَضَرًّا

وكسورة ﴿ الكافرون ﴾ لما ورد : أنها تعدل ربع القرآن
ولإخلاص تعدل ثلثه .

ويس ، لما ورد : أنها قلب القرآن ، وأنها لما قرئت له .

ويكثر من الاستغفار ، والتمسيح والتصميم ، والتهليل ، وأمواع الذكر ،
والصلاة على النبي ﷺ .

ويدعو بما أحب لنفسه ، ولأحبابه ، أحياء وأمواتا .

ويتصدق بما تيسر له .

ويحفظ جوارحه عن المعاصي .

ويكفي في قيامها صلاة العشاء والمصباح في جماعة

ورود : من صلى المغرب والعشاء في جماعة ، فقد أخذ بحفظ وأمر من ليلة
القدر .

ورود من صلى العشاء في جماعة ، فكأنما هبم شطر الليل ، فإذا صلى
الصبح في جماعة ، فكأنما هبم شطره الآخر

وقد ورد : من قال لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحن الله رب السموات
السبع ، ورب العرش العظيم ، ثلاث مرات ، كان كمن أدرك ليلة القدر^(١) ، فيتبع
الإتيان بذلك كل ليلة .

هل هي حقا ليلة تفتح فيها أبواب السماء لإجابة الدعاء ؟

نعم ، ولا ريب ، إنها ليلة تفتح فيها أبواب السماء لإجابة الدعاء للموعددين .

والموعدون هم الذين استجابوا لله سبحانه وتعالى ، واستجاب الله بهم ، هم

الذين ستقاموا كما أمروا هم الذين أسسموا وحوفهم إليه فتكمل بهم

إن هؤلاء إذا سألوا لله أعطاهم ، وإذا استعاضوا به أعادهم ، ورب أشعث

غير لو أقسم على الله لأبره .

(١) إن هذا وما يشبهه مما ورد في قرآن لا إله إلا الله مثلا إنما يراد منه المول من إخلاص ، بحيث يخرج صادقاً

من حقائق القلب ، وبحيث يكون فيه استقامة الموحيد ، صادق الذي لا يدع في القلب مجالاً للشرك أو الزهارة

أو للانتماس فلهما حزم الله ، وإذا ما خرجت هذه الكلمات عن هذا الوصف ظانها تكون لهالي قدر يقطن الله

تعالى

الاعتكاف وثيلة القدر

ومن وسائل التأهيل لليلة لقدر : الاعتكاف

وسنة الاعتكاف أن يبدأ الذي عزم على الاعتكاف ، اعتكافه بعد صلاة الفجر مباشرة .

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت

« كان رسول الله ﷺ ، إذا دخل العشر (أى العشر الأخيرة من رمضان) شد مئزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله » (١) .

وهي رواية لمسلم

« كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره » .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت :

« كان رسول الله ﷺ ، إذا أراد أن يعتكف ، صلى الصحر ، ثم دخل في معتكفه » (٢)

وتوضح السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها سلوك المعتكف فتقول

« السنة على المعتكف ، أن لا يعود مريضا ، ولا يشهد جنازة ، ولا يمس المرأة ، ولا يباشرها ، ولا يخرج لحاجة إلا لما لابد منه . ولا اعتكاف إلا بصوم ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع » (٣) .

والمعتكف يستعد للاعتكاف بالمرأش ، ولعطاء ، وبما يلزمه . عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ « أنه كان إذا اعتكف طرح له فراشه ، أو يوضع له سريرته ور ، استطوانة التوبة » (٤) .

ويعد :

فمن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت صاحب هذا القبر يقول

(١) متفق عليه

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه -

(٣) رواه أبو داود

(٤) رواه ابن ماجه

« من مشى في حاجة أحبه ، وبلغ فيها (أى حتى قصى له أمره) كان حير
له من اعتكاف عشر سنين .

ومن اعتكف يوماً انتفاء وجه الله تعالى ، جعل الله بينه وبين ليل ثلاث
خنادق أبعد مما بين الخافقين » (١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال في المعتكف .

« هو يعكف الذنوب ، ويجري له من الحسنات كعامل الحسنات كلها » (٢)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت .

« قلت يا رسول الله ، أرايت إن علمت أي ليلة ، ليلة القدر ، ما أقول فيها؟
قال قولي : اللهم إني أعوذ بك من أن لا أعرفها ، ومن أن لا أتذكرها » (٣) .

ليلة القدر إيجاز ، وتلخيص ، وتفصيل

يقول الله تعالى

﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾

ويقول سبحانه

﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ .

وليلة القدر إذن - هي هي شهر رمضان ، أحدا من هذه النصوص الكريمة .

ويخبر سبحانه ، عن هذه الليلة : أنها خير من ألف شهر ، إذ تنزل الملائكة
والروح فيها ، بإذن ربهم من كل أمر .

وهي فضلا عن ذلك : سلام يستمر من غروب الشمس حتى مطلع فجر .

(١) رواه الحاكم وصححه

(٢) أى أو المعتكف قد اتحد الأسباب بالاعتكاف ليعطى بمسح من الذنوب فيكتب الله تعالى له من الثواب ما يماثل

ثواب فاعل الطاعات كلها وذلك أنه رغب نفسه في بيت الله على طاعة الله تعالى

(٣) رواه أحمد ، وابن ماجه ، و ترمذى وصححه

ومن أجل هذا لمصل العظيم ، كان رسول الله ﷺ ، يستعد لها بالعبادة ، ويهيئ الحو الروحي المناسب لمرور الملائكة والروح ، والمناسب للسلام العقلي ، الذي هو ثمرة النوبة ، والإبانة و تقوى ، والذي هو طمأنينة النفس إلى الله ، فيحاط بها سبحانه خطايا تمهده -

يا أيُّها انصس المصمئة ، ارجعى إلى ربك فى هذه الدنيا وفى الآخرة -
راضية عن الله ، مرضية معه هادخلى فى عبادى عاجلا - وادخلى جننى
آجلا .

وكانت التهيئة التي يقوم بها ، ﷺ ، استعدادا شروق نور هذه الليلة الشريفة ، إنما هي الاعتكاف .

كان ﷺ يعتكف عادة في العشر الأواخر من رمضان فيدخل المسجد قبل غروب شمس اليوم العشرين من الشهر المبارك يدخل متفرغاً للعبادة ، متجهاً إلى الله بك ، كإياه .

وما من شك في أن الاعتكاف في المسجد ، يهيئ الجو لجمع الحواضر ،
ويهيئ الصفاء القلبي ، فينصرغ الإنسان لطاعة ، مشبها بالملائكة ، ويتعرض بذلك
لليلة القدر .

وقد كان ﷺ يحث لصحابة على هذا الاعتكاف ، ويشجعهم عليه ، لتماما لمرضاة الله ، وتعرضا لاشراق ليلة القدر .

وهي ليلة يكون فيها انتشار الروحانية بقراءة القرآن و الصلاة والتذكر ، وتتل
فيها الملائكة طائفة بالذكريين مستعمرة لهم ، ومصلية عليهم . مباشرة لهم

عن أسس رضى الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال

« إذا كان ليلة القدر ، نزل حبريل في كعبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد هائم أو قاعد ، يذكر الله تعالى » .

ويقول الله سبحانه وتعالى

﴿إِنَّ اللَّهَ ثُمَّ اسْتَقَامَ تَسْرِعُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَحَابُّوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾

وَأَبَشَرُوا بِأَنْجَةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣) عَنْ أَوْلِيَائِكُمْ هِيَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَنُكْمٌ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا سَدُّونَ (٤) نَزْلًا مِنْ عَذْرٍ رَجِيمٍ ﴿١﴾ .

إن أنوار المؤمنين المتبطلين في تلك الليلة ، تتلألأ متعاكسة فيما بينهم ، وتمتدح فتحدث بلألأها الأرواح الملائكية ، فتقترب من المتعبدين فتريد في الصفاء ، هيكون اشتراج الصدر ووصع الأورار التي تنقض الظهور ، ويكون غسل القلب بالماء والثلج والبرد ، وتتوهر بكل ذلك وسائل التعرض لمحات الله .

« إن لربكم في أيام دهركم نفحات ، ألا فتعرضوا لها » .

وليلة القدر من لمحات الله التي يستجاب فيها الدعاء وتعصر الدروب للتائبين المنيبين ، وهي في أوتار العشر لأواخر من رمضان .

يقول ﷺ فيما رواه الإمام البخاري رضي الله عنه

« تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان »

وكان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر لأواخر من رمضان أحيا الليل كله ، وأيقظ أهله ، وجد وشد المنبر

ولكن أي ليلة هي ؟

لقد أحياها الله سبحانه لحكمة هي إحياء عدد من الليالي هي طاعة الله التماس لها ، أما هذا الذي وهبه الله لتوفيق ، فأحيائها ملتصبا مرضاة الله ، فإن لله بقدر له ما تقدم من دسه .

يقول ﷺ ، فيما رواه الإمام البخاري رضي الله تعالى عنه

« من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا عزر له ما تقدم من ذنبه » .

وبعد

فقد روى الإمام الترمذي ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت

« قلت يا رسول الله ، أرأيت إن علمت أي ليلة ، ليلة القدر ما أقول فيها ؟

قال ﷺ قلبي اللهم إنك عفو تحب العفو ، فاعف عني » .

(١) سررة خضت : ٣١ ، ٣٢

الحج

الحج والاستطاعة

يقول الله تعالى في كتابه الكريم

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَسَ فِيهِمْ لَحِيجًا فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقًا وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ حَيْرٍ يَسُمُّهُ اللَّهُ نَزْوَذَرًا قَدْ حَيَّرَ أَبْرَدَ لَتَقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١﴾

وأشهر الحج هذه إما هي شوال ، ودو القعدة ، ودو الحجة ، وهي أشهر الحج عزما وراة ، وهي أشهره تنميذا وتحقيقا .

والحج هو أحد أركان الإسلام الخمسة ، وهو تعامها ، وقد فرض على كل مسلم ومسلمة مرة في العمر عند الاستطاعة .

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴿٢﴾ .

أما هذه الاستطاعة فإن أمرها ، هي الواقع الصعيق ، سهل ميسر في زماننا نراهن ، فسيل ابواصيلات مريحة ، والأمن مستتب ، والنمقات ليست من الكثرة بحيث تعجز ، إنها عند العزم المصمم ، لا تلبث أن توحده في يسر يسى .

وإنه إذا لم يجد الخائف ، أن يتعلل الإنسان بالاستطاعة فإن هذه الاستطاعة تتبع حرارة الإيمان ارتفادها أو سحاصا ، والناس في الأصعب الأعم مستطيعون قادرون ، ولكن الأمل في امتداد العمر ، والافئامن في همرات المادة ولاستقراق في شئون الدنيا ، يجعل الإنسان - وهو مستطيع - يهمل ويهمل حتى تنتهي به الحياة وفي مثل ذلك يقول سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وطاووس ، رضى الله عنهم

« لو علمت رجلا عيا وجب عليه الحج ، ثم مات قبل أن يحج ما صليت عليه »

(١) البقرة ١٩٧ . (٢) آل عمران ٩٧ .

العيد الكبير

فى يوم من الأيام اسدعى سيدنا إبراهيم عليه السلام ، ابنه ليسير معه قليلا ، وبينما هما سائران خاطبه فى صراحة قائلا

﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ (١)

فى هذا الإقليم الذى كانت الوالدة الحنون تسمى فيه محزونة حيرى مشمقة، تبحث عن قطرات من الماء تحمى بها نفس العلام - الذى كان طفلا إذ ذاك ، حتى لا يموت بين يديها ظمأ ...

فى هذا الإقليم الذى أنفد الله الطفل وأمه فيه ، ففصر الماء نسا صاهيا هشرب الطفل ، وشربت أمه وحمدت الله وشكرته ، فى هذا الإقليم حاولت الأم جاهدة أن تحمى ابنها ، وهى هذا الإقليم نفسه حاول الأب دبحه استجابة للنداء فى الرؤيا

سبحانك ربى !! أتقده صغير وتستقيه قرة عين والديه ، حتى إذا تعلمت صحبته فى القنوب وعمرت كيان والديه ، تأمر بدبحه !! أشد ما يكون لوالدان حرصا عليه ومحبة له ١٩

وما دبح هذا العلام البريء ٢٥

وما دبح أمه ١٥

وماذا جرى ولده حتى يحتطف منه وقد أتاها على كسر ، وبشر به من لسان الله ، بشر به مع وصفه بالحجم ، والحجم سيد الأخلق ، فقال تعالى عنه ﴿ فَبَشِّرْهُ بِالْعَاقِبَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (٢)

إن حكمة الله فوق كل حكمة ، وتقديره سبحانه ، فوق كل تقدير ، وما ذلك لأمر فى الرؤيا إلا سنة من سنة ، سبحانه ، فى التربية يخص بها الدين اصطمى من عباده ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ ﴾ (٣)

وهذا الاصطماء يقتضى صفاء وتصفية وإسلاما كاملا لله سبحانه ، ولقد أسلم إبراهيم عليه السلام بنفسه وقلبه ، وجميع كيانه ، لله سبحانه ، ونجح نجاحا

(١) الصافات ١٠٢

(٢) الصافات ١٠١

(٣) آل عمران ٣٣

كاملا فيما امتحنه الله به : من ألا يشرك مع الله أحدا في الحب ، حتى ولو كان ابنه ، حتى لو كان هذا الابن قد أتى على لهفة وشوق إليه .

ها هو ذا يضرده الله بالمحبة ، ويستعد للتضحية بابنه لا يتردد ، ولا يتباطأ وإذا كان قد قال لابنه ﴿ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ (١)

عما كان ذلك تحييزا للابن ، وإنما هو رغبة من الشيخ المؤمن في أن يستجيب ابنه طوعا لا كرها ، فيكون الثواب والجزاء الحسن ، لقد استجاب الشيخ وأسلم وجهه لله ، فكان بذلك مسلما ، فما موقف الابن ؟

لقد حقق لابن أمل ولده ، فأجاب في غير تردد ولا تباطؤ .
﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ مَا تَأْمُرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢) .

لقد أسلم الابن ، أسلم وجهه لله ، طمعت في رضائه ، وأحب رضاء الله ، هوق حبه لنفسه وللحياة الدنيا بأسرها . فلما سلما إسلاما حالصا صاهيا مطلقا جاء الفداء من الله سبحانه ، فناداه أن .

﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ (٣) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤) ﴾ (٣)

هذا الإسلام منهما إنما هو لله سبحانه وتعالى وحده هذا هو الإسلام الذي استتبع الهدى ، هذا هو الإسلام الذي يستتبع حتما لعداء في كل عصر ، وفي كل عصر ، هذا الإسلام الذي يستظل فيه لإنسان بصورة كلية تحت الراية الإلهية فيكون في حماية لله ، ورعايته وعنايته هو الذي يسجل بعمل نديح فيه الدبائح ، يأكل منها ثمنش والمقير ، وتصنع منها موائد شهية تقدم للأكلين شكرا لله على هذه الهدية وهذا التوفيق الذي كانت نتيجته « الإسلام »

إن هذا الدين الذي كمل في طلب فعمره بالور ، وهذه النعمة بتي أتمها الله ، وهذا الإسلام الذي رصيه سبحانه .. إن كل ذلك لابد له من عيد ، بل أعياد تعبر عن الشكر وعن الحمد ، وبمقدار هرب الإنسان من معنى الإسلام يكون عبده الأكبر .

ولكل إنسان عيده بمقدار إخلاصه لله تعالى ، وحشيتته منه ، وخصوعه له ، وعبوديته الصافية أو المشوبة .

(١) الصفحات ١٢ (٢) الصفحات ١٠٢ (٣) الصفحات ١٠٥

ما هي الوسيلة الكبرى التي تنتهي بنا إلى العيد الأكبر ؟

إن من بين الوسائل الكثيرة التي بينها الله تعالى لتنتهي بالإنسان إلى الإسلام .. ثم إلى الصبر - إن أسم حقا - وسيلة كبرى هي : « الحج » .

وما من شك في أن العيد هو أولا وبالذات ، لحجاج بيت الله الكرام ، وهو على الخصوص لمن أسم - هي الحج - إسلاما صحيحا منهم ، ويمقدار تصحيح الدين ، وتصحيح الإسلام : يكون العيد .

وإذ كانت الأمة الإسلامية كلها ، تحتفل فرحا بعيدها ، فمن ذلك إنما هو حتمال بهذه النخبة النادرة القليلة ، التي كمل دينها ، وتمت نعمة الله عليها ، وغمرها نور الإسلام .

أما هذه الوسيلة الكبرى للإسلام الخالص ، وبالتالي للعيد أعنى الحج فإنها تبدأ أول ما تبدأ بالتوبة النصوح تصادقة ، ودعاء الله أن يجعل حجه خالصا لوجهه الكريم ، ومنذ هذه اللحظة يقطع صلته بالمأوى الآثم ليبدأ مستقبلا صالحا كريما . وتبدأ شعائر الله في الحج بالإحرام ، فيغتسل الإنسان ، ويوى غسل الإحرام ، ويتم له بذلك الاغتسال الباطني بالتوبة النصوح ، والاعتسال الظاهري أنه أصبح من المتطهرين ، وتثبتا لذلك ، علامة على انقطاع صلته بالمأوى وتجردا إلى الله يمارق الثياب المخيطة ، ويلبس ثياب الإحرام ، بيضاء ناصعة ، ثم ينوي « الإحرام بالحج » ومعنى ذلك أنه أصبح خالص لله ، مستجيبا إلى ندائه لكريم بأن لا يتجه إلى سواه ، فيطوق قؤوده ، وتنتطق حرارحه

« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .

ها هو ذا الآن قد لبي . أي استجاب لله ، ونفى الشريك عنه ، سبحانه ، وقصر الحمد عليه واستقر في كيانه أن ما به من نعمة فمن الله ، وأن الملك كله لله ، والدنيا والآخرة ملك والملوك به سبحانه ، لا شريك له

هذه التلبية هي شعاره الدائم ، هي سنته المستقرة ، يطق بها إذا صعد ، ويطلق بها إذا هبط ويطلق بها إذا ركب ، ويطلق بها إذا نزل ، بها ذكره في كل لحظة ، فصيح بذلك بقينا دائما .

حتى إذا ما انتهت به الأسفار إلى بيت الله الحرام ، ودخل المسجد قبل هذه الكلمات التي تعبر عن التلبية بصورة أخرى وهي :

« بسم الله ، وبالله ، ومن الله ، وإلى الله ، وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ﷺ » .

وببدأ الطواف بيسم الله والله أكبر .

ها هو ذا يطوف بالبيت راجيا أن يندل نظرة من رب البيت، لعل الباب يفتح، لعل الأستار ترتفع ، لعل الأضعة تتكشف فتزول ، لعل نسيمات لرحمة تهب لعل رب البيت يأذن بالسحول ، لعل الرضاء الكريم يعصر الأجواء والأفاق ، لعل الله يتقبل

﴿ رَبِّ انِّمِ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَدْ عَذَابُ النَّارِ ۖ ﴾ (١) .

وببدأ السعى بين الصفا والمروة ، يبدأ بسم الله ، والله أكبر ، إنه يسعى امتثالاً لأمر الله ، ويسعى وهو متذكر تلك السيدة الكريمة ، التي كانت تسعى في طلب الماء رحمة باسمها : (إنه يسعى طلباً للنفع الصافى الذى يتفجر من قلبه رحمة وإحلاصاً إنه يسعى ليشرب من الكأس التي يشرب منها الأبرار ، إنه يسعى ليشرب من العين التي يشرب بها عباد الله ، إنه يسعى فيمتلئ قلبه بالرحمة، فيجد العين لصافية التي وحدها كل من حقق هدف لرسالة المحمدية .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۖ ﴾ (٢) .

ويجدها كل من قبل هدية الله إلى لعالم ، وهدية الله إلى العالم إنه هي سيدنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، ورحمته وبركاته ، فقد قال

« إنما أنا رحمة مهداة »

إنه صلوات الله وسلامه عليه ، يمتزج بهذه الصفة الكريمة فيكون معها وحدة ، فهو رحمة مهداة قبلها من قبلها ، فمماز هي الدنيا والآخرة .

﴿ رَبِّدَا آتَانَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَتَّىٰ لَنَا مِمَّا أَمَرْنَا بِهٖ ۖ ﴾ (٣) .

والحج عرفة ، كما يقوى ، صلوات الله وسلامه عليه ، وفي عرفة تجتمع الأرواح وقد تزكت بالثوبة والإحرام والطواف والسعى فتعنه إلى الله في صراعة

(١) البقرة ٢٠١ . (٢) الأنبياء ١٠٧ . (٣) الكهف ١٠

وتدعوه ، سبحانه ، في خمبوع وتقف شاحسة ببصرها إلى السماء في حشوع .
طالبة من الله الرحمة العامة لشاملة . واربحة الحاصة المسجبة

﴿ إن ربى قريب مجيب ﴾ ﴿ إن ربى رحيم ودود ﴾ .

﴿ وإذا سألك عبادى عني فإني قريب أحب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي
وليؤمنوا بي لعلمهم بؤشؤون ﴾ (١) .

أما بعد فإن أعمال الحج في أشهر الحج . تنتهى بهذه الصورة الرائعة :
صورة العزم المصمم على الابتعاد المطلق عن الإثم والمعصية ممثلة هذه الصورة
في رجم إبليس : مصدر الشر والإثم .

إن الحج ينتهى بقتل إبليس بالرجم أو بتعبير أدق - ينتهى بقتل الشر حتى
لا يتصل مرة أخرى إلى النعمس .

وأما بعد فيقول صلوات الله عليه وسلامه :

« من حج فلم يرفث ، ولم يفسق ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » فإذا ما
خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه استحق أن يحتفل بالعيد . وأن يهنأ بالعيد ..
وها نحن أولاء قد عرفنا الصريق إلى العيد فهيا بنا نسلك أيها المسلمون
﴿ ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾ (٢) .

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عبككم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ (٣) .

- ٣ -

المبادئ الإنسانية في الحج

« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك . ير الحمد والنعمة لك والملك .
لا شريك لك » .

« بهذه الكلمات الإيمانية التي تشرق في الكيان الإنساني كله نورا فينفعل
معه هداية يبتدئ تسجيل الحج في الصورة الساهرة المعلقة . وهي كلمات تعبر
أبلغ التعبير عن عبداً دينياً إنسانياً عالى هو الإحلام .

(١) البقرة ١٨٦ - (٢) آل عمران ٨٥ - (٣) البقرة ١٨٦

فالإنسان بهذه الكلمات يسجل على نفسه الاتجاه الحاصل لله وحده، ويسجل على نفسه العزم الوطيد على ألا يشرك به شيئاً إنه سبحانه مصدر النعمة .. ذلك أنه ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) ﴿ (١) .

واملك كله بيده يؤتيه من يشاء ، وهو وحده المعطي ، وهو وحده المعز ، ولذلك فإن الحمد - كل الحمد - لله سبحانه ، وحده .

وهذا الإخلاص يبدأ في أعمال الحج بالتوبة النصوح الخالصة ، والتوبة ليست كلمة تقال ، أو ألفاظا تتردد وإنما لها شروط محددة . أولها أن يقلع عن المعصية ، ويتعلى عنها .

والشروط الثاني إنما هو الندم على فعلها .

أما ثالث الشروط فإنه العزم المصمم على ألا يعود إلى المعصية أبداً . فإذا فقد أحد هذه الشروط فإن التوبة لا تصح

وهذا كله فيما إذا كانت المعصية ، لا تتعلق بحق آدمي ، أما إذا تعلقت بحق آدمي فلها شرط رابع وهو أن يبرئ دمه من الحق الذي عليه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

وإذا كانت التوبة هي الخطوة الأولى في سبيل الإخلاص وهي عمل في حوهره قلبي ، فإن الاعتسال والتطهر ، وارتداء الثياب البيض مظاهر تعلن الاستجابة إلى النداء الإلهي .

﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (٢) .

وتعلن الطاعة للأمر الرباني :

﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴾ (٢) ﴿ (٣) .

وعند الوصول إلى مكة المكرمة تبدأ الأعمال بالطواف حول البيت الحرام . والإنسان يطوف بالبيت قاصداً رب البيت ، متجهاً إليه ، فاراً بدينه من جميع ألوان الشرك ، وجميع ألوان المعاصي ، ما ظهر منها ، وما بطن ، مقبلاً على

(٢) الزمر ٢

(٣) عامر ١٤

(١) فاطر ٢

الله بدينه ، لا يريد بجميع أعماله إلا الله سبحانه فلا يرحو غيره ، ولا يحاف
سواه ولا تأخذه هي الله لومة لائم .

وكل ذلك إنما هو توطئ للإحلاص هي قرارة نفسه ، وتمكين له من
جوانحه ، ثم يذهب إلى السعي : وهنا نصل إلى المبدأ الثاني من المبادئ الدينية
الإلهية العامة ، وهو مبدأ الرحمة ذلك أن أصل هذا السعي ، إنما هو عمل
السيدة الكريمة أم إسماعيل حينما اشتد العطش بسببها ، فقامت تسعى رحمة
بابها وحانا عليه ، وشفقة به .

ويتمثل الساعي هد الشمور طيلة سبعة اشواط ، فيعبر في كيدته
ويشيع في أرجاء داته

وهذه الإسلام من الحث على الرحمة في أكثر من مناسبة ، وهي أكثر من
عمل ومن قول إنما هو أن يصبح المسسم رحمة يثرها أينما كان ، يثرها مصيحا
ويثرها ممسيا ، ويثرها بعمله ، ويثرها بقوله فيتحقق في المحيط الإنساني
قول الله تعالى ، عن لرسالة ، والرسول ، صلوات الله وسلامه عليه

﴿ وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١)

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَسَ فِيْهِمُ الْحِجَّ فَلَا رَيْبَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا حَدٍّ فِي الْحِجِّ
وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ حَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزُودُوا فِي حَيْرٍ الرَّادِ التَّقْوَى وَتَقْوَى يَا أُوْلِي الْأَنْبَابِ ﴾ (٢)
وتوجب هذه الآية الكريمة ، أن يخلو من فرص على نفسه الحج عن
الفحش كله قولا كان أو عملا ، بل إن مجرد الجدل في الحج ممنوع .

إنها إذن فترة من الصيام عن كل شر ، ومن الإمساك عن كل معصية ، بل إن
الله سبحانه وتعالى ، يحاسب في لحرم على مجرد إرادة الشر ، وإن لم يقدم
الإنسان على الفعل ، يقول سبحانه :

﴿ وَمَن يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظَلَمٍ تُدْفَعُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣)

فأله ، سبحانه ، لم يقل : ومن يلحد فيه بظلم ، وإنما قال : ومن يرد فيه

(٢) سج ٢٥ ،

(٣) البقرة ١٩٧

(١) الأنبياء ١٠٧

هرقب سبحانه العذاب الأليم على الإرادة ، محرد الإرادة وإد رن الشر من
النفس استعدت وتهبات بلور والخير

وتدلك فإن الله سبحانه بعد أن بهي عن ثرعت ، والمسروق والجدال في
الحج ، قال حاثا على عمل الخير ﴿ وما تفلحوا من خير يعلمه الله ﴾ (١) .

ويحب الله أن يعص الخير بل وأن تتزود منه ، أي أن تتخذ من الخير راد ،
تعبه إلى مرصاته وإلى لقائه ، وإلى الإقبال عليه ﴿ يوم لا يفع مال ولا نون ﴾ (٢)

وحير راد هي سبين مرصاته ، إنما هو تلتقوى :

﴿ وترودرا فإن خير الراد التقوى ﴾ (٣) .

ويعد ، فإن أعمال الحج تحتتم برجم مصدر من أهم مصادر الشر والإنم
والمعصية ، وهو « إيس » رحمه مر را وتكرار

وذلك تسعين مؤك وإعلان مشهود ، وشهاد ساهر على أن لحاج قد
عزم عزم لا ترعزعه أعاصير الشهوة أو مفريات ، الفتة ، على أن يصبح حير
كله لا مجال لترعات الشيطان لتتسل إلى نفسه ، فقد أصبح بتطهير نفسه ،
ويرجم الشيطان ، من عباد الله المخلصين الذين لا سلطان للشيطان عليهم

وأما بعد فإن رسول الله ﷺ ، يقول ، فيما رواه الشيخان ، البخاري
ومسلم « من حج فلم يرفث ولم يفسق ، رجع كحرم ولدت له أمه » .

- ٤ -

بعد الحج

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، فيما رواه البخاري ومسلم ، قبل سمعت
رسول الله ﷺ يقول :

« من حج فلم يرفث ، ولم يفسق ، رجع كحرم ولدت له أمه » .

(١) البقرة : ١٧٧ .

(٢) النور : ٢٨١ .

(٣) البقرة : ١٧٧ .

وعنه صلوات الله وسلامه عليه قال :

« الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

والحج المبرور هو الذي لا يرتكب صاحبه فيه معصية ، وهذا الحديث الأخير مما اتفق عليه البخارى ومسلم أيضا .

والواقع انه من فضل الله على الأمة الإسلامية أن جعل بها مناهد لتطهير النفس وتركيتها حتى تنال رضا الله ، وتتعم بشوابه .

ومن النوافذ الكبرى : الحج المبرور .

وليس من العسير على الإنسان ، أن يخلص وجهه له ، في أيام معدودات يصبح لإنسان بعدها من البراءة وظهر كيوم ولدته أمه ، خالصا من الدس مبرا من الآثام .

هذه التزكية ، وهذا الطهر ، يجب أن يستمر فيه يستقبله الحاج من عمره . وإذا كان لله قد هيا للمسلم هذه الفرصة الكبرى ، ليصل بسببها إلى المستوى الملائكى في الطهر ، فإن على المسلم ، أن يحافظ عليها محافظة تامة

إن الإنسان في مفتتح أعمال الحج يتوب إلى الله توبة بصوح ويمامه عهدا ، يرمي ألا يقتصر على أن يسير في حياته متبعا للصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم ، غير المقصوب عليهم ولا الضالين

وهو يهده التوبة ، يطهر باطنيا ، ويشمع التطهير الباطني بتطهير ظاهري ، وهو - غسل الإحرام - ويس عن إحلاصه في الطهر الباطن ، والطهر لظاهر ، بالصورة لجميلة صورته ملابس الإحرام بقية ظاهرة بيضاء ، صافية ، خلب حلوا تاما من الدس والحداث .

ويثبت كل ذلك بالشعار القوى الدائم في الحج :

« لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك » . إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .

وهو إذن من البدء ، يتطهر باطنا ويتطهر ظاهرا ، ويتطهر بالقول ، ويتطهر بالسلوك .

هذا لصفاء ، هذا الصهر . يجب أن يستمر بعد الحج ، ويجب أن يدوم ما مدى الحياة ، والعهد الذي عاهد الله عليه من الإخلاص والتقوى : يجب أن يلتزمه طيلة حياته ، يقول الله تعالى ، موجهها لمسلمين إلى التزام عهودهم :

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُصُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَيْلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ عَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴿١﴾

أما هذه لتي نقضت عزلها من بعد قوة أنكاثا ، فإنها كل امرأة حرشاء ناقصة العقل تعمل طول يومها ، مثابرة دائبة ، وتحكم ضرلها ثم تنقضه أحر النهار ومثل كل من يعاهد الله ، ثم لا يوفي بعهد ، مثل هؤلاء النسوة المحمقات اللواتي ينقضن آخر اليوم ، ما ضرلن في أوله .

على أن الإحلال بالعهد مع الناس يعتبر عند الله من علامات النفاق . فما نالك بالإحلال بالعهد الذي بين الإنسان وربه ؟ بعد بين صلوات الله وسلامه عليه علامات النفاق :

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما فيما رواه البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال .

« أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خسر ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه فيما رواه لإمامى البخارى ومسلم ، أن رسول الله ﷺ قال

« آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب ، وإذا وعد حلما ، وإذا أؤتمن حان » .
على أن هذا الذى يعاهد الله ، ثم ينقض عهده ، إنما يقول مبالا يصح وقد هدد الله سبحانه من يفعل ذلك وتوعده ومقته

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٢)

(١) النحل ٩١ ، ٩٢ (٢) الصف ٢١

أما إذا تزكى المسلم بالحق ، ثم حافظ على هذه التركيبة بعد الحج فإنه ينال السعادة الحقة ، إنه ينال سعادة الدنيا ، ذلك أن الله سبحانه وتعالى ، كمل لمن انصوى تحت لوائه ، واهتدى بهديه واتقاء ، طيب الحيدة يقول سبحانه

﴿ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ لِلْخَيْرِ حَيَاةً طَيِّبَةً وَسَجَرِيَّتُهُمْ أَجْرُهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

وقد تكف سبحانه وتعالى بإخراج المتقى من كل ما يصادفه من أذى وبأن يرزقه من حيث يدرى ومن حيث لا يدرى :

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٢) .

على أنه بمجرد الابتداء في السير إلى الله تبدأ رعاية الله غامرة عامة شاملة.

وهذا الابتداء في التوجه إلى الله إنما يكون في صورة الاستقصار ، والله سبحانه يقول

﴿ فَقُلْتُ سَتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (٣) يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (٤) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ يَجْعَلْ لَكُمْ فِيهَا أَنْهَارًا ﴾ (٣)

ويقول تعالى ، فيما قصه حكاية عن سيدنا هود عليه السلام

﴿ وَإِذَا قَوْمٌ اسْتَفْزَرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ نُوهِوا إِلَيْهِ يَرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُرْدِكُمْ مُؤْتًا قَوْمَكُمُ ﴾ (٥) .

هذه الرعاية من الله إنما هي في الدنيا ، بيد أن رعايته سبحانه لا تقتصر عليها وإنما تشملها ، وتتعداها إلى رعاية أجل وأعظم ، وهي رعايته سبحانه في الآخرة ، لمن حافظ على عهده ، و هو بعقده ، يقول سبحانه وتعالى -

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ تَقُولُوا اللَّهُ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٦) .

وبعد فإن أكرم الناس على الله ، هو أتقاهم له سبحانه ، والأتقى هو لدى

(١) سئل ١٧ (٢) الصلوة ٢ (٣) يوح ١٠ - ١٢

(٤) هود ٥٢ (٥) الأنعام ٥٩

تركى ثم حافظ على الركبة ولن يصيب الله أكرم الناس عليه ، وكيف ؟ وهو
سيبانه أكرم الأكرمين

الحج والإسلام :

عن ابن عمرو رضى الله عنهما عن النبي ﷺ في سؤال حبرائيل عليه
السلام إياه عن الإسلام ؟ فقال الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً
رسول الله ، وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتحج وتعتقر ، وتغتسل من الحامة ،
وأن ترم الوضوء وتصوم رمضان .

قال فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم ؟ قال : نعم قال ، صدقت ، ، {

أشهر الحج :

يقول الإمام البخارى :

باب قول الله تعالى . ﴿ أَنحِجْ أَشْهُرَ مَعْتَمَاتٍ فَمَنْ فَرَسَ فِيهِمُ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا
فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ (١)

وقا ابن عمرو رضى الله عنهما : أشهر الحج شوال ودو القعدة ، وعشر
من دى الحجة .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : من السنة أن لا يحرم بالحج إلا في
أشهر الحج .

فريضة الحج مرة :

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال حطبتنا رسول الله ﷺ فقال « يا أيها
الناس ، إن الله قد فرض عليكم الحج ، فحجروا ، فقال رجل أكل عام يا رسول
الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله ﷺ لو قلت نعم لوجبت ، ولما
استصعتم ، ثم قال درويى ما تركتكم هنا هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم
واختلافهم على أسبائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم
عن شيء فدعوه » (٢) .

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه وهو في الصحيحين وغيرهما بهذا اللفظ

(٢) لبقرة ١٨٩ . (٣) رواه مسلم

الحج يعرض الذنوب :

عن ابن شماسه رضى الله عنه قال : حصرنا عمرو بن العاص وهو فى صياقة الموت ، فىكى طويلا وقال : فلما جعل الله الإسلام فى قلبى أتيت نبيى ﷺ فقلت : يا رسول الله ، أبسط يمينك لأبيعك ، فبسط يده ، فقبضت يدي ، فقال : مالك يا عمرو ؟ قلت : أردت أن أشتري ما ، تشتري ما ، ؟ قلت : أن يقر لي

قال : أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله ؟

وإن لهجرة تهدم ما كان قبلها ؟ وإن الحج يهدم ما كان قبله ؟ (١) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول

« من حج فلم يرفث ولم يفسق ، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

رواه البخارى ومسلم والسنائى ، وابن ماجه والترمذى إلا أنه قال « عفر له

ما تقدم من ذنبه » .

وقال الرهري : الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد أن يرحل من المرأة .

وقال الحافظ : لرفث يطلق ويراد به الجماع ، ويطلق ويراد به لفحش ويطلق ويراد به خطب الرجل لمرأة ، فيما يتعلق بالجماع ، وقد نقل فى معنى الحديث كل واحد من هذه الثلاثة عن جماعة من العلماء .

وعن عبد الله بن جراد الصنعابى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ

« حجوا فإن الحج يغسل الذنوب ، كما يغسل الماء الدرن ، » (٢) .

وعن عبد الله - بنى ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ

« تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفي الكبر

حسب الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة » (٣)

رواه ابن ماجه والبيهقى من حديث عمر ، وليس عندهما والذهب إلى

آخره

{ ١ } رواه ابن عزيمة فى صحيحه ، هكذا مختصرا ، ورواه مسلم وغيره أطول منه

{ ٢ } رواه الطبرانى فى الأوسط

{ ٣ } رواه الترمذى وأبو حريجه وابن حبان فى صحيحيهما ، وقال الترمذى حديث حسن صحيح

ومن البيهقي

« فإن متابعة بيتهما يريدان في الأجل ، وبميام العمر والدنوب كما يمي الكير الحديث » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال

« العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة »
رواه مالك والبخاري ومسلم ، والترمذي والنسائي ، وابن ماجه ، والأصبهاني ،
وزاد .

وما سبح الحاج من تسبيحة ، ولا هال من تهيلة ولا كسر من تكيرة ، لا
شربها تبشيرة .

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال .

« الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » قيل . وما بره ؟ قال

« إطعام الطعام ، وطيب الكلام » (١)

وفي رواية لأحمد والبيهقي « إطعام الطعام ، وإفشاء السلام » .

أفضل الأعمال :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال سئل رسول الله ﷺ أي العمل

أفضل ؟ قال :

« إيمان بالله ورسوله » قيل : ثم ماذا ؟ قال :

« الجهاد في سبيل الله » قيل : ثم ماذا ؟ قال :

« حج مبرور » (٢) .

ورواه ابن حبان في صحيحه ، وألفظه قال رسول الله ﷺ

أفضل الأعمال عند الله تعالى إيمان لا شك فيه ، وغزو لا غلول فيه .

وحج مبرور » .

(١) رواه أحمد والبخاري في الأوسط بإسناد حسن ، وابن جرير في صحيحه والبيهقي والحاكم وقال صحيح

الإسناد

(٢) رواه مسلم

« المبرور » قيل هو الذي لا يقع فيه معصية .

وفد الله :

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال :

« العارى في سبعين الله ، والحاج والمعتمر ، وفد الله دعاهم فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم » (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ

« الحاج والمعتمر وفد الله ، إن دعوه أجابهم ، وإن أسألوه عمروهم » (٢) .

العمرة :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : أتى النبي ﷺ ، أعربى فقال : يا رسول الله ، أحربى عن العمرة أو أحبية هي ؟ فقال : « لا وأنت تعتمر حير لك » (٣) .

عمرة في رمضان :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أُرِد النبي ﷺ الحج ، فقالت امرأة لروحبي

أحججني مع رسول الله ﷺ ، فقال : ما عدى ما أحجك عليه ، فقالت

أحججني على حملك فلان ؟ قال

ذاك حبس في سبيل لله عز وجل فأتى رسول الله ﷺ فقال

يا أمراؤي تقرأ عليكم السلام والرحمة وإنها سألتني الحج معك ، فقلت

ما عدى ما أحجك عليه ، قالت : أحججني على حملك فلان ، فقلت : ذلك حبس في سبيل لله عز وجل فقال :

« أما إنك لو أحججتها عليه كان في سبيل الله » قال .

(١) رواه ابن ماجه والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه . كلاهما من رواية عمر بن عبيدة عن حماد بن المناذب .

(٢) رواه المناذب وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما . وبعضهما قال « وفد الله ثلاثة الحاج والمعتمر والعارى » . وقدم ابن خزيمة « العارى » .

(٣) الحديث رواه أحمد والترمذي .

وبها أمرتني أن أسألك ما يعدل حجة معك ؟ قال رسول الله ﷺ
« أقرئها السلام ورحمة الله وبركاته ، وأخبرها أنها تعدل حجة معي » عمرة
في رمضان ^(١) .

ورواه البخاري وابن ماجه ، والسنائي مختصرا :
عمرة في رمضان تعدل حجة .
ومسلم ولم يلقه قال ، قال رسول الله ﷺ ، لامرأة من الأنصار يقال لها أم
سنان :

ما معك أن تحجي معنا ؟ قالت :
لم يكن لنا إلا صاحبان ، فحج أبو ولدها وابنها على ناضح ، وترك لنا
ناصعا نضبح عليه . قال
فإذا جاء رمضان فاعتمرى ، فإن عمرة في رمضان تعدل حجة . وفي رواية له
« تعدل حجة أو حجة معي » .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : حجت أم سليم إلى رسول الله ﷺ .
فقال :

حج أبو طلحة وابنه وتركاني فقال
« يا أم سليم ، عمرة في رمضان تعدل حجة معي » ^(٢) .

أنواع الإهلال :

حدثني يحيى بن سعيد عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت
خرجنا مع رسول الله ﷺ ، عام حجة تودع فمنا من أهل العمرة ، ومنا من
أهل الحج وأهل رسول الله ﷺ بالحج .
« فأما من أهل العمرة ، ففعل ، وأما من أهل الحج ، أو جمع الحج والعمرة ،
فلم يحلوا حتى كان يوم النحر » ^(٣) .

(١) رواه أبو داود وابن خزيمة في صحيحه كلاما بالعبارة واللفظ لأبي داود وأجره عندهما سواء .

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم .

وحدثني يحيى بن عيسى بسنده عن عائشة أم المؤمنين ، أن رسول الله ﷺ ، أهرق
الحج (١) .

التجرد والاختسار :

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ ، تجرد لإهلاله واغتسل (٢)
وعن عائشة رضي الله عنها قالت

كنت أطيب رسول الله ﷺ ، لإحرامه قبل أن يحرم ، ولحله قبل أن يطوف
بالبیت (٣) .

رفع الصوت بالإهلال :

عن خلاد بن السائب عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ قال

« أتاني جبريل فأمرني أن آمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال » (٤)

من الدعاء في الحج :

عن حريصة بن ثابت رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ ، كان إذا خرج من تلييته
في حج أو عمرة سأل الله رسوانه والحنة ، واستعاد برحمته من النار .

باب ما لا يلبس المحرم من الثياب :

يقول الإمام السعاري

حدثنا عبد الله بن يوسف بسنده ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
أن رجلا قال :

يا رسول الله ، ما يلبس المحرم من الثياب ؟ قال رسول الله ﷺ :

« لا يلبس القميص ، ولا العمائم ، ولا السراويلات ، ولا البرانس ، ولا
الحفاف إلا أحد لا يجد عليه فيلبس خمين ، وليقطعهما أسفل من الكعبين ولا
تلبسوا من الثياب شيئا معه الرعمران أو ورس » (٥)

(١) أخرجه مسلم

(٢) رواه الترمذي وحسنه .

(٣) متفق عليه

(٤) رواه الخمسة وصححه الترمذي وابن حبان

(٥) رواه الإمام البخاري

غسل الطيب ثلاث مرات من الثياب :

روى البخاري بسنده : أن صفوان بن يعلى أخبره ، أن يعلى قال لعمر رضى الله عنه :

أرني النبي ﷺ ، حين يوحى إليه ، قال

فبينما النبي ﷺ بالجعرانة ومعه نقر من أصعابه جاءه رجل فقال

يا رسول الله ، كيف ترى في رجل أحرم بعمره وهو متمسح بطيب ؟

فسكت النبي ﷺ ساعة ، فجاءه الوحي فأشار عمر رضى الله عنه إلى

يعلى فجاءه يعلى ، وعنى رسول الله ﷺ ثوب قد أظلم به ، فأدخل رأسه فإذا

رسول الله ﷺ محمر الوجه ، وهو يعط ، ثم سرى عنه فمال

« أين الذي سأل عن العمرة ؟ » فأتى برجل ، فقال :

« غسل الطيب الذي بك ثلاث مرات ، و برع عليك أجبية ، واصنع في

عمرتك ، كما تصنع في حجتك » .

قلت لعصاء - أراد للإبقاء حين أمره أن يغسل ثلاث مرات ؟

قال - نعم (١) .

الطواف :

روى الإمام البخاري بسنده -

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ « كان إذا طاف

في الحج أو العمرة ، أول ما يقدم سعى ثلاثة أطواف ، ومشى أربعة ، ثم سجد

سجدتين ، ثم يطوف بين الصفا والمروة » (٢) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال ،

« ثم أرى رسول الله ﷺ ، يستلم من البيت غير الركنين اليمانيين » (٣)

(١) رواه الإمام البخاري

(٢) رواه الإمام البخاري

(٣) رواه الإمام مسلم

فصل يوم عرفة :

عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال

« ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار ، من يوم عرفة »^(١).

الحج عرفة :

عن عروة بن مرسر رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ

« من شهد صلاتنا هذه - يعنى بالردئمة - فوقف معنا حتى ندفع وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلا أو نهارا فقد تم حجه وقضى تمته »^(٢) .

فى رمى الحمار :

عن قدامة بن عبد الله وهو ابن عمار رضى الله عنه قال

« رأيت رسول الله ﷺ ، يرمى الجمرة يوم النحر على باقة صهياء ، لا ضرب ولا طرد ، ولا إليك إليك »^(٣) .

وعن ابن عباس وأسماء بن زيد رضى الله عنهما ، قالا :

« لم يزل النبي ﷺ يلبى حتى رمى جمرة العقبة »^(٤) .

وعن جابر رضى الله عنه قال :

« رمى رسول الله ﷺ الجمرة يوم النحر صبحى ، وأما بعد ذلك فإذا زالت لشمس »^(٥) .

عرهة كلها موقف ، ومنى كلها منحر :

عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ .

« بحرب هاهب ومنى كلها منحر ، فاحجروا فى رحالكم ، ووهبت هاهب

وعرفة كلها موقف ، ووقمت ها هنا وجمع كلها موقف »^(٦)

(١) رواه الإمام مسلم

(٢) رواه الحمسة وصححه الترمذى وابن حزيمة

(٣) رواه ابن حزيمة فى صحيحه وغيره

(٤) رواه البخارى

(٥) رواه الإمام مسلم

(٦) رواه الإمام مسلم

ولا حرج :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، وقف
فى حجة الودع ، فجعلوا يسألونه ، فقال رجل :
لم أشعر فخلقت قبل أن أدبح ؟ قال
اذبح ولا حرج ، وجاء آخر فقال
لم أشعر ، فتعرت حين أن أرمى ، قال :
أرم ولا حرج ، هما سئل يومئذ عن شيء قدم ولا آخر إلا قال « أهمل ولا
حرج » (١) .

المخلقون والمقصرون :

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال :
« اللهم ارحم المخلقين ، قالوا والمقصرين يا رسول الله قال هى الثالثة
والمقصرين » (٢) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال
« ليس على النساء خلق ، وإنما يقصرن » (٣) .

وعن مسور بن مخرمة رضى الله عنه « أن رسول الله ﷺ ، نحر قبل أن
يخلق ، وأمر أصحابه بذلك » (٤) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ
« إدا رميتم وحلقتم فقد حل لكم الطيب وكل شيء إلا النساء » (٥)

هى طواف الإفاضة :

عن ابن عباس رضى الله عنهما « أن النبى ﷺ ، لم يرمل فى التمتع الذى
أفاض فيه » (٦) .

(١) متفق عليه . (٢) متفق عليه

(٣) رواه أبو داود بإسناد حسن

(٤) رواه الإمام البخارى

(٥) رواه أبو داود

(٦) رواه الخمسة إلا الترمذى وصححه الحاكم

وتزودوا :

قال الإمام البخاري رضي الله عنه

« باب قول الله تعالى ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ »

روى البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال ،

« كان أهل اليمن يحجّون ولا يتزودون ، ويقولون : نحن المتوكلون فإذا

قدموا مكة سألوا الناس ، فأمر الله تعالى :

﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ ^(١) .

مما لا يفعله المحرم :

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال « لا يكح

المحرم ، ولا ينكح ، ولا يخطب » ^(٢) .

الإنابة في الحج :

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة قالت يا رسول الله ، إن فريضة

الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً ، لا يثبت على الرحلة ، أفأحج

عنه ؟ قال نعم » ^(٣) .

وعن لقيط بن عامر رضي الله عنه ، أنه أتى النبي ﷺ فقال

إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ، ولا الظعن ، قال « حج عن

أبيك واعتمر » ^(٤) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن امرأة من جهينة جاءت إلى نبي ﷺ

فألت ،

إن أمي نذرت أن تحج ولم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟

(١) رواه ابن عبيد عن عمرو بن بكرمة مرسلاً

(٢) رواه الإمام مسلم

(٣) متفق عليه

(٤) رواه أبو داود والترمذي قال حديث حسن صحيح

قال :

« نعم حجى عنها ، أرأيت لو كان على أمك دين أكت قاضيته؟ اقضوا الله ،
فإنه حق بالوجه » (١) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ ، سمع رجلا يقول :

لبيك من شبرمة ، قال :

من شبرمة ؟ قال :

أخ لى ، أو قريب لى ، فقال :

حججت عن نفسك ؟ قال : لا .

قال :

« حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة » (٢) .

إذا بلغ الصبى :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ، قال رسول الله ﷺ :

« أيما صبى حج ثم بلغ الحث فعليه أن يحج حجة أخرى ، وأيما عبد حج
ثم أعتق فعليه أن يحج حجة أخرى » (٣) .

لا يخلون رجل بامرأة :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ ، يحطب يقول .

« لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعهما ذو محرم ، ولا تساهر المرأة إلا مع ذي
محرم » فقال :

يا رسول الله ، إن امرأتى خرجت حاجة ، وإني اكتتبت في عزوة كذا وكذا ،

فقال

« انطلق فحج مع امرأتك » (٤) .

(١) رواه الإمام البخارى

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان ، والراجح عند أحمد وقته .

(٣) رواه ابن أبي شيبة والبيهقى ورجاله ثقات .

(٤) متفق عليه واللفظ لمسلم

دواب يقتلن في الحل والحرم ،

عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ :

« خمس من الدواب كلهن فواسق يقتلن في الحل والحرم - العقرب ، والحدأة ، والقرب ، والفأرة ، والكلب العقور » (١) .

يبعث ولياً :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال

بينما رجل واقف مع رسول الله ﷺ بمرعة إذ وقع عن راحلته فأقصعته فقال رسول الله ﷺ :

« اغسلوه بماء وسدر ، وكفنوه بثوبيه ، ولا تحمروا رأسه ، ولا تحيطوه ، فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً » (٢) .

وفي رواية للبخاري ومسلم وابن حزيمة ، أن رجلاً كان مع نبي ﷺ ، فوقصته (٣) ناقتة وهو محرم فمات ، فقال رسول الله ﷺ

« اغسلوه بماء وسدر ، وكفنوه في ثوبيه ، ولا تمسوه بطيب ولا تخمروا رأسه ، فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً »

وفي رواية لمسلم « فأمرهم رسول الله ﷺ أن يغسلوه بماء وسدر ، وأن يكتفوا وجهه ، حسبته قال ورأسه ، فإنه يبعث وهو يهل » .

حجزة مكة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

لما فتح الله تعالى على رسول الله ﷺ ، مكة فأم رسول الله ﷺ ، في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إن الله قد حبس من مكة القيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، وإنما لم تحل لأحد كان قبلي ، وإنما أحلت لي ساعة من نهار ، وإنما لن تحل لأحد بعدي ،

(١) متفق عليه .

(٢) رواه البخاري ومسلم وابن حزيمة

(٣) وقصته ناقتة معاد رمته ناقتة فكسرت عنقه وكذلك فأقصعته

فلا يضر صيدها ولا يحتلئ شوكة ، ولا تحس ساقطتها إلا لحشد ، ومن قن له قتيل فهو بحير نظير ، فقال العباس إلا الإحدر يا رسول الله ، فإننا نجعله في قنورنا ، وببوتنا ، فقال : إلا الإحدر « (١) .

حرمة المدينة :

عن عبد الله بن زيد بن عاصم رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال « إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها ، وإنى حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ، وإنى دعوت فى صاعها ومدنها ، يمثل ما دعا إبراهيم لأهل مكة » (٢) .
وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « المدينة حرام ما بين غير إلى ثور » (٣) .

الصلاة فى الحرمين :

عن ابن الزبير رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد لحرام » (٤) وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من صلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة » (٥)

حجة النبى ﷺ (٦)

روى الإمام مسلم بسنده عن جعفر بن محمد عن أبيه أنه سأل جابر بن عبد الله قائلا

أخبرتني عن حجة رسول الله ﷺ ، فقال بيده فعقد تسعا فقال .

إن رسول الله ﷺ ، مكث سبع سنين لم يحج ثم أدن من الناس فى العاشرة أن رسول الله ﷺ حاج ، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يتعس أن يأتهم رسول الله ﷺ ، ويعمل مثل عمله .

(١) متفق عليه . (٢) متفق عليه

(٣) متفق عليه (٤) رواه مسلم

(٥) رواه أحمد وصححه ابن حبان (٦) صحيح مسلم

فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة ، فولدت أسماء بنت عميس محمد بن
أبي بكر فأرسلت إلى رسول الله ﷺ ، كيف أصنع ؟ قال
اعتسلي ، واستنصري^(١) ثوب وأحرمي .

فمضى رسول الله ﷺ ، في المسجد ثم ركب القصواء حتى استوت به ناقته
على السبداء ، نظرت إلى مد بصرى بين يديه من راكب وماش وعن يمينه مثل
ذلك ، وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله ﷺ بين أظهرنا وعليه
ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما حمل به من شيء عملنا به . فأهل بالتوحيد^(٢) .
« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والمنة لك والملك ،
لا شريك لك » .

وأهل لناس بهذا الذي يهلون به ، فلم يرد رسول الله ﷺ ، عليهم شيئاً منه ،
ولزم رسول الله ﷺ ، تلييته .

قال جابر رضى الله عنه : لسنا ننوي إلا الحج لسنا نعرف العمرة ، حتى
إذا أتينا البیت معه ، يستلم الركن فرمل^(٣) ثلاثاً ، ومشى أربعاً ثم نفذ إلى مقام
إبراهيم عليه السلام فقرأ ﴿ وأتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ .
فجعل المقام بينه وبين البيت ، فكان أبي يقول :

« ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي ﷺ » كان يقرأ في الركعتين ﴿ قل هو الله
أحد ، وقل يا أيها الكافرون ﴾^(٤) ثم رجع إلى الركن فاستلمه
ثم خرج من الباب إلى الصفا ، فلما دنا من الصفا قرأ :
﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ شَعَائِرُ اللَّهِ ﴾ .

أبدأ بما بدأ الله به ، فبدأ بالصفا فرقى عليه ، حتى رأى البيت فاستقبل
المبلة فوحد الله وكبره وقال :

(١) الاستنصار أن تشد في وسطها شيئاً وتأخذ خرقة عريضة تجعلها على محل الدم وتشد طرفها من فدامها
بوراها

(٢) أهل بالتوحيد . معنى قوله لبيك لا شريك لك

(٣) الرمل أسرع من المشي مع تقارب الخصى

(٤) للمعنى أنه قرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة : قل يا أيها الكافرون ، وهي الثانية بعد الفاتحة قل هو الله أحد

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده أبحر وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده» .
ثم دعا بين ذلك ، فدل مثل هذا ثلاث مرات ، ثم نزل إلى المروة حتى إذا بصبت قدماه في بطن الوادي سمى حتى إذا صعدا مشى ، حتى أتى المروة .
فعمل على المروة كما فعل على النصف ، حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال
لو أني استقيبت من أمري ما استدبرت ثم أسبق الهدى وجعلتها عمرة فمن
كان منكم بيس معه هدى فيحل وليجعلها عمرة .
فقام سرقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله ، ألعاصم هذا أم لأبد ؟
فبك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة في لأخرى ، وقال دخلت العمرة من
الحج - مرتين - لا بل لأبد أبد .

وقدم على من ليمن يدين النبي ﷺ فوجد فاطمة (رضى الله عنها) ممن
أحل وليست ثياب صبيها واكتحلت ، فأنكر ذلك عليها فقالت إن أبي أمرني بهذا ،
فقال فكان علي يقول بالعراق ، فذهبت إلى رسول الله ﷺ معرشا (١) على
فاطمة لدى صنعت مستتميا لرسول الله ﷺ ، فيما ذكرت عنه ، فأخبرته بما
أنكرت ذلك عليها فقال .

صدقت صدقت ، ماذا قلت حين فرضت الحج ؟

قال : قلت :

اللهم إني أهل بما أهل به رسولك .

قال فإن معي الهدى فلا تحل ، قال فكان جماعة الهدى الذي قدم به على
من ليمن والذي أتى به النبي ﷺ مائة .

قال فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبي ﷺ ، ومن كان معه هدى .
فلما كان يوم التروية (٢) توجهوا إلى مني فاهلوا بالحج ، وركب رسول الله
ﷺ ، فصلى بها الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، والمجر ، ثم مكث قليلا حتى
طلعت الشمس ، وأمر بعبه من شعر يصرب له بمرة ، فسار رسول الله ﷺ ، ولا

(١) التصريح بالإغراء ، والراد هنا أن يذكر لها ما يفتنى عنها

(٢) يوم التروية ، هو الثامن من ذي الحجة

تسلك قريش إلا أنه وقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية .

فأجار^(١) رسول الله ﷺ ، حتى أتى عرفة فوجد لفة قد ضربت له سمرة فزحل بها حتى إذا رآه شمس أمر بالقصواء ، فرحلت له ، فأتى بطن الودي فحطب الناس وقال

إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بديكم هذا ، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أصع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل ورب الجاهلية موضوع وأول ربا أصع ربانا ربا عباس ابن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله .

فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحلتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن^(٢) فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاصريوهن صريا غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما لن تصلوا بعده ، إن اعتصمتم به كتاب الله ، وأنتم تسألون عني فما أنتم فائتو^(٣)ن ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها^(٤) إلى الناس اللهم أشهد ، اللهم أشهد ، ثلاث مرات .

ثم أدن ، ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ، ولم يصل بينهما شيئا

ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف ، فحس بطن بافته القصواء إلى تصخرات ، وجعل حبل^(٥) مشاة بين يديه واستقبل القبلة فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس ودهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص ، وأرهب أسامة حلقه ،

(١) أجار ، مسلم جاور المردفة

(٢) المراد بذلك أن لا يستظين بالرجال

(٣) ينكتها يقبضها ويرودها إلى الناس مشير لهم

(٤) حبل مشاة بالحاء معجمهم وخب نمرق ما طال منه وضخم وبالجم طريقهم وحيث تسلك الرجال

ورفع رسول الله ﷺ ، وقد شئق^(١) للقصواء الرمام حتى أن رأسها ليصيب مورك^(٢) رحله ، ويقول بيده اليمنى :
أيها الناس السكينة السكينة .

كلما أتى^(٣) حبلا من الحبال أرحى لها قليلا حتى تصعد ، حتى أتى المردلمة فصلى بها المغرب والعشاء بأذن واحد وإقامتين . ولم يسبح بينهما شيئا ، ثم اصطحب رسول الله ﷺ حتى طلع لمجر ، وصلى الفجر حين تبين له المصباح بأذن وإقامة .

ثم ركب انقصواء حتى أتى المشعر الحرام ، فاستمسك لمسة فدعاه وكبره ومنه ووحدته ، فلم يزل واقفا حتى اسمر جدا فدفع قبل أن تطلع الشمس وأردف الفصل بن عباس ، وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيما فدعا رسول الله ﷺ مرت به طلع^(٤) يجريين فطلق الفصل ينظر إليهن ، فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه المضل ، فحول الفصل وجهه إلى الشق الآخر ينظر ، فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفصل بصرف وجهه من الشق لآخر حتى أتى بطن محسر ، فحرك قليلا ، ثم سلك الطريق الأوسطى التي تخرج على لجمرة الكسرى حتى أتى الحمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها ، حصى الحذف رمى من بطن الوادى

ثم انصرف من المشعر ففجر ثلاثا وستين بيده ، ثم أعطى عليا ففجر ما غير وأشركه في هديه ، ثم أمر من كل بدنة بصصة ، فجعلت في قدر وطبخت فأكلوا من لحمها وشربوا من مرقها .

ثم ركب رسول الله ﷺ هاقماصا إلى نبيت قصوى بمكة الظهر فأتى من عبد المطلب يسقون على زمزم فقاموا فأمروا بني عبد المطلب ، فلولوا أن يغلبكم الناس على سمايتكم لمرعت معكم ، فناولوه دنوا فشرب منه .

(١) شق : ميق وميم

(٢) مورك : رحله هو الموضع الذي يمشى الراكب رحله عليه فنام وامتنعة الرجل

(٣) حبلا : هو التل اللطيف من الرمن الصنم ،

(٤) طلع : جمع ظليمة وهي تعبير الذي عليه امرأة تسمى به امرأة مجاز للاعتناء بالبحر

الحج رحلة الصفاء والمروى

إن كلمة الإسلام التى هى عنوان عسى دين الله الخالد تشعشع - فى وضوح بالهدف الذى أراده الله سبحانه ، من رسالته التى لم يحثل جوهرا على مر العصور

هذا الهدف هو سلام لوجه الله ، والتسليم به ، والدخول فى رحابه ، وذلك بالنسبة للإنسان كمال ، وبالنسبة للمجتمع أمر وطمأنينة .

وقد احتلمت وسائل لإسلام فى قيادة الإنسان إلى إسلام الوجه له وتعددت نظر لاختلاف طبائع الإنسان وتعددتها ، وما كانت العبادات فى الإسلام على اختلاف أنواعها إلا وسائل لتزكية النفس ، وكمال الإنسان حتى يستأهل لمرضاة الله تعالى ، وحتى يطلع بالقرب من الله ولا يتساب إلى عدد ، ثم حرم ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَاهَا ﴾ (١) .

﴿ رَبُّنَا رَبُّنَا فِيهِمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُرَكِّبُهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢)

ور من هذه العبادات الحج ، به وسيدة من أسس ووسائل قيادة الإنسان إلى الله تعالى وهو مجموعة رائعة من الرموز الروحية ، التى تنتهى إذا أقيمت على وضعها الصحيح بالمسلم إلى الدخول فى المحيط الإلهى

وتبدأ أعمال الحج - بتوطيق الله تعالى - بالاعتساف الظاهر ، بالنظافة الجسمية ، فإد ما تم ذلك يتوب المسلم نوبة خائصة نصوحا ، نادما على ما فعل من آثام مقلما عن الدب ، عارفا عرما لا يبين على ألا يعود إلى دب أسدا متجها بتوبته إلى الله تعالى طالبا منه العون والتوفيق راجيا مرضاته

وتأكيد لهذا التظاهر الباطن ، والتظاهر الظاهر يلبس ملابس الإحرام ، بصفاء ناصفة ، يلبسها على طبيعتها التى تسحب عليها دور أن تدخلها صفة ، فغير من معاملها ، أو قبل من أوصاعها ، إنه يسميها على القطرة وعلى النقاء ، تاركها ما سماء أن يكون قد تلوث بالاختفاء من ملابس

(٢) البقرة ١٢٩

(١) الشمس ٩ .

ثم يسجل اعزم المصمم على استعمار الطهر ، فيما يستقبل من أيام ، بهذه الكلمات لتي تعبر عن الاستجابة الكاملة لله سبحانه وتعالى :

« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

إن هذه الاستحاة إلى الله سبحانه وتعالى عهد منه إلى الله بالتزام إسلام الوجه له سبحانه ، يكرر هذا العهد في كل آوة بقوله إذا صعد ، ويقول إذا نزل ، ويقول مصباح ، ويقول ممسحاً ، فيرتسم في فؤاده بأحرف من نور الإيمان ، ومن سماء الهدية .

حتى إذا ما وصل إلى البيت الحرام ، فإن من العنة أن يبتدئ الدحول في المسجد الحرام بالتعبير عن الاستجابة إلى الله بصورة أخرى هي « بسم الله وبالله ، ومن الله وإلى الله ، وهي سبيل الله ، وهي ملة رسول الله ﷺ » .

وببدأ العلوات

بينهم بيسم الله والله أكبر .

وما كان البيت هيكلاً وبناء - هي يوم من الأيام المقصد الأخير ، لطائف والمكسب والركع السجود وإنما هدفهم الأول والأخير رب البيت ويستلم الحجر الأسود .

والحجر الأسود إنما هو الحجر الذي بقي يتسم بطابع سيدنا إبراهيم عليه السلام ، الذي لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً ، والذي تضرع إلى الله سبحانه وتعالى ، أن يبعث في الجزيرة العربية ، رسولا عربيا هادي ومركبا فقال

﴿ رَبَّنَا ارْزُقْ فِيهِمْ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

وكان السلم بدا الاستلام لهذا الأثر الإبراهيمي ، يعاهد الله على أن لا ينحرف عن الملة الحنيفية ، وأن يكون على مر السنين تابعا لهذا الرسول العربي الذي بعثه الله رحمة للعالمين .

إنه يطوف معلقا قلبه ويصره وسمعه وكيانه كله برب البيت .

إله يطوف لعل السسائر ترتفع ، لعل نحجب بكتشف ، لعل الأقنعة تروى ،
 لعل لبب يضح ، لعل رب البيت يتفصل بالقبول ، لعل الله يرمى .
 إله يطوف حاشعا حاصعا يدعو ويصرع لعله يشعر بسمات برصى
 ينمحات الأعرس ، بكأس المحبة ، بسلسيل المعرفة

﴿ ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾
 ويذهب إلى السعى :

يبتدئ من الصفا ، أى من الصفاء ذاهبا إلى المروي ، أى إلى الرى وإلى المروة
 يتزود منهما ، ويكر راجعا إلى نصفاء من حديد ، ليزداد صفاء ، وليزداد نورا .
 وهكذا .. من الصفاء إلى الرى ، ومن لرى إلى نصفاء ...
 وهبوطات الله لا تنتهى ، ومنحه سبحانه وتعالى لا تحدّها حدود
 إله يسمى وهو متذكر لتلك السيدة الكريمة التى كانت تسعى وكلها رحمة
 بأسها .

إله يسعى رحمة بنفسه ، ويسعى ليكون رحمة هي أسرته وفي عشيرته وفي
 وطنه وفي العالم بأسره .

إله يسعى ليصير رحمة .

﴿ ربنا آتانا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ﴾ .

ويذهب إلى عرفات للتعرف على الله سبحانه وتعالى ، وليقيم ملتقيا مع
 سبحانه رحمة .

والحج عرفة كما يقول الرسول ﷺ ، إله تعرف على الله سبحانه وتعالى ،
 مصدر الخير كل الخير ، ومصدر النعمة كل النعمة ، ومصدر الكمال على السعى
 لصحيح للكمال الإنساني ،

إن الذى يتعرف على الله يصبح من الكمال لإنساني في الدروة ، وما كتب
 طريقة التعرف على الله هي يوم من الأيام قرعة آراء الصلايمة وهي متضاربة
 متعارضة .

وإنما سبيل التعرف على الله توبة بصوح واستحانة مخبئة وطواف
 بالبيت ، وسياحة من الصفاء إلى الرى ومن رى يزداد إلى صفاء يصفو

فإذا ما تزكت النفس بكل ذلك ، يبيض الله سبحانه وتعالى عليها نور يعرفها به فتتعرف عليه ، وتلتمه وتقف عنده وتنتهي إليه .

﴿ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾ (٤٦) ﴿ (١) .

وليس هناك منتهى دون الله سبحانه وتعالى ، وكل منتهى دونه هو منتهى مزيف فاسد ، أما المنتهى الحق فهو الله سبحانه وتعالى .

﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٦١) ﴿ (٢) .

وتنتهي أعمال الحج بأسباب إلى متى وسكت فيها لرحم مصدر نشر إبليس مرة ومرة ومرة ..

وما كان رحم إبليس إلا رحمة لعامل قوى من عوامل الفساد والمعصية والإثم . إن المسلم يرحمه مؤكداً بذلك لرحم أنه تغلص إلى الأبد من الشر ، من المعاصي ، من كل ما يعصب الله سبحانه وتعالى ، وذلك هو العيد حقيقة ، وليهجة والسعادة .

والعيد الإسلامي عقب الحج إنما هو احتفال عام في الأمة الإسلامية بمن انتهى بهم الحج إلى إسلام الوجه لله .

إن العيد الأكبر إنما هو حمل تكريم لمن سشقام أمرهم على لجة ، لمن دخلوا بالحج في عباد الرحمن ، لمن أسلموا وجههم لله سبحانه وتعالى ، لمن أسلموا

* * *

(٢) الممتحنة ٤

(١) البجم ٤٧

الجهاد

الجهاد الإسلامى جهاد من أجل المبادئ الكريمة

يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمُ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (٧٥) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) ﴾ (١)

ويقول عز وجل :

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ اسْتَهْوُوا فَلَا عُذْرَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (٩٣) ﴾ (٢) .

ويقول سبحانه :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١٤) ﴾ (٣) .

من هذه النصوص القرآنية الكريمة ، نتبين أن الجهاد فى الإسلام ، إنما هو جهاد من أجل فكرة ، هذه الفكرة هى ما عبر عنه سبحانه ، بسبيل الله ، وسبيل الله هو الحق والعدل ولاحق ، فالقتال فى الإسلام ، إنما كان من أجل

١ - أن يكون الدين كله لله .

٢ - وألا تكون فتنة .

٣ - ومن أجل المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين لا حول لهم ولا قوة.

(١) النساء ٧٥ - ٧٦

(٢) البقرة ١٩٣

(٣) البقرة ٢١٤

الذين يبالون من عسف الطفافة وبغيهم الشر الكثير فيضرعون إلى الله سبحانه
أن يقدهم من الظلم .

٤ - ثم من أجل هؤلاء الذين أخرجوا من ديارهم ومن أموالهم بغير حق إلا أن
يقولوا ربنا الله .

وقد يتساءل إنسان :

ما هو سبيل الله ؟

وكيف يكون الدين كله لله ؟

ومن أجل بيان سبيل الله سبحانه نذكر بعض لمبادئ الإسلامية متضمنة
هي قصص واقعية تصور طريق الرشاد ، وطريق البغي ، تصور أولياء الله ، وأولياء
الشیطان

(أ) من أولى هذه القصص قصة هؤلاء الذين هاجروا بدينهم إلى الحبشة

لم تكن هجرتهم هجرة سياحة يستمتعون فيها بشهواتهم ملين دامي
الاهواء ، ولم تكن هجرتهم هجرة لنيل بصيوتها ، أو امرأة ينكحونها ، وبما
هاجروا بدينهم وليسهم لقد هاجروا حتى لا تمتهم الطماعة الظالمون لقد هاجروا
لله ، ولتحق الكريم ، وللمثل العليا

إنهم خرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله .

فلما سافروا بدينهم إلى الحبشة ، أرسى ثقرشيون وهذا إلى النجاشي فيه
عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص لرد المهاجرين إلى مكة ليعذبوهم من
جديد ، ولما استقى الوفد بالنجاشي قال له عمرو بن العاص

إنه قد لحا إلى بلدك مما غلبن سمهاء ، هارقوا دين قومهم ، وهم يدخلوا هي
دينك ، وجاموا بدين ابتدعوه ، لا يعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعث إليك هيهم
أشرف قومهم من آبائهم وأعمامهم ، وعشائرتهم لتردهم عليهم ، فهم أعلم بهم
عينا (أي أبصر بهم) وأعلم بما عابوا عندهم .

فلما سمع النجاشي كلامهم رأى أن من الحكمة ألا يسلم إليهم المهاجرين
دور أن يسمع كلامهم ، وحجتهم ، فأرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ ، فدعاهم ،
فلما جاءوا قال لهم :

ما هـد الدين الـدى قد هارقتـم فيه قـومكم ، ولم تدخلوا فى دينى ولا دين
أحد من هـد الملئ ؟

هـكن الـدى كلمه جعفر بن أبى طالب ، فقال نه .

أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية . نعبد الأصنام ، وبأكل الميتة ونأتي
الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسئ الجوار ، وبأكل القوى منا الضعيف {
هـكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبـه ، وصدقـه ،
وأمانـته ، وعصافـه . هـدعنا إلى الله ، لنوحده ونعبدـه . ونحـلـع ما كنا نعبد نحن
وأبائنا من دونه من الحجارة والأوثان ..

أمرنا بصديق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف
عن المحرم ، والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف
المحصة . وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشارك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة
والصيام .. وعهد عليه أمور الإسلام .

هـصدقناه وأما به ، وأتبعناه على ما جاء به من الله ، هـعبدنا الله وحده ،
ولم نشارك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لك .

هـعدا علينا قوما هـعذبونا ، وهـتوبوا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان
من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا
وظلمونا وصيقوا علينا ، وحلوا بيننا وبين دين ، خرجنا إلى بلادك .

ولما قرأ عليه صدرا من سورة مريم ، يكى النجاشي ثم قال

إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة .

ثم التفت إلى عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص فقال لهما

« انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكما »

لقد علم النجاشي ، هو سماعه ، المبادئ الإسلامية :

أن هذه المبادئ حق ، وأنها آيات بينات لا يحفى صدقها على أصحاب الفطر
السليلة ، وعلم أن ما أتى به محمد ، صلوات الله عليه وسلامه إنما يصدر من
المنبع الذى كانت تصدر عنه رسالة عيسى عليه السلام .

وسبيل الله كما صورته سيدنا جعفر * توحيد الله وعبادته وحده ، وصديق
لحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الحوار ، والكفا عن المحارم والدماء ،
ورقامة الصلاة وأداء الركاة والصيام ..

والابتعاد عن المباحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة .
أما سبيل الشيطان فهو :

عبادة الأصنام ، عبادة الشهوة ، والسيطرة ، والاستعلاء ، واستعداد الآخرين
ولإخراج الأمنين من ديارهم بغير حق .

وسبيل الشيطان ، إثيان الفواحش ، وقطع لأرحام ، وإساءة الجوار ، وأن
يأكل القوى الضعيف .

وسبيل الشيطان أيضا * قول الزور ، وإشاعة الأكاذيب ، والغش بكل طريقه
واساليب ، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ،

(ب) وإذا أردنا تصويرا آخر لسبيل الله * هي إحماله وعمومه - حسنا
رآه أحد حكماء العرب - ولم يكن قد أسلم وهو أكنث بن صيفي فثبت - تصويرا
للأمر هي واقعه - تذكر القصة التالية :

لما ظهر النبي ﷺ بمكة ، ودعا إلى الإسلام ، بعث أكنث بن صيفي اسمه
« حبش » فاتاه بحبره ، فجمع بنو تميم ، وقال لهم - فيما قال :

إن ابني شافه هذا الرجل مشافهة ، وأنا بنو بحبره وكتابه * يأمر بالمعروف ،
وينهى فيه عن المنكر ويأخذ فيه بمعاسن الأخلاق . ويدعو إلى توحيد الله تعالى
وخلع الأوثان ، وترك لحلم بالنيران وقد حلف (صرف) ذور الراي منكم أن
العصل ههنا يدعو إليه ، وأن الراي ، ترك ما ينهى عنه

ثم يقول هذه الكلمات الرائعة

« إن الذي يدعو إليه محمد ، لو لم يكن ديناً ، لكان في أخلاق الناس حسناً .
وسبيل الله كما رآه أكنث

توحيد الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأخذ بمعاسن الأخلاق .

وكلمة الأحب بمحاسن الأخلاق ، كلمة حميدة جمعت فاستغرقت ، وشملت
جمعت .

أما كلمته لرائعة حقاً ، السامية حقاً ، العجيبة في صدقها وإيجازها
وفصاحتها فهي قوله :

« إن الذي يدعو إليه محمد ، لو لم يكن دينا ، لكان في أخلاق الناس حسنا .
(ج) على أن أبا سفيان قبل إسلامه ، وقد كان عدوا لدود للإسلام ثم
يستطع أن ينكر أن محمدا ﷺ ، إنما يدعو إلى -

الصلة والزكاة والصلة (صلة الأرحام ، وصلة المؤمنين ومودتهم) ولعصفه
لقد أعرب أبو سفيان ذلك في ملأ من الأشهاد ردا على سؤال هرقل كما رواه الإمام
البخاري رضي الله عنه .

(د) وسبيل الله هو ما رسمه الله سبحانه ، وأمر على رسوله ﷺ ، فكان
قرآنا ، وكان سنة .

وسبيل الله بحسب القرآن الكريم والسنة الشريفة يتطور ويتمركز في -

١ - التوحيد في مجال العقيدة

٢ - الرحمة في المجال الأخلاقي

٣ - العدل في مجال التشريع .

يقول سبحانه وتعالى في لعقيدة :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢٥) ﴿ (١) .

ويذكر سبحانه من شواهد ذلك على لسان سيدنا هود :

﴿ وَإِلَى عادٍ أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرهِ إن أنتم إلا
مفترون (٥٠) يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الذي فطرنى أفلا تعقلون (٥١) ويا
قوم استعصموا ربكم ثم توبوا ليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا
تتولوا مجرمين (٥٢) ﴾ (٢) .

(٢) هود ٥٢

(١) الأنبياء ٢٥

وعلى سنان سيدنا صالح :

﴿ وَإِنِّي ثَمُودُ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ قُرِشًا كَفَرُوا
بِالْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَإِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (١)

وعلى لسان سيدنا شعيب :

﴿ وَإِنِّي مَدْيَنُ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا
الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٢﴾ ﴾ (٢)

ويقول عز وجل موضعا سبيله أمرا ونهيا

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (٣)

ويقول تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُمَاسِكَنَّ عَلَىٰ أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا
يُرْبِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِهِنَّ بِهِنَّ بِفِتْنَةٍ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ
فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٤)

ويقول سبحانه :

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ الْأَلْفَاكُ بِمِثْقَلِ ذَرَّةٍ مِّنَ الْبَاطِلِ إِنَّهُ يَكْتُمُهَا
وَيَكْبِتُهَا إِنَّهَا مُذْنَبٌ غَالِبٌ أَلَمْ تَكُنْ مِن مَّنْ أَمْلَاقِ نَحْسٍ مَّرْزُوقُكُمْ وَبَيَّأَكُمْ وَبَيَّأَكُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا
النَفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمُ وصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا تَكُلْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمُ وصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٦﴾ وَإِذَا
هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكَمُ وصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (٥)

(٢) هود ٨٤

(١) الممتحنة ١٢

(١) هود ٦١

(٢) النحل ٩

(٥) الأنعام ١٥٦، ١٥٧

ويجمل رسول الله ﷺ ، رسالته في قوله :

« نما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وما من شك في أن مكارم الأخلاق :

هي الاعتقاد ، التوحيد .

وفي التشريع : العدل .

وهي الأخلاق : الرحمة .

وحينما يتحدث الرحمن الرحيم ، الودود القريب المحيب ، عن بواطن الرسالة الإسلامية : عن حكمتها ، عن صانعها ، عن سميتها الممة ، عن سماتها الخاصة ، فإنه سبحانه يعلنها : رحمة .

يقول سبحانه

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

هذا هو سبيل الله ، وهذا هو الرسالة ، لتي كلفت الأمة الإسلامية بالإيمان بها ، والتشير بها ، والقيام عليها ، وتدعيمها في الأرض والآفاق . ولو هتعت الأقطار أبوها للدعوة بها والتشير بمبادئها ، وهي توحيد وعدل ورحمة

ولو آمنت بها الجماعات والشعوب ، وهي حق وخير .

ولو هتنتها الأمرد والأمم وفيها خيرهم وسعادتهم لما احتاجت الأمة الإسلامية إلى الجهد بالسيف . ولما كان قتال في سبيل الدعوة

ولكن ان رسول ﷺ ، أحد يدعو قومه ليلا ونهارا فلم يردهم دعاؤه إلا إعرصا ، وكان كلما دعاهم إلى سبيل الله جعلوا أصابعهم في آذانهم واستمضوا ثيابهم واصبروا ، واستكبروا استكبارا ، لقد دعاهم الرسول ﷺ ، جهارا بعد أن دعاهم سرا قبل أن يؤمر بالدعوة جهرا .

ثم يعتجب المشركون إلى التوحيد والعدل ، لم يستجيبوا إلى افضيلة

(١) الأنبياء ١٠٧

ومكارم الأخلاق . ولم يأخذوا لموقف اسلبى من الدعوة فحسب ، وإنما استمروا
فى ظلمهم وطمعياتهم وحيلوتهم . فعذبوا المسلمين ، وأخرجوهم من ديارهم ، فسرلت
الآية الكريمة ،

﴿ أَدْنُ لِلدِّينِ يُفَاتِلُونَ بَأْسَهُمْ ظَنُّوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩﴾ الدِّينُ أَخْرَجُوا مِنْ
دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَبْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَبِيعَ
وَصَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَصْرُنَّ اللَّهُ مِنَ نَصْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ
عَزِيزٌ ﴿١﴾ ﴿٢﴾

لقد نفى المشركون ، وأخرجوا النبى ﷺ ، من بين أظهرهم وهموا بقتله
وشردوا أصحابه شذر مذر ، هذب منهم طائفة إلى الحبشة وآخرون إلى المدينة (٢)
وأسباب الإذن بالقتال أسباب عامة ، إنها أسباب الجهاد الإسلامى فى سبيل
الله ، فى كل زمن ، وفى كل بيئة ، وهى مع تظلم على وجه العموم الظلم فى
صوره البشعة المتعدده التى منها إحراج الأبرياء الآمين من ديارهم ، ومن أموالهم ،
أو إيمانهم فيها على حادثة من الدل ، ومن لاستعباد لا يرضى إنسانية ولا حلما
كراما .

وهى أيضاً الاحراف عن الحق ، والخير ، وعن التوحيد والعدل
وجاء الإذن بالقتال .

وجاء الأمر بالجهاد

وجاء التشجيع على الجهاد مع الأمر به .

وكان التشجيع على الجهاد يتجه إلى الناحية النفسية البحتة أحيانا .

وأحيانا أخرى كان يتجه إلى الناحية الاجتماعية ، ومكانة الأمة الإسلامية
فى الكون .

وكان يتجه فى بعض الأحيان إلى بيان الأسباب والبواعث

وينتجه أيضا مع كل هذا إلى بيان الثواب والأجر من الله سبحانه وتعالى

(١) الحج ، ٣٩ ، ٤٠

(٢) ابن كثير فى تفسير آية الإذن بالقتال

الجهاد

الجهاد في السلم والحرب :

يقول الله تعالى

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢١٦) ﴿ ١ ﴾ .

وروى الإمام مسلم ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ

« من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من البعاق » .

والآية الكريمة يؤيدها آيات كثيرة في معناها ، والحديث الشريف تعصده

أحاديث لا تكاد تعد ، كلها توجب الجهاد في سبيل الله ، وتفرسه فرصة في صورة المختلفة المتعددة .

إنه فرض يتسع مداه ويختلف بحسب الظروف والملابسات ، وهو فرض

تختلف صورته باختلاف الحاجة إليه في السلم والحرب .

والجهاد في حالة السلم استعداد لا يمتز ، إنه استعداد معنوي يقوى الإيمان ،

ويثبت الاعتماد على الله ، وهو استعداد مادي لا يقتصر على راوية واحدة من الزوايا المطلوبة للقوة .

لقد كان رسول الله ﷺ : يشجع على الرماية ، ويسر حينما يرى شباب

الإسلام يتعلمها ، روى البخاري عن سلمة بن الأكوع ، رضى الله عنه قال مر
النبي ﷺ ، على نفر ينتضلون فقال :

« ارموا بنى إسماعيل ، فإن أباكم كان راميا » .

وكان صلوات الله وسلامه عليه ، يكره أن يرى الرجل قد تعلم الرمي ثم

تركه ، وأمله .

روى الإمام مسلم عن ابن حماد ، رضى الله عنه أنه قال ، قال رسول

الله ﷺ

« من علم الرمي ثم تركه ، فليس منا ، أو فقد عصي » .

ولم ينس صلوات الله وسلامه عليه صناعة لأسهم ، وجبر صانعها ، وأن حزره الجنة ما دمت في سبيل الله ، فعن أبي داود رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، قال :

« إن لله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نصر الجنة ، صانعه يحاسب في صنعته الخير ، والرامي به ، ومثبه .

وارموا ، واركبوا ، وإن ترموا أحب إلي من أن تركبوا ، ومن ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه ، فإنها نعمة تركها ، أو قال كسرهما » .

وحدث رسول الله ﷺ ، على تعلم ركوب الخيل ، فروسية وجهادا ، وعلى اقتنائها وعلى الإنفاق عليها ، وقد كان صلوات الله وسلامه عليه يحبها ، ويركها ، ويدلها

فعن ابن يسار رضي الله عنه ، هينما رواء الإمام أحمد والنسائي ، أنه لم يكن شيء أحب إلي رسول الله ، ﷺ ، من الخيل ، وهو صلوات الله وسلامه عليه لفائل فيما رواء البحاري ومسلم

« الخيل معقود هي نواصيها الخير ، والأجر ، والمغرم إلى يوم القيامة » .

وعن هذا الاستعداد المادي ، والمصوى يقول الله تعالى ، أمرا موجبا

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ (١) .

سواء كانت هذه القوة مادية ، أو معنوية ، والاستطاعة هي واقع الأمر لا حدود لها ، وهذا الإعداد إدس لا ينهي ، ولا يفتر في أي يوم من الأيام

على أن الله سبحانه قد ربط لإيمان بالجهاد هي صورة محكمة متماسكة لا انفصام بها ، لقد ربط لله سبحانه الجهاد بالإيمان ربطا بحيث يروى الإيمان عند الفرار من الجهاد وعند انكوص عنه

« من عقد لإيمان الذي يبني - وبين الله سبحانه وتعالى من أهم شروطه أن يسع - بمقتضى هذا العقد - أنفس وأموالها مجاهدين بذلك في سبيل الله ، ولهم ذلك إنما هو الجنة - وبصور الله تعالى ذلك هي هذه الآية الصريحة .

(١) الأنفال ٦٠

﴿ إِنْ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعِندَ اللَّهِ عِندَهُ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١) .

وحينما برلت هذه الآية قال الصحابة ، رضوان الله عليهم ربح البيع لا نقيل ، ولا ستقيل

والمؤمن إذن مجاهد في سبيل الله ، في كل أوقاته ، إنه مجاهد بعماله ، ومجاهد بنفسه ، ومجاهد بوقته ، ومجاهد بعمله ، ومجاهد بلسانه ، إن الكفار الإنساني كله يجب أن يكون جهادا في كل فترات الحياة ، ومن أجل ذلك كان المسلمون الأول يتسابقون إلى الجهاد ، والله سبحانه يصور شأنهم فيقول

﴿ لَا يَسْتَنْدُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (٢)

أما المناهقون ، وأما الذين لا إيمان لهم ، فبهم يتمحلون المادير فرار من الجهاد ، ويستأذنون في النكوص عنه ويخرجون إلى الاستقامة عنه ، والمتور والله سبحانه يوضحهم مصورا ظاهرا وباطنا :

﴿ إِنَّمَا يَسْتَنْدُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَبَتْ قُلُوبُهُمْ فَبِهِمْ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (٣) .

وبعد هابه من أجل إرضاء الله سبحانه وتعالى ، ومن أجل دخول الجنة ، حيث النظر إلى وجهه الكريم يتسابق المسلمون في الجهاد ، وروى الإمام مسلم عن أنس ، رضي الله عنه قال :

« انطلق رسول الله ﷺ ، وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر ، وحاء المشركون فقال رسول الله ﷺ :

« لا يقدم أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه » .

(١) التوبة ١١١

(٢) التوبة ٤٤

(٣) توبة ١٥٠

ههنا لمشركون ، فقال رسول الله ﷺ

« قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض » .

فقال عمير الأنصاري ، رضى الله عنه :

يا رسول الله ، جنة عرضها السموات والأرض ؟

قال . نعم

قال : بخ بخ .

فقال رسول الله ﷺ ما يحملك على قول بخ بخ ؟

قال لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها .

قال فأنت من أهلها .

فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال

لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه ، إنها لحياة طويلة .

فرمى بها كان معه من التمرات ، ثم قاتلهم حتى قتل . رواه مسلم .

وأما بعد فإن رسول الله ﷺ ، وهو لمعبر الصادق دثما عن موقف المؤمن ،

يقول فيما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

« والدي نعم محمد بيده لوددت أن أمرو في سبيل الله فأقتل ، ثم أعزوا

فأقتل ، ثم أعزوا فأقتل » .

وما ذلك من رسول الله ، ﷺ ، إلا لمعرفته بما يقال الشهيد ، من رضوان

الله . لقد فرض الله سبحانه وتعالى الجهاد على المسلمين ، في أسلوب لا لبس

فيه ولا غموض ، فقال تعالى

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرَّةُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ

تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٠) ﴿ (١)

ومن المعروف أن هذه ، تعرضية إنما هي عرضية كفاية إذا لم يكر العدو في

(١) البقرة ٢١٦

داخل بلاد الإسلام ، أما إذا كان العدو في داخل بلاد الإسلام فإن الجهاد يصبح فرض عين على كل مسلم أيما كان ،

إذا كان العدو مثلاً فلسطين كما هو الآن ، فإن الجهاد واجب على مسلمي باكستان ، وعلى مسلمي الهند ، والجزائر ، وتونس ، إنه واجب على كل مسلم على ظهر المعمورة

وليس معنى ذلك أن كل شخص مهما كان عمله يجب عليه أن يترك عمله ، ويحمل السلاح ليذهب إلى الميدان ، وإنما معنى ذلك أن لدولة كلها يجب أن تعبئة كاملة للحرب ، وأن يسبق العمل بحيث يصبح لجهاد هدفه تسخير كل القوى من أجله ، وبذلك يكون العامل والصانع مجاهداً وإن كان في عمله أو في مصنعه .

وعلى جميع الدول الإسلامية الآن أن تعبئ هواها لتؤدي فريضة الجهاد في هذه البقعة التي عتصمت من أرض الإسلام والعروبة ، وإلا أثم كل فرد ، وأثمت كل دولة .

والموقف الإسلامي لدى لا موقف غيره بالنسبة للجهاد ، إنما هو أن يستعد كل مسلم لأن يصبح جندياً في سبيل الله بنفسه وبماله ،

لقد مر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، ذات يوم بعين من ماء عذبة فأعجبه فأراد أن يقيم بجوارها يعد الله ، ويعتزل الناس ، أراد أن يعتكف في لجبل بجوار العين يشرب من مائها ، ويأكل من البساتين التي تنبت حولها ، وبمكث راضى النفس هديئ البال ثم قال لنفسه لن أفعل حتى أستاذ رسول الله ، وذكر لرسول الله ﷺ ، ما دار بعده ، فقال له ﷺ

« لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين

عاماً

إلا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة عروا في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله ، فهو قاتل وجبت له الجنة » .

به فرض على كل مسلم أن يعد نفسه باستمرار على أن يكون جندياً في سبيل الله ، وفرض عليه أن يتعهد بنفسه دائماً حتى لا تروى هذه لصمة عنه ، فإن

وقال تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١) ﴿

وقال تعالى

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٤٢) ﴿ (٢) .

وقال تعالى :

﴿ وَسَبِّحُوا حَتَّى يَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَصَّابِرِينَ وَسَبِّحُوا أَحْبَارَكُمْ ﴾ (٣) ﴿ (٣)

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٧٤) ﴿ (٤)

وقال تعالى :

﴿ اسْرَوْا حِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دَرِكُمْ حَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٤) ﴿ (٥) .

وقال تعالى :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٦) ﴿
وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَأَنْفُسُهُ أَشَدُّ مِنْ أَنْفُلِ ﴾ (٦) ﴿ (٦)

(١) النوبة ٦

(٢) آل عمران ١٤٢

(٣) محمد ٢١

(٤) النساء ٧٤

(٥) النوبة ١

(٦) البقرة ١٩١

وقال تعالى :

﴿وَنَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ اسْبَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٩٣) ﴿١﴾

وقال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا لَبِئْسَ حَرْصُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْإِقْتَانِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الدِّينِيِّ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٦٥) ^{الآن} حَفَفَ لِسَانَهُ عَنْكُمْ وَعَلَّمَ أَنَّ فِيكُمْ صَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٦٦) ﴿٢﴾

وقال تعالى

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَرْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا حَبًّا إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٤) ﴿٣﴾

وقال تعالى :

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ جَنَّبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أُنْكُمُ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِمْوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (٧٨) ﴿١﴾

وقال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ عَظِيمٍ﴾ (٥)

(١) البقرة ١٩٣

(٢) الأنفال ٦٥ ٦٦

(٣) توبه ٢٤

(٤) الحج ٧٨

(٥) العنكبوت ٦٩

أما أحاديثه ﷺ ، فإنها كثيرة مستمصة نذكر منها ما يلي

عن أبي ذر رضى الله عنه ، قال : قلت يا رسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال : « الإيمان بالله والجهاد فى سبيله » (١) .

وعن أبي داود بإسناد صحيح ، عن أنس رضى الله عنه ، أن النبى ﷺ قال

« جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » (٢) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه - فسيما رواه الإمام مسلم قال قال رسول الله ﷺ .

« من مات ولم يغفر ولم يحدث نفسه بغزو ، مات على شعبة من النفاق » .

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

« من عسرت قدماء فى الجهاد - فى سبيل الله حرم الله سائر جسده على النار » (٣) .

وعن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول

« عينا لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله تعالى وعين باتت تحرس فى سبيل الله تعالى » (٤) .

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال

« قيل : يا رسول الله ، أى الناس أفضل ؟ قال : « مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله » (٥)

وعن سهل بن سعد لساعدي ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال

« رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد - فى الجهاد - فى سبيل الله والعدوة خير من الدنيا وما عليها » (٦) .

(١) رواه البخارى ومسلم

(٢) أخرجه المسند

(٣) أخرجه الطبرانى فى الأوسط

(٤) أخرجه الترمذى ،

(٥) أخرجه البخارى

(٦) أخرجه الشافعى .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال « مر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ،
بشمب فيه عبيبة من ماء هذبة ، فأعجبته فقال :

لو أنزلت الناس فأقمت في هذا الشعب ؛ لئى أفعل حتى استأذن
رسول الله ، ﷺ .

فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، قال

« لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته
سبعين عاما ، ألا تحبون أن يعمر الله لكم ، ويدخلكم الجنة ؟ عرو هي سبيل الله ،
من قاتل في سبيل الله فواق ناقة ؛ وجنت له الجنة » (١)

رواه الترمذى وقال : حديث حسن ، والمواق ما بين الحلبين .

وروى أبو داود بإسناد جيد ، عن أبي أمامة ، رضي الله عنه أن رجلا قال
يا رسول الله ، أئذن لى فى السباحة فقال النبى ﷺ

« إن سباحة أمتى الجهاد فى سبيل الله عز وجل » .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه ، أنه عليه الصلاة والسلام قال

« من لم يفر ، ولم يجهز مازيا ، أو يخلف غاريا فى أهله بخير . أضاه الله
تعالى بقارعة قبل يوم القيامة » (٢) .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ

« وإذا تركتم الجهاد سلط عليكم ذلا ، لا ينزع عنه عنكم حتى ترحموا إلى
دينكم » (٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« لعدوة أو روحة فى سبيل الله ، خير من الدنيا وما فيها » (٤) .

وعن جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه ، قال :

(١) رواه أبو داود

(٢) أخرجه أبو داود

(٣) أخرجه أبو داود

(٤) المحوطه البخارى

« لما قتل عبد الله بن عمرو بن حزام يوم حد قال رسول الله ﷺ لآبيه جابر :

« يا جابر ، ألا أحبك ما قال الله عز وجل لأبيك » ؟

قلت : بلى

قال : « ما كلم الله أحدا إلا من وراء حجاب ، وكلم أباك كفاحا ، فقال :
يا عبيدي ، تمن على أعطاك .

قال : يا رب تعيبنى فاقتل هيك ثانية .

قال : إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون .

قال : يا رب ضائع من ورائي فانزل الله عز وجل هذه الآية

« ولا تحسبن الدين قبلوا في سبيل الله مواتا ، بل أحياء عند ربهم
يرزقون » (١) .

ويقول رسول الله ﷺ : فيما رواه الإمام مسلم - عن أبي هريرة رضى الله
عنه

« تضمن الله لمن خرج في سبيله ، لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي ، ويمان
بى ، وتصديق برسلى ، فهو ضامن أن أدخله الجنة ، أو أرحمه إلى منزله الذى
خرج بها نال من أجر أو غيبة .

والذى نفس محمد بيده ما من كم (٢) يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم
القيامة كهيشته يوم كلم ، لونه لون دم ، وريحه ريح مسك .

والذى نفس محمد بيده ، لولا أن يشق على المسلمين ، ما قدمت حلاف
سرية تغزو في سبيل الله أبدا ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة ،
ويشق عليهم أن يتعلموا عنى .

والذى نفس محمد بيده لو ددت أن أغزو في سبيل الله فاقتل ، ثم أغزو
فاقتل ، ثم أغزو فاقتل ، (٣) .

(١) أخرجه البخارى

(٢) الكلم ، الجرح

(٣) رواه مسلم وروى البخارى بمعناه

القادر على الجهاد المتخلف عنه غير مؤمن

إذا تخلف شخص عن أداء واجبه بالنسبة للجهاد ، فقد خرج على مبدأ الإسلامى الإلهى ، فقد أمر الله بالجهاد وحذر من التخلف، ولقد قال الله تعالى
هى من تناقل عن الجهاد :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ اسْرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ أَقْلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ
أُرْصِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ لَاحِرَةٍ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (٢٨) **﴿ لَا تَسْرُوْا
بِعَدْبِكُمْ عَدَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَصْرُوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾** (٢٩) **﴿ ١١٠ ﴾**
ويبين الله تعالى ، أن هؤلاء الدين يتحرون من القتال لا إيمان لهم بالله ولا
باليوم الآخر ، فيقول سبحانه :

﴿ لَا يَسْتَدْنِكَ الَّذِينَ يَزْمُونُ بِاللَّهِ وَأَيُّومَ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (١١) **﴿ إِنَّمَا يَسْتَدْنِكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي
رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾** (١٥) **﴿ ٢٠ ﴾** .

وهذا الذى يتخلف إنما يتخلف معتقدا أنه بذلك يبتعد عن مظن القتل
وقد بينا فيما سبق أن الآجال معدودة .

وهذا سيدنا خالد بن الوليد رضى الله عنه ، حينما أوشك على الموت كان
حينما كله ضربات بسيفه ، أو طعنات بحاجره ، ثم هو يموت على فراشه أسف
لأنه كان يتمنى أن يموت فى ساحة الحرب شهيداً .

فما الجبن لا بطيل الأجل ، ولا نامت أعين الجبناء ، والشجاعة لا تقصر
الآجال ، والله يجرى الشجعان عن الإنسانية وعن الدين كل خير .

بيانات إلهية للمؤمنين من أجل النصر

١ - حتى لا يكون المسلم جانا :

إن لإنسانية الساذجة - منذ أن وجدت الانسانية - تحف الموت وتحشه
حشية لا تكاد تعدلها حشية .

وكان لذلك نتائج سيوكية كثيرة من هذه النتائج الجين
وقد أحب الله سبحانه وتعالى ، ألا تقع الأمة الإسلامية فيما يمع فيه
غيرها من الحس حشية الموت ، فيس سبحانه ، الأمر هي القرآن ، وبينه رسول الله
ﷺ ، هي السنة بيانا لا لبس فيه .

إن ممالك الملك إنما هو وحده الذي يملك الموت والحياة ، إنه يملك إماتة
الطفلة أو تركهم لحكمة يعلمها سبحانه ، وهو الذي قرر لأجل وحدتها ، فإذا جاء
أجلهم لا يستأخرون ساعة ، ولا يستقدمون ، والحرص على الحياة أو الحس يسر
من أسباب طالة الأجل ، والشجاعة والإقدام ليس من أسباب تقصير الأجل ، وقد
بين الله ذلك في كتابه الكريم ، بانه تامة ، وكما أنه لكل أجل كتابا فإنه لكل أمة
أجلا .

أما هؤلاء الذين قالوا :

﴿ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ﴾

فإن الله سبحانه وتعالى يرد عليهم :

﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ (١)

وهؤلاء الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا

﴿ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾

فإن الله سبحانه وتعالى ، يأمر رسول الله ﷺ بأن يرد عنهم قتلنا

(١) آل عمران ١٥٤

﴿ فَادْرُءُوا عَنِ الصُّفُوفِ أَمْوَاتٌ وَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) .

أما الذين يقرون أمام أعداء الله ، فهؤلاء :

﴿ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ .

إذن المؤمن الصادق الإيمان لا يعرف الجبن ولا يستتره شيطان موسوساً له بالخوف من غير الله تعالى :

٢ - وحتى لا يكون المسلم جباناً :

وإذا كان خوف الموت هو السبب الأول في الجبن ، فإن السبب الثاني ما يوسوسه الشيطان للإنسان من جاب الرزق وكيف يتوافر للأولاد والذرية من بنين وبنات وروحة إذا ذهب للحرب وإذا قدر له الشهادة فيها .

وكما استفاض الله ورسوله ، في البيان عن تحديد الآجال ، فقد استفاض الله ورسوله في بيان أن الرزق مقسوم .

وكما حرر الإسلام المجتمع الإسلامي من خوف الموت فقد حرره أيضاً من هم الرزق بالنسبة للإنسان نفسه الذي يكفل لأسرة ، وبالنسبة للأسرة نفسها فرداً فرداً ، يستوى في ذلك حالة النسم وحالة لحرب . ذلك أن الرزق بيد الله ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرُّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا ﴾ (٢) .

﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ بِهَا وَمَا يُنْكَرُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣) .

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى . أن الرزق في السماء محدد مقسوم ، وأقسم سبحانه على أن ذلك حق واقع ، لقد أقسم سبحانه لما يعلمه من ضعف الطبيعة البشرية وإشفاقها وقلة ما بالنسبة لأمر الرزق ، يقول سبحانه :

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (٤) فَوَيْلٌ لِلنَّاسِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطَقُونَ ﴾ (٥)

(١) آل عمران : ١٦٨

(٢) هود : ٦٠

(٣) الذاريات : ٢٢ ، ٢٣

(٤) فاطر : ٦

عنى أن صاحب الثراء لمريض الذى يعتمد على ثرائه غير باطئ إلى الله تعالى . واهب الرزق والثراء ، قد يخسف الله به ويداره الأرض كما صنع بقارون . أو يطوف بسباتينه ومرارعه طائف منه سببانه فتصبح حاوية على عروشها كما فعل سببانه بأصحاب الجنة لى قص علينا أمرهم فى لقرآن لكریم هى سورة النهم .

ومما من شك فى أن السعى على الرزق مطلوب وأن من تدبب دبويا لا يكفره إلا السعى على الرزق ، وأن العمل الجاد الكادح ، إنما هو من سمات الإسلام ، كل ذلك حق ، وإذا كان الرزق بيد الله ، وإذا كان العمل مطلوب فإن ما ينهى عنه الإسلام إنما هو هذه الصورة الجشعة القلقة التى تحاول اقتناص لما من تسبل غير المشروعة أو التى ترى أن هذا من عباد الله بيده الرزق أعطاه ومنما ويده الرزق زيادة ونقص ، أو أخذا وترك .

وقد حرر لإسلام بموقفه هذا المجتمع الإسلامى من أن يكون هم الرزق سببا فى ضعفه أو ذلته .

٣ - ومن عوامل النصر وحدة الأمة :

يقول الله تعالى

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ۖ ﴾ (١)

ومما لا شك فيه أن الدعوة إلى وحدة الأمة هى من طبيعته الإسلام ومن مبادئه ذلك أنها وحدة قائمة على مبادئ ومثل كريمة .

فالإسلام لم يجعل أساس الوحدة لونا من الألوان ، فيفسق بين الأبيض والرجى ، أو الأصفر ، لأحمر ، وبكل بأحدهما دون مبرز وسلبه حقه فلما وعدونا .

إن أقطار على وجه الأرض ترعم لنفسها حصارة ، وتدعى أنها بلغت فى الإنسانية والمكر والثقافة شأوا بعيدا لا يزال يستعبد لها اللون ، مجرد اللون ، فتبكل بالأبرياء ، لا لئلا عليها ولا لئلاى أخلاقية ، فعملها مناف للمثل ، العليا والمبادئ الأخلاقية

(١) الأنبياء ١٢

وما الباعث على ظلم والتكيل ، وعلى الحسب والعدون سوى مجرد العصب بلون ، مجرد اللون .

ولنا في مقابل ذلك أن نضرب بالإسلام لدى يؤسس الوحدة بين الأشخاص على مبادئ من الحير ومن الحق .

وفي عصرنا الراهن أقطار لا تزال تمرق في المجتمع الواحد بين طبقات لا مجال للتفرقة بينها : لأنها نشأت في مكان واحد ، شربت من مائه ، وتعدت من خيراته ، واستنشقت في جوه سيماء و حذا . وكان الوضع الطبيعي ألا يكون هناك تفرقة بين أسائه ، ومع ذلك فإن هذه التفرقة موجودة فعلا في بعض الأقطار ، لم يثرها مبدأ أخلاقي ، أو هدف سام ، وإنما هي التقاليد والورثة

ولنا أن نضرب في مقابل ذلك بالإسلام الذي لا فصل فيه لعربي مني أعجمي ولا لأحمر على أسود ، ولا بالتقوى .

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (١) .

ووحدة المبادئ إذن تنتج في الإسلام وحدة الأمة وتضامنها وتكافئها .

هالمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولىاء بعض .

والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .

والمسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يحدله .

إن المسلم مرتبط بالمسلم أيما كان ، ووجدته واجبة أينما وجد ، ويدكرها الله ، سبحانه وتعالى ، برابطة المبادئ هذه ، وبأنها نعمة من الله تعالى في مقابل ما صنعه البشر من عبث وأهواء تجعل الارتباط يقوم على أساس من اللون أو من الجغرافية أو من غير ذلك مما يخلج الإنسانية حينما تتخلص من أهوائها أن تكون قد جعلت منه أساسا للارتباط وتحديد الأوطان

ويحشد الله تعالى على أن نستمسك بالوحدة على أساس من مبادئه
تسامية .

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا رَاذًى كَرَوَا نِعْمَتُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً

فَأَنْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ (٢)

(١) الحجرات ١٢ (٢) آل عمران ١٠٢

ورابطة المبدئ في الأفق السامية وفي الأنظار العليا أقوى من أية رابطة أخرى وأشد تماسكا من أي ارتباط أيا كان .

وبعد فإن وحدة الأمة لا بد لها لتستمر من التعاون المخلص بين افراد المجتمع

ولابد من الصيحة والموعظة و نصرب على أيدي المصريقين للوحدة .

٤ - حكم الله في موالاة الأعداء :

إن لأعداء محاربين لله ورسوله ، وكل من ولاهم إنما هو محارب لله ورسوله لأنه يتنصر أعداء الله على أولياء الله ، فهو من الأعداء ومعهم ، إنه عمله ذلك محارب لله ومحارب لرسول الله وقد قال الله تعالى

﴿ إِنَّمَا جَرَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُسْفَرُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جَزَاءُ حَرْبِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) .

وقد أورد الإسلام أن يضمن سلامة الداخل ، وأن يقوم ما استطاع أعداء الخارج ولو كانوا يتنصرون للإسلام فكان لابد من عقاب رادع لهؤلاء وأولئك يتمثل فيما يراه الحاكم الإسلامي مما ذكرته الآية الكريمة من القتل أو الصلب أو قطع الأيدي والأرجل من خلاف أو النفي ، ولقد بين الله سبحانه بالنسبة لهؤلاء وأولئك أنهم خارجون على الإسلام ، وأن الإيمان قد انتفى من قلوبهم يقول سبحانه

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حَرْبُ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ

حَرَبَ اللَّهُ هُمْ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢)

وكل من يوالى الأعداء إذن إنما هو كائن انتفى من قلبه الإيمان ، والموقف

(١) الآية ٢٢ سورة نازعة

(٢) الآية ٢٢ سورة المجادلة

ولقد تحدى المسلمون الأول - حكما ورعية - هذه المواقف للإسلامية
بالسببية للأعداء فيها هو المؤمن الصادق عبد الله بن عبد الله بن أبي يعرض على
رسول الله ﷺ أن يأتي له برأس أبيه إذا شاء ﷺ ذلك فيقول لرسول الله ﷺ
يا رسول الله ، إنه يلعب أباك تريد قتل عبد الله بن أبي ، فيما يلعب معه
فإن كنت فاعلا فمروني به وأنا أحمل إليك رأسه
وهذا هو الموقف الإسلامي الصحيح الأيوالى لمسلم من يحارب المسلمين
ولو كانوا أبناء أو إخوة أو عشيرة ، وإلا فقد به بغضب من الله والرسول
واستحق العذاب الأليم في الدنيا قبل الآخرة

يقول الله تعالى :

هذا العهد والتعاقد بين الله والمؤمنين ، بما هو عهد الإيمان ببيع فيه المؤمن نفسه وماله ، يقدمها إلى الله ، فلا يسحق بالمال في مسيئه سبحانه ، ولا ييخل بالنفس حينما تقتضى الظروف البذل والتضحية والمداينة والإيمان إذن وعن شرائطه لحدود بالمال والنفس - هو أول خطوة أساسية جوهريه في طريق النصر ، بل هو خطوة بدوياً لا يكون هناك قط أساس مستقيم ، تعتمد عليه الأمم ، ويعتمد عليه القارة هي سبيل اتخاذ مكان كرم بين الدول .

عني أن القرآن لا بعد المؤمن مؤمناً صادقاً إلا إذ كان مجاهداً بماله وبفسه في سبيل الله .

(٤) التوبة ١١١

(١١) التوبة ، ١٢٢

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (١) .

أما إذا كان الإيمان ضعفاً مزعزعا متارحجاً فإن نتيجة ذلك تكون تباطؤاً عن الخروج إلى الجهاد ، بل وتحلماً عنه :

﴿ لَا يَسْتَنْدِثُ الَّذِينَ يُمْنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٢) إِنَّمَا يَسْتَنْدِثُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (٣) .

بل إن وجود العناصر التي لا يملأ الإيمان أفئدتها هي صفوف المجاهدين ضار بهم :

﴿ لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ وَلَا تَخَافُوا أَكْثَالَ وَلَا تُؤْمِنُوا حَتْلًا لَكُمْ يَغْوِيَكُمْ الشَّيْطَانُ وَهُوَ كَذِبٌ سَمِيعٌ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٤) .

وصنعاء الإيمان ، ومن لا إيمان عندهم يفسخون حين يبدأ النضال ويتخلصون عن الجهاد فرحين بذلك

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْهَرُوا فِي لَعْنِ قُلُوبِ نَارٍ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ (٥) .

ويأمر القرآن الرسول ﷺ أن يعزل هذه العناصر عن مصمك المؤمنين وألا يأذن لهم بالمشاركة في الجهاد

﴿ فَإِنْ رَجَعْتَ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَشْدُوا لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَجِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾ (٦) .

هذا الإيمان هو إيمان إيجابي : يستعد ويهيئ للأمر عدته ، ولا يدع صغيرة

(١) الحجرات : ١٥

(٢) التوبة : ١١ ، ١٥

(٣) التوبة : ١٧ ،

(٤) التوبة : ٨١

(٥) التوبة : ٨٢

ولا كبيرة من أمر التعبئة للجهاد ، لا وبحكمها ، ومن هنا كانت الخطوة الثانية في طريق النصر ممثلة في قوله تعالى
﴿ وَاعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ (١) .

وهذه القوة لا تقتصر على القوة المادية ، وإنما تتضمنها وتوسع دائرتها فتشمل التعبئة الروحية .

ومما لا شك فيه أن التعبئة الروحية هي قوة دهشة نحر الثبات في لقاء العدو والإقدام في شجاعة نحو تحقيق النصر .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِدْلِهِمْ قِتَّةً فَاثِمَةً وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْحَمُونَ ﴾ (٢) .
والتعبئة الروحية ربما تثبت دعائمها ، وتؤتي ثمارها حينما يكون الهدف من الجهاد واضحاً سافراً

ومن هنا كانت الخطوة الثالثة التي رسمها القرآن في طريق النصر هي وضح الهدف ، والهدف القرني من الجهاد - ولا بأس من ذكره مرة ثانية - ليس عرصاً مدياً أو حظاً دنيوياً ، وما كانت هجرة لمجاهد لدينه يصيبها أو امرأة يكسها . وإنما محرته إلى الله ورسوله ، ومعنى ذلك أن هدف الجهاد إنما هو إعلاء كلمة الله وكلمة الله هي الحق ، وهي العدالة وهي الرحمة ، وهي الأخوة ، وهي السلام لعالمى ، بالنسبة للفرد في نفسه ودمه ، وماله ، وعرضه وبالنسبة للأمة في كرامتها ، وعزتها ، وكل مقدساتها

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٣) .

والتعبئة الروحية كصفة نأز تجعل الأمة في جهادها كالبيان المرصوص ، ومن هنا كانت الخطوة الرابعة التي رسمها القرآن في سبيل النصر .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ نَبِيًّا مَرْصُوعًا ﴾ (٤) .

﴿ وَلَا تَنَارَعُوا فِيهِ فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٥) .

(١) الأنفال ٦٠

(٢) الأنفال ٤٥

(٣) النساء ٧٦

(٤) المصفاة ١

(٥) الأنفال ٤٦

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ ﴾ (١)

فإذا ما وسوس الشيطان بزع أو خلاف ، وإذا ما تحدثت النفس بمرقة
وشفاق فإن طريقة تسوية ذلك مرسومة وصحة

﴿ فَإِنْ تَدَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
دَلَّكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝ ٥٩ ﴾ (٢).

إن الأمة التي تنصر الله باتباعها للدين الحاصل قد ضمن الله لها النصر
ووعدها به ووعد الله لا يتخلف :

﴿ إِنْ تَصَرُّوا، اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝ ٧ ﴾ (٣).

﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ ٤١ ﴾ (٤).

أما الموقف الأخير فهو تمويص لله سبحانه ، والثقة فيه وحده ، ولا اعتماد
عليه لا على النفس أو القوة المادية أو أى شيء آخر .

وقد أعطى الله المسلمين درساً قاسياً حينما عتمدوا على قوتهم وكثرتهم ،
وعلى أنصهم وعدتهم وعنادهم وقالوا :

« لَنْ يَغْلِبَ الْيَوْمَ مِنْ قَلَةٍ » .

كان ذلك في عروة حبي ، ولقد صور الله لموقف تصويراً قوياً فقال

سبحانه :

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاقِعَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغَرْبِكُمْ

شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝ ٢٥ ﴾ ثم أرسل الله سكينته على رسوله

وعلى المؤمنين وأسروا حتودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين (٢٦) ثم

يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله عفور رحيم (٢٧) ﴿ ٥ ﴾.

(١) آل عمران ١٠٢

(٢) النساء ٥٩

(٣) محمد ٧

(٤) الحج ٤

(٥) التوبة ٢٥ ، ٢٦

صفات ودروس حربية وأخلاقية من غزوات الرسول ﷺ

ليس من قصد أن نؤرخ للغزوات وأن نسير معها سيرا بعض جريئاتها
يبدأ مع ابتدائها وينتهي بنهايتها ، وإنما هدفنا في هذه الكلمات عن الغزوات أن
ستخرج منها بعض الميزات وبعض المعبر وأن نوضح بعض الجوانب التي قد تمر
دون انتباه حدير بها

غزوة بدر

غزوة بدر ووحدة الصف وراء القائد :

أتى تحبير إلى رسول الله ﷺ ، أن قريشا تكتلت وبدأت السير لحرب
المسلمين ، فجمع رسول الله ﷺ ، الناس وأحسرهم عن قريش وسيرها لحرب
المسلمين ، وأحد يستشيرهم فيما ينبغي أن يتخذ المسلمون من موقف ، فأخذ
المهاجرون ، رضي الله عنهم يبدون آراءهم .

وبما جاء دور لصحابي الجليل المقداد بن عمرو في الحديث قال
يا رسول الله ، امض لما أراك الله فمعك منك ، والله لا نقول لك كما قالت
بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ها هنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت
وربك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون .

فوالذي بعثك بالحق ، لو سرت بنا إلى مركب العماد - وبرك ، لقماد مكان
بأقصى اليمن - لجالدنا معك من دونه حتى تملعه .

هذا الموقف من المقداد بن عمرو ، تعني ابن مسعود ، رضي الله عنه أن
يكون صاحبه

روى عنه أبو نعيم أنه قال في ذلك : شهدت من المقداد بن عمرو مشهد لأن
أكون صاحبه أحب إلي مما عدت به .

وكذا قال المقداد ذلك ، قال له رسول الله ﷺ ، حيرا ، ودعا له به
ولم يكن الأبصار قد أمدوا رأيهم بعد فقال رسول الله ﷺ ، أشيروا علي

أيها الناس ، وإنما يريد الأنصار . وذلك لأنهم هم الأكثر عددا ، ولأنهم من جانب آخر حين يأيمروهم بالعقبة قالوا :

« يا رسول الله ، إنا براء من دمامك حتى تصل إلى دورنا ، فإذا وصلت إنيئنا فأنت في ذمتنا ، تمنعك مما تمنع منه أيمننا ونسائنا » .

فكان رسول الله ﷺ ، يتحوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصبره إلا من دمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عيهم ن يسير بهم إلى عدو خارج بلادهم .

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ ، قال له سعد بن معاذ

والله لكانك تريدنا يا رسول الله ؟

قال رسول الله ﷺ : أجل .

قال سعد رضي الله عنه

قد آمنت بك وصديقات . وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيتك على ذلك عهدنا وموالاتنا على السمع والطاعة ، فإمض يا رسول الله لما أردت فخص معك ، فوالدي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر ، تحصى ما معك ، ما تحلف منا رجل واحد ، وما نكره أن نلقى عدونا غدا ، إنا لنصبر في الحرب ، صدق في النماء ، نعل لله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله

قال سعد أيضا حسبيما رواه ابن كثير :

ولعل أن تكون حرجت لأمر وأحدث الله غيره ، فانظر الذي أحدث الله إليك هامص ، فصل حبال من شئت ، وقطع حبال من شئت ، وعاد من شئت ، وسالم من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت .

فسر رسول الله ﷺ ، بقول سعد ، كما سر من قبل بقول المقداد رضي الله عنهم أجمعين

وبعد فهما قول المقداد ، وما قول سعد ، لا شرح لموقف الذي يجب أن يكون عليه المؤمنون جميعاً ، وهو الموقف الذي صورته رسول الله ﷺ ، بالبتين المتمسك ، إذ يقول صلوات الله وسلامه عليه

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

ومثله صوت الله وسلامه عليه، بالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر،

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مثل المؤمن ، في توادهم ، وتراحيمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر »

٢ مشاوره القائد لأعوانه ونزوله على رأيهم إذا تبين أرجحيته :

لما نزل رسول الله ﷺ ، في بدر قال له الخباب بن المنذر

يا رسول الله ، أرايت هذا المنزل ، أمئلا أنزلك الله ليس لك أن تتقدمه ، ولا تتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟

قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة

هـ قال يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، هانئص بالناس ، حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل ، ثم نفق ما وراءه من القلب ، ثم نبى عليه حوضاً فتموه ماء ، ثم تقاتل القوم ، فشرب ولا يشربون .

فقال رسول الله ﷺ لقد أشرت بالرأى .

فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن معه من الناس ، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم أمر بالقلب فعمورت ، وبى حوضاً على الطلب انتهى نزل عليه ، فملئ ماء ، ثم هدوا فيه الآية

٣ الإعداد الكامل والالتجاء إلى الله :

عادل رسول الله ﷺ ، الصمصوف ، ورجع إلى العريش فدخله ، ومعه فيه أبو بكر الصديق ، ليس معه فيه غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، ياشد^(١) ربه ما وعد من النصر ، ويقول هيم يقول لهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد .

وأبو بكر يقول : يا سي الله نعم من ماضدتك ربك ، فإن الله منحرك

ما وعد لك

(١) ياشد ربه يسأله ويرغب إليه

وقد خفق ^(١) رسول الله ﷺ ، حمقة وهو في العرش ثم انشبه فقال
أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله ، هذا جبريل أخذ بعنان فرس يقوده ، على
شياء النقع ^(٢) .

٤ - دور الإيمان في المعركة :

(أ) { خرج رسول الله ﷺ ، إلى الناس فحرصهم وقال
والذي نفس محمد بيده ، لا يماثلهم اليوم رجل فيقبل صابراً محتسباً ،
مقبلاً غير مدبر ، لا أدخه الله الجنة .

فقال عمير بن الحمام ، أحو بي سلامة ، وفي يده تمرات يأكلهن
بخ بخ ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء . ثم هذف
التمرات من يده وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتل .

(ب) قال عوف بن الحرث ، وهو ابن عفرأ

يا رسول الله ، ما يضحك الرب من عبده ؟

قال : غمسه يده في العدو حاسراً .

فزع درعا كانت عليه فدفقها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل .

وقد ذكر ابن جرير أن عميراً قاتل وهو يقول

ركبنا إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد

والصبر هي لله على لجهاد وكل زاد عرصة لنصاد

غير التقى ولپر والرشاد

٥ - ابن عمر وعزوة بدر :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال -

حرصت على رسول الله ﷺ ، يوم بدر فاستصغرتي ، فلم يقبني ، فما أتت
على ليلة قعد مثلها من السهر والحزن والبكاء ، إذ لم يقبني رسول الله ﷺ .

(١) خفق : نام نوما يسهو

(٢) النقع : العيار

فلما كان من العام المقبل عرست عليه ، فقبلني ، فحمدت الله على ذلك

٦ - لو كان غير الجنة :

عن سليمان بن بلال، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، لما خرج إلى بدر أراد سعد بن خيثمة وأبوه جميعا الخروج معه

فذكر ذلك للنبي ﷺ ، فأمر أن يخرج أحدهما ، فاستهما ، فقال خيثمة بن الحارث لابنه سعد رضي الله عنهما ،

به لا بد لأحدنا من أن يقيم ، فأقم مع فئائك .

فقال سعد لو كان غير الجنة لأتركك به ، إني أرجو الشهادة في وجهي هذا ، فاستهما ، فخرج سهم سعد ، فخرج مع رسول الله ﷺ ، إلى بدر فاستشهد .

٧ - الشباب في المعركة :

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال :

إني لواقف يوم بدر في الصف فبظرب عن يميني وشمالني فإذا أنا بين علامين من الأنصار حديثة أسنانهما تميت أن أكون بين أصبعيهما فعمرتني أحدهما فقال

يا عماه أتعرف أبا جهل ؟

فقلت : نعم وما حاجتك إليه ؟

قال أحسرت أنه سب رسول الله ﷺ ، فأتيت بيده لئن رأته لا يفارق وجهي حتى يموت الأعجل منا ، فتعجبت لذلك ، فعمرتني لآخر فقال لي أيعب مثلهما فلم يطل الوقت ، حتى نظرت إلى أبي جهل وهو يحول بين الناس فقلت ألا تريان ، هدا صاحبكما الذي تسألاني عنه ؟

فابتدءا بسيمييهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصراها إلى النبي ﷺ ، فأتاهما

فقال :

أبكما قتله ؟

قال كل منهما : أنا قتلته

قال : هل مسحتما سيفيكما ؟

قالا : لا .

قال فنظر النبي ﷺ ، هي اسيمين فقال : كلاهما قتله ، وقضى بسلبه
لعاد بن عمرو بن الحموح ، والآحر معاذ بن عفراء رضى الله عنهما

٨ وفى هذه الغزوة نزلت سورة الأنفال :

ويصور الله سبحانه وتعالى ، هي أوائل هذه السورة ، المؤمنين ، الذين
يتولاهم الله سبحانه وتعالى ، بعنايته ، ورعايته ، ونصره ، فيقول :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا
وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۚ (١) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٢) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ
حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٣) ﴾ (١)

ثم يذكر الله سبحانه وتعالى ، رعايته لهؤلاء المؤمنين حينما لجئوا إليه
عبول

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِالْفَلَاحِ ۖ (١) وَمَا
جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢) إِذْ
يُعْذِقُكُمُ النَّعَاسُ مِنْهُ وَيُرِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْسَ الشَّيْطَانِ
وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (٣) إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ
آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاصْطَبُوا فَمِنْ أَهْلِ الْأَعْنَاقِ وَاصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلٌّ بِنَايَ (٤)
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥) ﴾ (٢) .

ويأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين في هذه السورة الكريمة ألا يصروا يوم
الرحف :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحِمًا فَلَا تُولُّوهُمْ الْأَذْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُولَّهُمْ
يَوْمَئِذٍ ذُبُرًا إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبَشْرُ
النَّاصِرِ (١٦) ﴾ (٢) .

ويقول الله سبحانه وتعالى للمؤمنين في هذه السورة .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا سَتَجِدُوا سِدًّا وَلِرَّسُولٍ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

(١) الأنفال ٢ ٤

(٢) الأنفال ٦ ١٢

(٣) الأنفال ١٥ ١٦

يحول بين امرء وقلبه وأنه به تحشرون (٦٤) وانقوا فة لأتيسب الذين ظلموا منكم خاصة وعلموا أن الله شديد العقاب (٦٥) واذكروا إذ استم قليل مستضعفون في الأرض تحافون أن يحتفظكم الناس فأواكم وأيدكم بضربه ورفكم من الطيات بكم تشكرون (٦٦) يا أيها الذين آمنوا لا تحبوا الله ورسول وتحويلوا أمانكم وأنتم تعلمون (٦٧) ﴿ (١) .

ويقول سبحانه أمرا المؤمنين بالثبات والصبر والاتحاد وعدم التفرع

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذ لقيتم فئة فاثبوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (٦٨) واطيعوا الله ورسوله ولا تارعدوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وصبروا إن الله مع الصابرين (٦٩) ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطر ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط (٧٠) ﴾ (٢)

ويأمرهم سبحانه في هذه السورة بالإعداد الكامل، والاستعداد التام للمعركة.

﴿ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وأحرس من ذويهم لا تعلموهم لله يعلمهم وما تسفحوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون (٧١) ﴾ (٣)

ثم يوجه القول إلى الرسول ﷺ في أسلوب رائع جميل

﴿ وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حبك الله هو الذي أيدك بضربه وبالمؤمنين (٧٢) وإنهم لن يفلحوا لو أسفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم (٧٣) يا أيها النبي حبك الله ومن أتبعك من المؤمنين (٧٤) يا أيها النبي حرص المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون (٧٥) إن حب الله عظيم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين (٧٦) ﴾ (٤)

(٣) الأنفال : ٤٥ - ٤٧

(٤) الأنفال : ٦٢ - ٦٦

(١) الأنفال : ٢٤ - ٢٧

(٢) الأنفال : ٦٠

٩ من آثار غزوة بدر .

جلس عمير الجمحي مع صفوان بن أمية في الحجر بعد مصاب أهل بدر من قريش بيسير . وكان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش ، ومن كان يؤدي رسول الله ﷺ ، وأصحابه ، ويلقون منه عاء وهو بمكة ، وكان به وهب بن عمير في أسارى بدر .

قال ابن هشام . أسره رقاعة بن رافع أحد بني زريق .

قال ابن إسحاق . حبسني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الربير

قال فذكر أصحاب الغلب ومصابهم ، فقال صفوان

والله ما في العيش بعدهم خير ، قال له عمير صدقت والله ، أما والله لولا دين علي يسر له عدي قصاء ، وعيال أخشى عليهم الصيغة بعدى ، تركت إلى محمد حتى أقتنه ، فإن لي قبلهم علة . أسي أسير في أيديهم ، قال فاعتتمها صفوان وقال

على دينك ، أنا أفصيه عت وعيالك مع عيالي أو أسيهم مابقو ، لا يسعني شيء ويعجز عنهم .

فقال له عمير :

فاكتم شأني وشأنك ، قال أعمل .

قال ثم أمر عمير سبيمه ، فشجده وسُم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فسبى عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، وينكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم من عدوهم . رد نظر عمر إلى عمير بن وهب حين ادخ على باب المسجد مبوشعا بالسيف ، فقال هذ الكلب عدو الله عمير بن وهب ، والله ما جاء ، لا لشر ، وهو الذي حرق بيضا وحررا للقوم يوم بدر

ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ ، فقال .

يا نبي الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء مبوشعا سبيمه . قال فأدخله علي ، قل فأقن عمر حتى أحد بحمالة سبيمه في عنقه فببه بها ، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار ادخلوا على رسول الله ﷺ ، فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فبه غير مأمون ، ثم دخل به على رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله ﷺ ، وعمر أحد بحمالة سبيمه في عنقه قال

أرسله يا عمر ، أدن يا عمير هذنا ثم قال . أنعموا صبيحا وكأنت تحية أهل الجاهلية بينهم ، فقال رسول الله ﷺ .

قد أكرمتنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة ، فقال :

أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد ، قال :

فما جاء بك يا عمير ؟

قال . جئت لهذا الأسير الذى فى أيديك فأحسنوا فيه .

قال . فما بال السيف فى عنقك ؟

قال . قبحها الله من سيوف ؟ وهل أغنت عا شيئا ؟

قال . أصدقنى ، ما تذى جئت له ؟

قال . ما حئت إلا لذلك .

قال . بل قدمت أنت وصموان بن أمية فى تحجر ، فذكرتهما أصحاب القليب من قريش . ثم قلت : لولا دين على ، وعبال عدى لحرحت حتى أقتل محمدا ، فتحمّل لك صفوان مديك وعيانتك ، على أن يغنى له ، والله حائل بينك وبين ذلك .

قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كفا يا رسول الله بكديك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحصره إلا أنا وصموان ، فوالله إنى لأعلم ما تأك به إلا الله ، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام ، وساقنى هذا المساق ، ثم شهد شهادة الحق .

فقال رسول الله ﷺ :

همهوا أحاكم فى دينه ، وأقرئوه القرآن ، وأطلقوا به أسيره ، ففعلوا

ثم قال يا رسول الله ، إني كنت جاهدا على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل ، وأنا أحب أن تأذن لى ، فأقدم مكة ، فأدعوه إلى الله تعالى ، وإني رسول الله ﷺ ، وإلى الإسلام ، لعل الله يهديهم ، ولا أديتهم فى دينهم كما كنت أودى أصحابك فى دينهم ؟

قال فأذن له رسول الله ﷺ فبحق بمكة وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير بن وهب ، يقول :

أبشرو بوقعة تأتاكم الآن فى أيام ، نسيكم وقعه سر

وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه ، فحلب ألا يكلمه أبدا : ولا يسمع به بضع أبدا .

قال ابن إسحاق :

فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويؤذي من خالقه أذى شديدا ، فأسلم على يده ناس كثير .

غزوة أحد

١ - مخالفة الأوامر وعاقبتها :

مضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد فجلس ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا يقاتلن أحد منكم حتى يأمره بالقتال :

وأخذ رسول الله ﷺ يعبئ للقتال .

فأمر على الرماة عبد الله بن جبير ، وكان يومئذ معلما بثياب بيض ، وكان الرماة جميعين رجلا .

وقال له رسول الله ﷺ

انضج^(١) الخيل عنا بالنسل ، لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا

فأنت هي مكانك لا تؤتين من قبلك

لقد كان أمر رسول الله ﷺ صريحا لعبد الله بن جبير أن يثبت في مكانه على أي وضع كان المسلمون .

وبدأت الحرب ، وحمى وطبستها ، وحاص رجال الله المعركة بقلب ثابت وشجاعة نادرة ومع أنهم كانوا ربيع عدد عدوهم تقريبا . فقد أنزل الله نصره على المسلمين وصنقهم وعده فحسوه^(٢) بالسيوف - كما يقول ابن هشام

حتى كشفوهم عن المعسكر ، وكانت الهزيمة لا شك فيها

بقول الربيع رضي الله عنه

والله لقد رأيته أنظر إلى جدم همد بنت عتبة ، وصواحبها مشتمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ، ولا كثير .

فلما حصن ذلك مالت الرماة إلى المعسكر حين كشفنا نقوم عنه وحلوا

ظهورنا للحليل ، فأوبينا من خلفنا .

وانكشبت المسعمون .

(١) ادفع الخيل عنه بالنسل

(٢) قتلهم

فأصاب فيهم العدو .

يقول بن هشام :

وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة حتى
خلص العدو إلى رسول الله ﷺ ، حدث ^(١) بالحجارة حتى وقع لشقه فأصيبت
رباعيته ، وشج في وجهه ، وكلمت شمه .

عن أنس بن مالك قال :

كسرت رباعية النبي ﷺ يوم أحد وشج في وجهه ، فجعل الدم يسير على
وجهه ، وجعل يمسح دمه ويمول :
كيف يملح قوم حصيو وجهه نبيهم ، وهو يدعوهم إلى ربهم ، فأبرل لله عر
وحل هي ذلك .

﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعبدهم بأنهم ظنون ﴾ (٢٨) ﴿ (٢) .

لقد كان النصر للمسلمين ، ثم لما خالف الرماة أمر القائد الأعلى
رسول الله ﷺ ، وتركوا أماكنهم مع أمره الصريح لهم بأن يثبتوا في أماكنهم مهما
كانت الظروف .

لما خالموا أمر القائد ، أتى المسلمون من خلفهم ، وانكشموا .

٢ - الشباب في المعركة

تدافع الشباب في سن الخمس عشرة سنة وأكثر على رسول الله ﷺ يريد
كل منهم أن يظفر بالإن له في المساهمة في شرف العمل في سبيل الله

لقد جاء إليه ﷺ سمرة بن جندب وجاء إليه رافع بن خديج ، وهما ابن
خمس عشرة سنة فريهما .

ف قيل له : يا رسول الله إن رافعا رام ، فأجازه .

فلما أجاز رافعا قيل له :

يا رسول الله إن سمرة بصرع رافعا ، فأجازه .

ولكنه ﷺ رد أسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر ، وريد بن ثابت ، أحد

(١) حدث - هزم بالحجارة حتى ألقى بعض جسمه

(٢) آل عمران ١٢٨

بني مالك بن النجار ، ورد البراء بن عارب ، 'أحد بني حارثة ، وعمرو بن حرم وأسيد بن ظهير .

رد جميع هؤلاء لصفر سبهم على الرغم من أنهم كانوا في شوق شديد لحوص المعركة .. معركة الشرف في سبيل الله .

ولقد بلغت فرحتهم ، قصصاها حينما أجارهم ﷺ شرف المساهمة في غزوة الخندق .

أما من كان أكثر من خمس عشرة سنة ، وكان في حالة تمكنه من الحرب ، فقد أجاره رسول الله ﷺ

٣ - الشيوخ في المعركة :

(أ) لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد رفع حسيل بن جابر وهو اليماني أبو حديمة بن اليمان وثابت بن وقش في الأطام مع النساء والنصيان ، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران لا أبالك ، ما تنتظر ؟ هو الله ما بقي لأحد منا من عمره إلا ظم^(١) حمر ، وإنما نحن هامة^(٢) اليوم أو غد ، فلا تأخذ أسيافا ثم سحق برسول الله ﷺ ، نعل الله يرقنا شهادة مع رسول الله ﷺ ؟ فأحدا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس ولم يعلم بهما فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حسيل بن جابر ، فاحتلمت عليه أسياف المسلمين ، فقتلوه ولا يعرفونه فقال حديمة أبي فقالوا والله أن عرفناه^(٣) وصدقو قال حديمة يصمر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، فأراد رسول الله ﷺ أن يديه ، فتصدق حديمة بديته على المسلمين ، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيرا ،

(ب) كان عمرو بن الحموح رجلا أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الأسد ، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له : إن الله عز وجل قد عذرك ، هاتى رسول الله ﷺ فقال :

(١) الظم مقدار ما يكون بين شمرين ، وقصر الأظماء ظم الحمار لأنه لا يصبر عن الماء فصرير مثلا عرب الاجل

(٢) الهامة هاتر يخرج من رأس القميل - فيما ترجم ساطير العرب - إذ قتل فلا يزال يصيح استقوى استقوى ، حتى يؤخذ بتأوه فصريره العرب مثلا للموت

(٣) أى ما عرفناه

إن بني يريدون أن يعبسوا عن هذا الوجه ، والخروج معك فيه ، هو الله لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة .

فقال رسول الله ﷺ : أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه ما عليكم أن لا تمنعوه عن الله أن يرزقه الشهادة ، فخرج معه فقتل يوم أحد .

٤ فداثيون في المعركة :

كان كل هم المشركين أن يقتلوا رسول الله ﷺ ، فلما انكشف المسلمون في المعركة ، حاول المشركون أن يسهروها فرصة ، فتدافعوا نحو الرسول ﷺ في كثرة كثيرة تريد قتله .

فقام ريار بن السكن في مصر خمسة من أنصار ، فقاتلوه دون رسول الله ﷺ ، رجلا ثم رجلا يقتلون دونه ، حتى كان آخرهم ريار ، هقتل حتى أثنته الحراح .

وترس دون رسول الله ﷺ أبو دجانة سمسه يقع النبل في ظهره وهو مسح عليه حتى كثر فيه النبل .

وقتل دون رسول الله ﷺ ، أم عمارة وهي نسيبة بنت كعب .

تقول أم سعد بنت سعد بن الربيع :

دخلت على أم عمارة فقتل لها

يا حانة ، أحريسي حرث ؟

فقاتل حرث أول النهار أنظر ماذا يصنع الناس ، ومعى سقاء فيه ماء فأنهيت إلى رسول الله ﷺ ، وهو في أصحابه والدولة و لريح للمسلمين ^(١) ، فلما انهم لمسمون بحرث إلى رسول الله ﷺ فقامت أباشر القتال وأذب عنه نالسيب ، وأرمى عن القوم حتى حصت الجراح إلى .

فالت أم سعد فحربت عى عاتقها جرحا أجوف له عور ، هقتل من أمائك بهذا ؟

فالت ابن فمئة أقماء له

(١) أى أن النصر لهم

ثم تابعت حديثها قائلة لما ولي الناس عن رسول الله ﷺ أهيل بن قعنة يقول : دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب ابن عمير وأبأس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ ، فضربنى هذه الضربة ، ولكن لقد صرته على ذلك ضربات ، لكن عدو الله كانت عليه دواعي

ثم .. جاء المسلمون فأحلوا المشركين عن رسول الله ﷺ .

ولقد قال رسول الله ﷺ عنها :

ما التمت يميني ولا شمالا إلا وأراها تقاتل دوسي .

٥ - يوم كله لطلحة :

عن عائشة رضي الله عنها قالت كان أبو بكر رضي الله عنه ، ذا ذكر يوم

أحد قال :

ذاك يوم كله لطلحة رضي الله عنه ، ثم أشتأ يحدث فذكر الحديث ، وفيه

فأشبهنا إلى رسول الله ﷺ ، وقد كسرت رباعيته ، وشج في وجهه وقد دخل في وحنثه حقتان من خلق المنقر ، قال رسول الله ﷺ عليكمما صاحكما

يريد طلحة رضي الله عنه ، وقد بزف ، فذكر الحديث وفيه ثم أتينا طلحة

رضي الله عنه ، في بعض تلك الحمار ، فإذا به بصع وسبعون بين طعنة ورمية وصرية ، وإذا قد قطعت أصبعه فأصبحنا شابه .

٦ - رجال صدقوا :

عن أنس رضي الله قال :

عمى سميت به ولم يشهد مع رسول الله ﷺ ، يوم بدر قال فشق عليه

وقال

أول مشهد شهده رسول الله ﷺ ، غبت عنه ، ولله نثر أراى الله مشهد

فيم بعد مع رسول الله ﷺ ، ليرين الله ما أضع ، قال فهاب أن يقول غيرها ،

فشهد مع رسول الله ﷺ ، يوم أحد قال فاستقبل سعد بن معاذ رضي الله عنه

فقال له أبس رضي الله عنه :

يا أبا عمرو واه لريح الحبة أجده دون أحد ، قال فقاتلهم حتى قتل، فوجد

هي جسمه بضع وثمانون من صلبة وطعنة ورمية، قال فقالت أخته عيسى الربيع
بيت البصر

فما عرفت أحي إلا ببدانه .

ونزلت هذه الآية

﴿ مَنِ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ
وَمَا يَدَّبُلُوْا بُدِيْلًا ۖ ﴾ (١)

٧ - ربح الحنة :

عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال

بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد لطلب سعد بن لربيع رضى الله عنه وقال
إن رأيته فأقرئه مني السلام وقل له يقول لك رسول الله ﷺ كيف تحبك؟
قال فجعلت أطوف بين القمطين فوجدته وهو في آخر رمق وبه سبعون
صربة ما بين طعنة برمح وضربة سيف ورمية بسهم فقلت له
يا سعد إن رسول الله ﷺ ، يقرأ عليك السلام ويقول لك - أحسرتي كيف
تحبك ؟

قال على رسول الله السلام وعليك تسلام ، قل له يا رسول الله
أجبتني أحد ربح الحنة ، وقل لقومي الأنصار لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى
رسول الله ﷺ شيء يكرهه وهيكم عين تطرف .

٨ - غسلته الملائكة :

دخل حنظلة بن أبي عامر على زوجته أول ما دخل بها فتودى بالجهاد هي
عزوة أحد من ليثته

فخرج مسرعاً إلى المعركة وأظهر صبراً من ابسالة والشجاعة حتى أتاها
سهم مما حثي فاستشهد ، وبعد المعركة قال الرسول ﷺ

(١) من الآية ٢٣ من سورة الأحزاب

« لقد رأيت حنظلة بن بى عامر تغسله الملائكة بماء المرى فى صحف
الفضة بين السماء والأرض » .

فذهب الصحابة إليه وهو فى القتلى فوجدوا شعره يقطر ماء ، فقلبو
لرسول الله ﷺ ذلك فقال :

« ذهبوا إلى زوجته فأسألوها .

فذهبوا إليها فقالت :

« بى أعرس بى أول ليلة فقط ، وما سمع الدعى إلى الجهاد خرج مسرعاً
وهو حبس ، فرجعوا إلى أنبى ﷺ فأخبروه فقال :

« من أحل ذلك غمسته الملائكة » .

٩ - دخل الجنة ولم يصل قط :

عن أبى هريرة أنه كان يقول : حدثونى عن رجل دخل الجنة ولم يصل قط .
إذا لم يعرفه الناس سألوه : من هو ؟ فيقول

أصيرم من بنى عبد لأشهل ، عمرو بن ثابت بن وقش . قال لحصين
هفئت لحمد بن أسيد : كيف كان شأن الأصيرم ؟

قال : كان يابى الإسلام على قومه ، فهم كان يوم خرج رسول الله ﷺ إلى
أحد بدر له فى الإسلام فأسلم ، ثم أخذ سيمه ، فعدا حتى دخل فى عرض الناس .
فقاتل حتى أثبتته الجراحة . قال : فبينما رجال من بنى عبد الأشهل يتمسكون
قتلاهم فى المعركة إذا هم به فقالوا : والله إن هذا لأصيرم ما جاء به ؟ لقد
تركناه وإنه لمكر لهذا الحديث ، فسألوه ما جاء به ، فقالوا : ما جاء بك يا عمرو ؟
أحذب على قومك أم رغبة فى الإسلام ؟

قال : بل رغبة فى الإسلام . آمنت بالله وبرسوله وأسلمت . ثم أخذت
سيفي . فعدوت مع رسول الله ﷺ ، ثم قاتلت حتى أصابنى ما أصابى ، ثم لم
يبث أن مات فى أيديهم فذكروه لرسول الله ﷺ فقال
« إنه لم يزل أهل الجنة » .

١٠- كل مصيبة بعدك هيئة :

عن سعد بن أبي وقاص قال :

مر رسول الله ﷺ بامرأة من بني ديار وقد أصيب زوجها وأحواها مع رسول الله ﷺ بأحد ، فلما دعوا لها قالت : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيرا يا أم فلان وهو بحمد الله كما تحيين ، قالت : أرويه حتى أنظر إليه ؟

قال : فأشير لها إليه حتى إذا رآته قالت :

كل مصيبة بعدك جلل تريد صغيرة .

١١- غزوة أحد والثقة في نصر الله :

شئت حكمة الله سبحانه وتعالى ، أن يعذب المسلمون في أحد ، ولله حكمة في كل ما يحدث ، وهو سبحانه يبتلي بالسراء كما يبتلي بالضراء ، وكل شيء عنده بمقدار

وما أن انتهت المعركة وأصاب لشركوك من المسلمين ما أصابوا حتى كر أعداء الله راجعين وظن المسلمون أنهم إنما رجعو فاصدين المدينة ليدهروها ويكفوا بمن فيها من الرجال ويأسروا النساء والأولاد ، وشق على المسلمين ذلك ، فلم يوهن الهزيمة من عريمتهم ولم تفت في عصبدهم ، وكسر إيمانهم الذي لا يبرعزع ، وثقنهم في نصر الله ، وتوكلهم عليه سبحانه وتعالى ، كان كل ذلك دافعا لهم إلى أن وطنوا أنفسهم على أن يسبقوهم إلى المدينة ليباركهم فيها ، فقال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه :

أخرج في آثار القوم فأنظر ماذا يصنعون ، وماذا يريدون فإن هم جنسوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة ، فوالذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم ، ثم لأناجزهم فيها . قال علي : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون ، فحلبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا مكة ولكن المشركين بعد أن ساروا في طريق مكة تلاوموا فيما بينهم فقال بعضهم : لم تصنعوا شيئا !

أصتتم شوكتهم وحدهم ، ثم تركتموهم وقد بقي منهم رعوس يجمعون لكم .
فارجعوا حتى نستأصل شأفتهم .

وقال النضر لأحر لا محمد قتلتم ، ولا الكواعب أردتم نُسما صنعتم ،
رجعوا .

وبع ذلك رسول الله ﷺ فتدب المسلمين إلى الذهاب لملاقاتهم والسير
وراهم ليرعبهم ويرهبهم أن بالمسلمين قوة وحلدا .

وبلعت ثقة رسول الله ﷺ في نصر الله أن لم يأتوا لملاقاة العدو إلا إلى
حصر الموقعة فقط اللهم إلا لحابر بن عبد الله الذي قال لرسول الله ﷺ
« يا رسول الله إني أحب ألا تشهد مشهدا إلا كنت معك » .

وأجاب المسلمون دعوة رسول الله ﷺ ، ولبو نداءه وساروا في طريق القوم
حتى بلغوا حمراء الأسد .

ولما علم المشركون بذلك قالوا يرجع من قابل وساروا في طريقهم إلى
مكة وأنزل الله سبحانه

﴿ يَسْتَشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُصِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٧١) الذين استجابوا
لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح يذهب أحوالهم واتقوا أجر عظيم (٧٢) ﴿ (١)

وبعد : فإنه إذا كان الإيمان بالله والثقة فيه قد دفعت المسمين في أحد إلى
هذه المواقف الخالدة فإن مما يريد ذلك وصوحا ما رواه ابن هشام بخصوص
موقف المسلمين في أحد بعد المعركة ثانی يوم فيها قال

مر بأبي سفيان وكان حينئذ قائد المشركين - ركب من عبد القيس ، فقال
لهم أبو سفيان - أين تريدون ؟ قال : نريد المدينة ، قال ولم ؟ قالوا نريد الميرة .
قال فهل أنتم مبلقون عنى محمدا رسالة أوسلكم بها إليه وأحمل لكل في مقابل
ذلك زبيبا بمكاظل إذا وافيتمونا ؟ قالوا : نعم .

قال : إذا وافيتم محمد فأخبروه أنا قد جمعت المسير إليه وإلى أصحابه
لنستأصل بقيتهم . وصر الركب برسول الله ﷺ ، وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه

(١) آل عمران ١٧١ ، ١٧٢

بالذي قتل أبو سميان وأصحابه فكان رد الفعل عند رسول الله ﷺ وصحابه ف
صوره الله تعالى بقوله :

﴿ الَّذِينَ قَالُوا لَهُمْ الْيَهُودُ لَسَّانٌ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ لَمَّا جَاءُوكَ قَالُوا هَذَا يُوحْيِيكَ الْغَيْبُ وَهُمْ يَسْمَعُونَ ۚ وَاللَّهُ يَوْمَ يُنْفِخُ فِي الصُّورِ يَكْفُلُ الْوَكِيلُ (٧٣) فَاقْبَلُوا نِعْمَةً مِّنَ اللَّهِ وَفَصِّرْ لَهُمْ يُعْصِمُ اللَّهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ يُرِيدُونَ ۚ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (٧٤) ﴾ (١) .

١٢- بعض من أصابهم القرع :

عن أبي السائب رضى الله عنه أن رجلا من بني عبد الأشهل قال
شهدت أحدا أنا وأخ لي ، فحرحنا حريحين فلما أدرك مؤذن رسول الله ﷺ
بالخروج في طلب العدو قلت لأخي أو قال لي .
أتصوتنا عروة مع رسول الله ﷺ ؟ والله مالنا من دابة تركناها ، ومما إلا
حريح ثقيل فحرحنا مع رسول الله ﷺ وكنت أيسر حرحة منه فكر إذا طلب ،
حملته مرة ومشى مرة حتى نتهيا إلى ما نتهى إليه المسلمون .

١٣ آيات نزلت في غزوة أحد :

﴿ وَإِذْ عَدُوٌّ مِّنْ أَهْلِكَ يُؤَيِّنُ بَمُؤَيِّنٍ مَّقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢) إِذْ هَمَّتْ
طَائِفَتٌ مِّنْكُمْ أَن تَفْشَلُوا وَاللَّهُ رَبُّهُمْ وَعَنَىٰ اللَّهُ فِتْنَتَ الَّذِينَ الْمُؤْمِنُونَ (٣) وَلَقَدْ بَصُرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ
وَأَنْتُمْ آدِلَةٌ فَاتَّبَعُوا ۚ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤) ﴾ (٢) .

﴿ وَلَا يَهْوَا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥) إِنْ يَمْسِكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ
مَسَّ الْقَرْمُ قَرْحًا مِّثْلَهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدُوتُهَا بَيْنَ الْيَهُودِ وَالنَّبِيِّينَ ۚ وَلِيَمْلِكُنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ شُهَدَاءَهُ
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٦) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (٧) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ
تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (٨) ﴾ (٣)

(١) آل عمران ١٧٢ ، ١٧٤

(٢) آل عمران ١٧١ ، ١٧٣

(٣) آل عمران ١٣٦ ، ١٤٣

استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم الفرح للذين آمنوا منهم واتقوا أجر عظيم (٧٢)
الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسب الله ونعم
الوكيل (٧٣) فاقبلوا بركة من الله وفصل ثم يمتسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل
عظيم (٧٤) ﴿ (١)

غزوة الأحزاب

١ - التفاؤل والثقة في الله :

بقول الله تعالى :

﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قائوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما
زادهم إلا إيماناً وتسليماً (٧٦) ﴾ (٢)

قال المسلمون ذلك هي عروة لأحرب ، وسبب هذه الغزوة أن اليهود لما رأوا
انتشار الإسلام في المدينة بصورة سريعة ، رأوا أن قوة المسلمين تزداد كل يوم ،
وأن إحصاءهم وتعديونهم يقوى على مر الزمن ، أرادوا الكيد للإسلام والقضاء عليه ،
فذهب وفد من يهود بني النضير ويهود بني وائل إلى القبائل في الجزيرة العربية
وعلى رأس هذا الوفد اليهودي سلام بن أبي الحقيق النضري ، وهو بن أخطب ،
وكتابة بن أبي الحقيق ، وهود الوائلي ، وهذا الوفد هو الذي هزب الأحزاب ضد
رسول الله ﷺ والمسلمين .

حرج هؤلاء اليهود حتى قدموا على قريش في مكة فآخذوا بزييبيهم لهم إشارة
الحرب ضد المسلمين ولقيام بعمل حملي يقصص عليهم وقالوا : إنا سكون محكم
عليه حتى يستأصله .

فقال لهم قريش : يا معشر يهود ، أديننا خير أم دين محمد ؟ ولم يتورع
اليهود عن القول أن دين الأصنام والشرك خير من دين التوحيد والعدل ، فقالوا لهم
بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه ، فانزل الله في ذلك قوله تعالى

(١) آل عمران ١٦٩ - ١٧٤

(٢) الأحزاب ٧٦

﴿ أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ (٥١) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ
لَهُ نَصِيرًا ﴾ (٥٢) ﴿ (١)

لقد لعن الله لليهود بسبب كذبهم ، وكم لعنهم الله لأسباب شتى من الخبث
والبهتان ، وسرقريشا قول اليهود وشطوا للحرب والقتال .

ثم حرج الوهد اليهودى إلى قبيلة غطفان فدموهم إلى ما دعوا قريشا إليه
واعطوهم العهد والميثاق أنهم سيكونون معهم ، وأخبروهم أن قريشا قد تابعوهم
على ذلك

وأخذ هذا الوهد يحزب الأحزاب ويجمع القبائل على حرب رسول الله ﷺ .
واستعمل في سبيل ذلك كل ما استطاع من وسائل خسيسة ، فلما انتهى من مهمته
رجع إلى المدينة يظهر المودة للمسلمين .

وخرجت قبيلة أشجع ، وخرج عير هؤلاء في جيوش جرارة .

وخرجت قريش ، وخرجت غطفان ، وخرج بنو مرة .

وعلم المسلمون بالأمر فلم يمت ذلك في عضدهم ، ولم يوهن من قوتهم ،
فقد جمعهم رسول الله ﷺ ، وشاورهم في الأمر ، واستقر رأيهم على ما أشار به
سيدنا سلمان القارسي رضي الله عنه ، من حفر الحندق ، وأخذ المسلمون يعملون
والرسول صلوات الله وسلامه عليه يعمل بينهم كأحدهم ، وكان الجو مليئا
باشعور الواضح السافر بأن قوى الجزيرة العربية قد تحمعت لتصرب الصرية
الحاسمة ، ولتقتل رجالا أن يقولوا : ربنا الله .

وبينما المسلمون يعملون في هذا الجو إذ بصحرة اشتدت عليهم فلم تعمل
فيها معاوتهم ولجئوا إلى رسول الله ﷺ مستعجدين به في تفتيت الصخرة ،
فأخذ صلوات الله وسلامه عليه المعول وقال :

باسم الله ، وصرب صرية فكسر جزا من الصخرة ، فكبر صلوات الله عليه
وسلامه وقال : أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني
هذا .

(١) النصارى ٥١ - ٥٢

ثم قال باسم الله وصرب صرية ثانية ، فكسر جزءا آخر ، فكبر صلوات لله عليه وسلامه ، وقال أعطيت ممانيح الشام . والله لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا .

ثم قال . باسم الله وصرب الثالثة ، ثم كبر ، وقال أعطيت ممانيح فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن ، ثم قال صلوات لله وسلامه عليه لسلامان لفرسي .

هذه فتوح يمتحها لله بعدى يا سلمان .

وسرت بشريات رسول الله صبرات لله عليه وسلامه ، هذه بين المسلمين هاردا دوا إيماننا على إيمانهم وتقاؤلا على تفاؤلهم وثقة بالله عز وجل على ثقتهم به سبحانه .

وحيما سمع المنهقون ذلك ورأوا استبشار المسلمين وتفاؤلهم وبطرتهم لاسعة إلى المستقل الملى بانصرز وانصرأحدوا يفتئون سمومهم ويقولون ألا تعصون من محمد بمبيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر قصور الشام واليمن وفارس وأسم إنما تحمرون الخندق من شدة الخوف ؟ واستعمل اليهود أسلوب الدعاية الكاذبة الرخيصة متحدثين عن ثورة المشركين يريدون شر العرب في قلوب المسلمين ، وتوهين عزائمهم ولم تجد دعائيتهم إلا آدانا صمما وقلوب قد أشرت الإيمان وليقين والثقة كل ثقة هي الله تعالى ، وجاء الرد من قبل الله القوي العزيز على هؤلاء المنافقين قويا حاسما :

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَسْرِعُ الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتُعَرِّضُ مَنْ تَشَاءُ وَتُدْخِلُ مَنْ تَشَاءُ فِي الْمَحِيرِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١)

هذا الموقف المتفائل الوثيق بالله سبحانه وتعالى ككل الثقة كان شعار رسول الله صبرات الله عليه وسلامه طيبة حياته ، به شعار يتمثل في جميع مواقفه ﷺ ، ولكنه شعار يتزايد قوة وضوحا كلما اردادت المواقف حرجا وشدة ومن أمثلته البينة . ما قاله صلوات الله وسلامه عليه لأبي بكر وهم في انفلج عند حصرهما إلى المدينة . لقد كان سيدنا أبو بكر حريصا خوفا على الرسول

(١) آل عمران ٢٦

صلوات الله وسلامه عليه ، فجاء النداء الإلهي على لسان الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، يملؤه ثقة وتماؤلا . ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ (١)

ولما سمع سيدنا أبو بكر حقيق فعال المشركين أمام العار واصوتهم لصاحبه التي تعين عن سخطهم وخبيلهم المكبوت قال
لو نظر أحدهم إلى موقع قدميه لأبصرنا .
ويتسم رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ويقول :
« ما ظنك بآتين الله ثالثهما » .

هذا الروح الحمدي في التماؤل ، والثقة بالله تعالى سرى إلى أصحابه رضوان الله عليهم فكان سيدنا أبو بكر مثالا عاليا من أمثلة التماؤل والثقة . بعد أن انتقل الرسول ﷺ إلى الرضيق الأعلى أشار كثيرون عليه ألا يفقد بعث أسامة ذلك الجيش الذي كان رسول الله ﷺ قد أمر بإرساله للجهاد في سبيل الله ، لقد أشعروا عليه بذلك ؛ لأنهم كانوا يحشون أن تثار الجزيرة العربية بعد وفاته صلوات الله وسلامه عليه وأن ينقص من لم يتمكن الإيمان من قلوبهم عهودهم ومواثيقهم ، فإذا ما فعلوا ذلك كان الجيش حاضرا على أهمية الاستعداد لصدهم وتأييدهم ، ولكن سيدنا أبو بكر رضي الله عنه أبى إلا أن يتم ما أراد صلوات الله وسلامه عليه وما أمر به ثقة بالله وطاعة لرسوله ﷺ .

وموقف سيدنا أبو بكر من أمر المرتين معروف مشهور ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال فيما رواه البخاري ومسلم .
لما تولى رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه وكفر من كفر من العرب ، فقال عمر رضي الله عنه

كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بعهده وحسبه على الله . فقال أبو بكر رضي الله عنه والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة بين الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه .

قال عمر رضي الله عنه ، هو لله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق .

(١) التوبة ٤٠ .

وبعد ، فإنه مما لا مزية فيه أن هذا التفاؤل وهذه الثقة كان يصحبها الاستقرار الكامل و لتدبير المحكم والملاحظة الدقيقة لكل صغيرة وكبيرة ، حتى إذا انتهت التدابير إلى غاياتها وأعدت العدة على أكملها فوهم المؤمن من بعد ذلك الأمر إلى الله سبحانه وتعالى واعتمد عليه ،

٢ - وإن كان عمراً ،

عن كعب بن مالك الأنصاري رضى الله عنه قال :
لما كان يوم الخندق خرج عمرو بن عبد ود معلماً ليرى مشهده ، وهو مقنع بالحديد ، فنادى : من يبارز ؟
فقام علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقال أنا لها يا نبي الله ﷺ .
فقال : إنه عمرو ، اجلس

ثم نادى عمرو : ألا رجل يبارز ؟ فحمل يؤسهم ، ويقول أين جنتكم التي ترعمون أن من قتل منكم دخلها ؟ أهلاً تبررون إليّ رجلاً ؟
فقام علي رضى الله عنه فقال : أنا يا رسول الله .
فقال : إنه عمرو اجلس .
ثم نادى الثالثة .

فقام علي رضى الله عنه فقال : يا رسول الله أنا .
فقال : إنه عمرو .

فقال : وإن كان عمراً .

فأذن له رسول الله ﷺ فمشى إليه وهو يقول :

إني لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز

من ضربة تجلاء يبقى ذكرها عند الهرهر

فقال له عمرو : من أنت ؟

قال : أنا علي .

قال : ابن عبد مناف ؟

قال أنا على بن أبي طالب

فقال- يا ابن أخي، من أعمامك من هو أسن منك ، فبني أكره أن أهرق دمك.

فقال على رضي الله عنه ولكني والله لا أكره أن أهرق دمك .

فغضب ، فقتل وس سيقه كأنه شعله نار ، ثم أقبل نحو على رضي الله عنه معصبا ، واستقبله على بحريته ، فصريره عمرو هي حريته ففقدتها ، وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه فشججه وصريره على رضي الله عنه على حبل عاتقه فسقط، وسمع رسول الله ﷺ التكبير ، ثم أقبل على رضي الله عنه نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل .

فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه هلا استلبت درعه ؟ فإنه ليس للعرب درع خير منها .

قال : ضربته فأتقاني بسوءته ، فاستحييت أن أسلبه .

٣ - إنها عمّة الرسول ﷺ :

عن عباد قال ،

كانت صمّية بنت عبد المطلب في حصن ، قالت همر رجل من اليهود ، فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو هريظة، وقصعت ما بينها وبين لرسول ﷺ من عهد وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله ﷺ وأصحابه في نحور عدوهم ، لا يستطيعون أن ينصروها عنهم إلينا إن أتانا آت .

فلما رأت اليهودي يطوف بالحصن ، قالت ،

إني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود ، وكم شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه .

قالت فأحدث عمودا ثم نزلت من الحصن إليه ، فضربته بالعمود حتى قتله ، فلما فرغت منه عادت إلى الحصن ولم تأخذ من سلبه شيئا ، وقالت لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل .

٤ - آيات فزلت في غزوة الأحزاب :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (٩) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ رَاغَبَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَبَظُنُّوا بِاللَّهِ الظَّنَّ ﴿١٠﴾ هَٰذَا كَيْفَ ابْتَلَى الْمُؤْمِنُونَ وَلَوْلَا إِذْ تَرَوْهُمُ شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَبَّوْا السَّبْتَ لَأَنزَلْنَا بِهَا رِيحًا تَكْفِيهِمْ إِلَّا يُغْنِيهِمْ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ لَا يُؤْتُوا الْآذِينَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مُتَوَلًّا ﴿١٥﴾ قُلْ لَنْ يَنْصَحَكُمْ الْفَرَارِيُّ إِنْ فَروُكُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَحِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ دَا أَلَدَى يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَنَاقِبَ مِنْكُمْ وَالْقَاتِلِينَ لِإِحْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ النَّاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشْجَعُ عَلَيْكُمْ فِرَارًا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا دَهَبَ لَخَوْفُ سَلْقُوكُمْ بِالنَّسَةِ حَدَادٍ أَشْجَعُ عَلَى الْخَيْرِ أَوْ لَكَ لَمْ يُؤْمَرُوا بِأَحْطِ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَعْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا رَأَيْتَهُمْ إِلَّا هَيَّاءً وَتَوَلَّى وَتَمَسَّيْمًا ﴿٢٢﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَصَىٰ نَجِيهَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَنْظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ يَجْعَلِي اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصَدَقِهِمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَمْ يَأْتُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴿١﴾

فتح مكة

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (١) ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً (٢) وينصرك الله نصراً عزيزاً (٣) ﴿ (١) .
إن آيات الفتح هذه ، نزلت في أثناء عودة رسول الله ﷺ إلى المدينة ، بعد عهد الحديبية .

نزلت تصلية للمسلمين ، وقد حزنوا على عدم دخول مكة حاجين ومعتمرين ، مع أنهم كانوا على أبوابها ، ومع أنهم كانوا في قوة ومنعة تمكنهم من دخولها عبوة محاربين .

وقد نزلت تشير إلى فتح وبشيرة به .

ولقد أوحاها الله إلى رسوله ليلاً ، فلما أصبح صلوات الله عليه وسلامه قال :

لقد نزلت على الليلة سورة ، هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ، ثم قرأ قوله تعالى . ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾

وهذه الآيات لكريمة لا تكاد تبين عن فتح مدى حري ، وإنما هي تشير على الخصوص إلى الآفاق العليا من لرضوان الإلهي . إنها وثيقة تسجل الثقة المطلقة التي شملت الماضي ، والحاضر والمستقبل ، والتي سمع بالرسول ، صلوات الله عليه وسلامه إلى مستوى الرضا عن كل ما يأتي وما يدع .

إنها بشرى من الله بفتح مبين ، وعفران شامل ، وإتمام كامل للنعمة ، وهداية وقيادة دائمة مستمرة ، ونصر عزيز ، وهذه منح إلهية عامة ، لا تفسر بالماديات وحسب ، وإنما تفسر أيضاً ومن باب أولى بالمعاني الروحية في أسنى صور التجليات الإلهية اللهم لك الحمد والشكر ولذلك فإننا حينما نتحدث عن فتح مكة ، لا تحتل المسائل الحربية المكانية الأولى من الموضوع ، وإنما يحتل ذلك المثل العليا من الصور الأخلاقية النبوية - باعتبارها نتيجة وأهداف لفترة من الجهاد طويلة - ويحتل ذلك اسمو المباني الممثل في الرحمة المهداة باعتبارها

(١) الفتح - ١ - ٢

ثمرة حان قطعها من الله إلى الإنسانية ، أى فى سيدنا رسول الله ، صلوات الله عليه وسلامه .

ومهما يكن من شئ ، فإن قريشا نقضت عهد الحديبية ، الذى كان بين رسول الله ﷺ ، وبينها ، والذى كان يفرض الهدنة بينها وبين رسول الله صلوات الله عليه وسلامه .

وخلالصة الأمر ، أنه كان فى مو د هذا العهد ، أنه من شاء أن يدخل فى عهد محمد وعقده دخل ، ومن شاء أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فسارعت قبيلة خراة وأعلنت أنها تدخل فى عقد محمد وعهده ، وسارع بنو بكر ، وقالوا : نحن ندخل فى عقد قريش وعهدهم .

ومكث الفريقان فى هدنة تامة نحو الثمانية عشر شهرا .

ثم إن بنى بكر حلفاء قريش- وثوا ليلا على خراة ، حلفاء رسول الله ﷺ ، على غيلة منهم ، خارجين بذلك على العهد وعلى العقد .

لقد وثبوا على خراة دون ما سيب ، ووثبوا عليها فى حتح من الليل عددا وحيانة ، وساعدت قريش حلفاءها سر فأعانوهم بالسلاح والرقيق ، بل وحاربوا معهم مسحفين على اعتقاد أن الرسول ﷺ ، سوف لا يعم بذلك

وكانت هذه الموقعة عند ماء لخراة يسمى بالوثير ، فأسرع حراعى وهو عمرو بن سالم - وركب حتى قدم على رسول الله ﷺ يخبره الخبر ، وقال هصيدة من الشعر يصف بها الأمر وفى نهايتها :

هم يبتونا بالوثير هجدا وقتلونا ركما وسجدا

فقال له رسول الله ﷺ : نصرت يا عمرو .

ثم أمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاد دفعا عن الحق ، وبصرا للضعفاء ، وضرب على أيدي الخونة ، وعقابا على موقف المدر

وكانت مناسبة موتية ، لأن يركز الله تفكير رسوله فى أمر قريش

أما أن لقريش ، أن تسلم وجهها لله ، وأن توحيه ولا تشرئ به شيئا ؟

﴿ إِنَّ الشَّرْكَ يَكْفُرُ عَنَّمْ ﴾ (١٣) ﴿ () ﴾ .

أما أن تقبليهم ، أن تخشع لذكر الله وما نزل من الحق ؟

لقد دعا سيدنا إبراهيم - في رحاب مكة - ربه مبتهلا ضارعا قائلا
﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٢٩) ﴿ (١) .

وها هو ذا الرسول قد بعثه الله إليهم بالهدى السماوى ، فهلا استجابت
قريش لهدى السماء

وهذا نبي العتيق ، الذى رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل ، عليهما وعلى
رسولنا أخص الصلاة وأركى السلام ، قائلين :

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٢) .

هذا البيت ، لذى عهد لله لإبراهيم وإسماعيل ، أن يظهرأ للطلائف
والعاكفين والركع السجود .

هد ، البيت ٩٩

لقد احتلته الأصنام وانتفت حولها ، وارتفعت على جوابه ، مملنة هي
وقاحة ساهرة الشرك بالله .

لا بد من تحطيم الأصنام ، وتطهير البيت لا بد من أن تسلم قريش وجهها
إلى الله .

وصمم رسول الله هي عزم لا يلبس ، أن يزلزل قواعد اشرك هي معقله
الحصين . أعنى مكة ، وأن يظهر البيت من حديد للطلائف والعاكفين والركع
السجود .

وعبثا حاول أبو سميان - الذى أرسلته قريش سميرا بينه وبين الرسول - أن
يجدد العهد الذى نقصته قريش ، ولم يجد أبو سميان - رغم دهائه ولبافته - عون
من أحد حتى ولا من ابنته أم حبيبة زوجة رسول الله ، التى بلغ بها النصور من
الشرك ، أن طوت فراش رسول الله ﷺ ، حتى لا يجلس عليه أبوها ، فلما سألها
مستغصرا : أرغبت به عن الفراش ، أم رغبت بالفراش عنه .

(٢) البقرة ١٢٧

(١) البقرة ١٢٩ .

قالت : هو فرائض رسول الله وأنت مشرك نجس .
فانصرف عنها مغضبا قائلا .
« والله لقد أصابك من بعدى شر » .

وأخطأ أبو سفيان فما أصابها شر ، ولكنها كراهية الشرك ، ولكنها المحبة
القوية العميقة لرسول الله ، صلوات الله عليه وسلامه .

وخرج رسول الله ﷺ ، يوم الأربعاء بعد العصر ، لعشر ليال حلون من شهر
رمضان ، سنة ثمان من الهجرة حتى إذا كان بالكديد واجتمع الناس إليه أخذ إماء
فشرب منه ثم قال :

« أيها الناس من قبل الرحضة ، فإن رسول الله ﷺ ، قبلها ، ومن صام فإن
رسول الله ﷺ ، قد صام » .

حتى إذا بلغ صلوات الله عليه وسلامه ، مر الظهران - وهو مكان بالقرب
من مكة - أمر الجيش بالإفطار ، لأنه ، فيما يبدو ، يوشك أن يخوض المعركة
الفاصلة بين الشرك والإيمان .

وعسكر الجيش في مر الظهران ، ولما مر الجيش بأبي سفيان بعد أن أمه
العباس ، رضى الله عنه ، قال ، بعقليته الجاهلية ، للعباس -

يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما .

فقال العباس بعقليته الإسلامية :

ويحك إنه ليس بملك ، ولكنها نبوة .

قال أبو سفيان : نعم .

وترجعه رسول الله ﷺ ، نحو مكة محذر من إراقة الدماء ، ولما قال سعد بن
عبادة ، وهو أحد قادة الجيش حينئذ :

اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمه :

عزله للنبي ﷺ ، فقد كان رسول الله صلوات الله عليه وسلامه يريد أن
يكون ، اليوم ، يوم المرحمة .

ودخل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه مكة دون مشقة ، وكان أول ما
 فعل ، أن طاف بالبيت سبعة ، ولما دخل البيت ، فرأى فيه صور الملائكة بهيئة
 النساء ، ورأى إبراهيم عليه السلام مصورا في يده الأرقام يستقسم بها ، قال :
 « قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأرقام ، ما شأن إبراهيم والأرقام ؟
 ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) » .

وأمر بطمس الصور كلها ، واتجه إلى الأصنام فحطمها مرددا قوله تعالى
 ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ رَهُقًا ﴾ (٢) .
 وإذا كان رسول الله ﷺ ، قد حطم الأصنام المادية ، فإنه من قبل ذلك ومن
 بعد ذلك قد حطم كل صمم يعبد من دون الله ، وبين أن الرياء شرك ، والهوى
 شرك ، والخصوع للشهوات شرك ، وكل عمل لا يقصد الإنسان به وجه الله ،
 فإنما هو من أعمال الشرك .

وحينما اجتمعت قريش إليه نظر إليهم وقال :
 « يا معشر قريش ما ترون أسي فاعل بكم ؟ »
 فقالوا : خبرا ، أخ كريم وابن أخ كريم !
 فقال : وهو يئس « اذهبوا فأنتم الطلقاء »
 أقول لكم ما قاله أحي يوسف لإخوته ،
 ﴿ لَا تَرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٣) .

غزوة تبوك

١ الإنفاق في سبيل الله ،

أمر رسول الله ﷺ ، أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك هي رمان عمرة
 الناس ، وشدة من الحر وجذب من البلاد ، وحين طابت الثمار ، وأناس يحبون
 المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشحوص على الحال من الزمان الذي هم
 عليه .

(٢) يوسف ٩٢

(٣) الإسراء ٨١

(١) آل عمران ٧٧

وكان رسول الله ﷺ ، قلما يخرج في عروة إلا كنى عنها وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد له إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بينها للناس ، بعد الشقة ، وشدة الرمان وكثرة العدو الذي يصمد له ، ليتأهب الناس لذلك أهيته ، فأمر الناس بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم ^(١) .

ولأن هذا كان في جذب من البلاد ولم يكن - لذلك - من السهل تجهيز الجيش ، سمي هذا الجيش ، جيش العسرة .

وحص رسول الله ﷺ أهل اليمن على الشقة في سبيل الله ، وأعلن رسول الله ﷺ ، أن من جهر جيش العسرة ، فيه الجنة ، فتمابق المسلمون رجالاً ونساء في التبصر بجليهن ويمالهن والرجال بما يستطيعون ها هو ذا أبو بكر الصديق يأتي بكل ماله ، وكان أربعة آلاف درهم ، ويسأله رسول الله ﷺ هل أنقبت لأهلك شيئاً ؟ فيقول رضى الله عنه .

أنقبت لهم الله ورسوله .

ويجئ عند الرحمن بن عوف بمائة أوقية من الذهب الخالص

ويجئ سيدنا عثمان بثلاثمائة بعير وبألف دينار ويصنع الدناير في حجر رسول الله ﷺ ، فيسر الرسول بها ويدخل يده فيها يقلبها ويقول اللهم ارض عن عثمان فبى عنه راض ، ويقول ما على عثمان ما عمل بعد اليوم .

وتتوالى التبرعات من الرجال والنساء حتى تنتهى بتجهيز الجيش وقيامه بالمهمة التي أرادها الله ورسوله

والتفاف في سبيل الله معركة كبيرة في الإسلام .

يقول الله تعالى - في الإنفاق في سبيله :

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَفًا فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٤١) ﴿٢﴾

وحينما فسر مكحول ، رضى الله عنه ، هذه الآية الكريمة قال يعنى بها الإنفاق في الجهاد من رباط الخيل وإعداد السلاح وغير ذلك

(٢) البقرة ٢٤١

(١) ابن هشام

ومما روى عن رسول الله ﷺ في ذلك قوله : « من أرسل بعفقة هي سبيل الله ، وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم يوم القيامة ، وقوله ﷺ ، وأقام في بيته ، أي لعذر ، كالمريض مثلاً .

ثم يكمل رسول الله ﷺ فيقول :

« ومن عرا هي سبيل الله وأبفق هي جهة ذلك ، فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم » .

ثم تلا صلوات الله وسلامه عليه هذه الآية :

﴿ وَاللَّهُ يَصَاعِفُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

ودات يوم جاء رجل ندقة مخطومة فقال يا رسول الله ، هذه هي سبيل الله .

فقال رسول الله ﷺ ، على ما رواه الإمام مسلم أنك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة .

والإسلام بحث ويشجع على الإنفاق هي سبيل الله في الحالات التي لا يكون فيها المدو داخل حدود الإسلام ، أما إذا اقتحم العدو الحدود فإن الإسلام كما يوجب الجهاد بالمفسر إيجاباً فإنه يوجب العدل والإنفاق إيجاباً أيضاً كل بقدر ما يستطيع .

٢ - غزوة تبوك والبيكاعون الذين سيكون شوقاً إلى الجهاد :

قال ابن إسحاق فيلمى أن ابن ياسين بن عمير بن كعب البصري لقى أبا ليلى وعبد الله بن معقل وهما يكيان فقال ما يكيكما ؟

قالا جئت رسول الله ﷺ ليحملنا فم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه .

فأعطاهما ناصحا فارتحلاه ، ورودهما شيئاً من تمر فخرجا مع النبي ﷺ .

راد يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال :

وأما عتبة بن ريد فخرج من الليل فصلى من ليلته ما شاء الله ثم بكى وقال -

إلا طرأ أن ذلك سيخفى به ما لم ينزل فيه وحى من الله ، وغزا رسول الله ﷺ تلك
 العروة حين طابت الثمار والظلال ، فأنا إليها أصغر ، فتجهز رسول الله ﷺ
 والمسلمون معه ، وطمعت أغدو لكي أتجهز معه فأرجع ، ولم أقص شيئا وأقول هي
 نفسى أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل يتمادى بى حتى استمر بالناس أبدا ،
 فأصبح رسول الله ﷺ عادي والمسلمون معه ، ولم أقص من جهازى شيئا ، ثم
 غدوت فرجعت ولم أقص شيئا ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى أسرعوا ، وتمازط
 المرو فهممت أن أرتحل فأدركهم هيايتى فعلت ثم لم يقدر ذلك لى .

وظففت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزننى أنى لا أرى
 لى أسوة إلا رجلا معموصا عليه فى النماق ، أو رجلا معى عذر الله تعالى من
 الصعفاء ، ولم يذكرى رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس فى القوم
 بتبوك :

ما فعل كعب بن مالك ؟

فقال رجل من بنى سلمة : يا رسول الله حبسه برداء والظفر هى عظميه .
 فقال له معاذ بن جبل رضى الله عنه : بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ما
 علمنا عليه إلا حيرا .

فمكنت رسول الله ﷺ ، فبينما هو على ذلك رأى رجلا مبيضا يزول به
 السراب فقال رسول الله ﷺ
 كن أبا خيثمة ، فإذا هو أبو خيثمة الأنصارى ، وهو الذى تصدق بصاع التمر
 حين لمره المفاقر .

قال كعب : فلما بلغنى أن رسول الله ﷺ : قد توجه قافلا من تبوك
 حضرى بئى هطففت أتذكر الكذب وأقول : بم أخرج من سخطه غدا ، وأستمع
 على ذلك بكل ذى رأى من أهلى ، فلما قيل أن رسول الله ﷺ قد أطل قادمًا زاح
 على الباطل حتى عرفت أنى لم أبع منه بشيء أبدا ، فأجمعت صدقه ، وأصبح
 رسول الله ﷺ قادمًا ، وكان إذ قدم من سمر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ، ثم
 جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلمون يعتذرون إليه ويحلفون له ، وكانوا بصحا
 وثمانين رجلا ، فقبل منهم علايتهم ويأبهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى
 الله تعالى حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم انقضب ثم قال : تعال .

فجئت أمشي إليه حتى جلست بين يديه فقال لي .

ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ قال قلت .

يا رسول الله إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني
سأخرج من سخطه بعذر ، لقد أعطيت جدلاً ، ولكنني والله قد علمت لن حديثك
اليوم حديث كذب ترصني به عني ليوشكن الله بسخطك علي ، وإن حدثتك حديث
صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عفي الله عر وجل ، والله ما كان لي من عذر ،
والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تحلفت بك فقال رسول الله ﷺ
أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقصني الله فيك .

وسار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك أدبت ديباً
قبل هذا لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلي رسول الله ﷺ بما اعتذر به
المحلمون ، فقد كان كاهيك ديبك ستعمار رسول الله ﷺ لك

قال هو لله ما دل بنفسي حتى أردت أن أرجع إلي رسول الله ﷺ فأكذب
نفسي .

ثم قلت لهم .

هل لقي هذا معي من أحد ؟

قالوا نعم لقيه معك رجلان قالوا مثل ما قلت وقيل لهم مثل ما قيل لك

قال قلت من هما ؟

قالوا : مرارة بن ربيعة العامري وهلال بن أمية اللواقضي

قال فذكروا لي رجلين صديقين قد شهد بدراً فيهما أسوه ، قال فمضيت
حين ذكروهما لي ، ونهى رسول الله ﷺ عن كلاما أيها الثلاثة من بين من تحلف
عه ، قال فاحتسب الناس أو قال تعيروا لنا حتى تكرب لي في نفسي لأرض فما
هي بالأرض التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي فاستكنا
وقعدا في بيوتهما بكيان ، وأما أنا فكانت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج
فأشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد وني
رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقوف في نفسي هل

حرك شفتيه برد السلام أم لا ؟ ثم أصبى قريبا منه وأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي ، وإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال ذلك على من حموة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عصى ، وأحب الناس إلي ، سلمت عليه هو الله ما رد على اسلام فقت له

يا أبا قتادة ، أشدك الله هل تعلمني أحب الله ورسوله ﷺ .

فسكت ، فعدت فاشدته ، فسكت ، فعدت فاشدته ، فقال : الله ورسوله أعظم ، ففاصت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار .

فبينما أنا أمشي في سوق المدينة إذا تبطل من بطن الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فطمق يشيرون له إلى حتى جاءنى مدفع إلى كتاب من ملك غسان وكنت كاتب فقراته فإذا فيه

أما بعد ، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد حفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة ، فالحق بنا نواسك . فقلت حين قرأتها : وهذه أيضا من البلاء ، فیممت بها التور فسجرتها ، حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستليت الوحي ، إذا رسول الله ﷺ يأتينى فقال

إن رسول الله ﷺ يأمرک أن تعتزل امرأتک ، فقلت : أظننها أم ماذا أفضل ؟

فقال : لا ، اعتزلها فلا تقریها .

وأرسل إلى صاحبى يمثل ذلك ، فقلت لامراتى الحفى بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله من هذا الأمر . فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت له

يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ صائح ليس له خادم ، فهل تكره أن أحده ؟ قال

لا ، ولكن لا یقریک . فقالت

إنه والله ما به من حركة إلى شيء . والله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إني يومه هذا . فقال لى بعض أهلى .

هو استأذنت رسول الله ﷺ في امرائك ، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن
تخدمه ؟ فقلت :

لا استأذن فيها رسول الله ﷺ وما يدريني ماذا يقول رسول الله ﷺ إذا
استأذنته فيها وأنا رجل شاب ، فليست بذلك عشر ليال ، فكمّل لنا خمسون ليلة من
حين نهي عن كلامنا .

ثم صليت صلاة المحر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا هيبا أنا
جالهم على الحال التي ذكر الله تعالى ما قد صاقت على نفسي ، وصاقت على
الأرض بما رحبت ، سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته يا
كعب بن مالك أبشر وخررت ساجدا وعرفت أنه قد جاء المرح . فآذن رسول الله
ﷺ الناس بتوبة الله عز وجل عليهما حين صلى صلاة لمجر فذهب الناس
يبشروننا ، فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض إلى رجل فرسا ، وسمي ساع من
اسلم قبلي ، أوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من المرس ، فلما جاءني الذي
سمعت صوته يبشري نزعته له ثوبي فكسوتهما إياه بشراه والله ما أمك غيرهما
يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وطلعت أنا مع رسول الله ﷺ يتلقاني الناس
فوجا فوجا يهتفون بالتوبة ، ويقولون لي انتهك توبة الله عليك ، حتى دخلت
المسجد ، فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس فقام طلحة بن عبيد رضي الله
عنه يهرول حتى صافحني وهنأني . والله ما قام رجل من المهاجرين غيره فكان
كعب لا يتساهل لطلحة ، قال كعب . فلما سمعت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق
وجهه من السرور .

أبشر بحبر يوم مر عليك منذ ولدتك أمك .

فقلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟

قال - لا يل من عند الله عز وجل .

وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر وكنا
نعرف ذلك منه ، فلما جئت بين يديه قلت .

يا رسول الله ، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله

فقال رسول الله ﷺ أمصك عليك ببص مالك فهو خير لك .

فقلت إني أملك سهمي لدى بحير ، وقلت يا رسول الله ، إن الله تعالى بما أنجاسي بالصدق وإن من تويتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت فوالله ما علمت أحدا من المسلمين أبلاه الله تعالى في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاي ، والله ما تمعدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومى هذا ، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله تعالى فيما بقى ، قال فأنزل الله تعالى :

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ حتى بلغ ﴿ إِنَّهُمْ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَوْا حَتَّى إِذَا هَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ حتى بلغ ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١) .

قال كعب : والله ما اسم الله على من بعة قط بعد إذ هداني الله للإسلام اعظم من نفسى من صدق رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبتة فأهلك كما هتك الذين كذبوا ، إن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل لوحى شر ما قال لأحد فقال الله تعالى .

﴿ سَيَخْلُقُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا رَأَيْتُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٥) يخلفون لكم ترصوا عنهم فإن ترصوا عنهم فإن الله لا يرضى عن الأقوم الفاسقين (١٦) ﴿ (٢) .

قال كعب : كنا حمنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين هيل منهم رسول الله ﷺ حين خلعوا له ، فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قصى الله تعالى فيه بذلك قال الله تعالى ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلعوا ﴾ وليس الذى ذكر مما خلعنا تخلفا عن العزو ، وإنما هو تحليمه إيانا وإرجأه أمرا مما خلع له وعتذر إليه فقبل منه ، متفق عليه .

وهي رواية : أن النبى ﷺ خرج في عزوة تبوك يوم الحميس وكان يحب أن يخرج يوم الحميس .

وهي رواية ، وكان لا يقدم من سفر إلا بهار في الضحى ، فإذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس فيه « ١ هـ .

اليهود

١ - اليهود ... لعنوا :

لقد لعنوا على لسان داود ، ولعنوا على لسان عيسى .

يقول الله تعالى

﴿ لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَّخِذُونَ مِنْ مُّسْكِرٍ هَزْلًا وَلَئِنْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٧٩) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَقُولُونَ الدِّينُ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَنَبِيِّ رُسُلِهِ وَلَوْ كَانُوا يَافِقُونَ (٨١) تَجِدُنَ أَكْثَرَهُ النَّاسِ طَرَفًا لِّدِينِ الْأَمْوَ الْيَهُودِ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا (٨٢) ﴾ (١)

ولعنوا لأن هـى هـطرتهم الخبيثة نقض المواقف .

يقول تعالى :

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِ رُسُلِهِ حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَرَالِ تُطِيعُ عَلَى حَائِثِهِ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ (٢) ﴾ (٢) .

٢ - عودة إلى حكمة الجهاد :

يقول الله تعالى :

﴿ قَلِيلًا قَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧١) وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (٧٥) ﴾ (٣) .

إن هذه الآيات الكريمة من سورة النساء كأنها نزلت اليوم تصف حالة إخواننا من المؤمنين المستضعفين رجالا ونساء وولدا في فلسطين يلجئون إلى الله ويصرعون إليه قائلين ربنا أخرجنا من هذه القرية التي ظلمها فيها اليهود

(٢) مائدة ١٣

(١) سورة المائدة ٧٨ - ٨٢

(٣) النساء ٧٤ - ٧٥

يديقوننا من الدل ألوانا ومن العذاب صنافا ، ريب واجعل لنا من لدك وليا ،
ينقدا من هؤلاء بإخراجهم من المساكن التي اعتصميوها ، واجعل لنا من لدك
نصيرا ينصرونا على من ظلمنا .

وكما بدأ الله سبحانه هذه الآيات بالأمر الجازم الذي يبين أن الذين يقاتلون
في سبيل الله إنما هم الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومعنى ذلك أن من لم
يقتل في سبيل الله إنما هو الذي لا يشرى لحياة الدنيا بالآخرة ، أي الذي ليس له
في الإيمان نصيب ، نقول إنه كما بدأ الله هذه الآيات بذلك فإنه سبحانه بين أن
الذين آمنوا لهم في حريهم هدف هو الحق والعدل ، ورد الظلم والمردوان ، فهم
يقاتلون في سبيل الله ، أما الذين يحاربونهم فإنهم يحاربون الحق والعدل ، ورد
الظلم والعدوان ، فهم يقاتلون في سبيل الشيطان ، ويأمر الله المسلمين بأن يقاتلوا
أولياء الشيطان أينما وجدوا .

ومن أولياء الشيطان ، بل على رأس أولياء الشيطان في عصرنا ، الحاضر
اليهود .

لقد وضعوا منهجا لإفساد الإنسانية من حيث الدين .
ولإفساد الإنسانية من حيث الخلق .

وأخذوا يعملون على تنفيذه بمالهم ، وصحافتهم ، ودعائيتهم ، لقد ريفوا
العمم ، وسحروا الأفلام ، واستأجروا الصمائر في سبيل إفساد الإنسانية وتحللها .
وذلك من أجل أن يصلوا عن طريق ذلك إلى السيطرة والاستعلاء والتملك
والتحكم .

ولكن الله سبحانه سيحطم مبادئهم لدى بنوا ، وسيذهب كيدهم ومكرهم
لأن الله سبحانه يتولى دائما الصالحين من عباده الذين يعملون على سيادة الحق
والعدل .

٣ - من مؤامراتهم ضد الوحدة العربية :

مر شمس من قيس ، بالأوس والحزرج في محاسن جمعهم فعاضله صلاح ذات
بيهم وقال في نفسه

قد اجتمع ملا بني قبيلة في هذه البلاد ، وما لنا معهم إذا اجتمع ملؤها بها من قرار ،

وأمر حتى شابا من اليهود كان معهم أن يتهر فرصة يذكرهم فيها بيوم يعد ذلك اليوم الذي انتصر فيه الأوس على الخزرج .

وتكلم الفلام وأنشدهم ما قيل في ذلك اليوم من أشعار ، وذكر القوم ذلك ليوم ، وتارعوا وتماحروا واحتصموا ، وقال بعضهم لبعض
بن شثتم عبدا إلى مثلها .

وبلغ رسول الله ﷺ ذلك الأمر ، فخرج إليهم فيمن معه من الأنصار والمهاجرين فذكرهم بما ألف الإسلام بين قلوبهم وجعلهم إخوانا متحابين وكان مما قل

« ادعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية » ٩.

وما زال بهم حتى بكى القوم وعانق بعضهم بعضا ، واستغفروا الله جميعهم فما رأى يوم أقيح أولا وأحسن أحرا من ذلك اليوم .

وما كانت هذه هي المؤامرة الأولى أو الأخيرة من مؤامرات اليهود ضد الوحدة العربية .

ولقد تغلب عليها العرب بمبدأ الوحدة التي عرسها الإسلام فيهم .

وإذا كان هذا المبدأ - مبدأ الوحدة - قد نجح في الماضي فهو لا محالة ناجح في العصر الحاضر .

ومما لا شك فيه أن الصهيونية تعمل جاهدة على عرس بذور العداوة بين الدول العربية في العصر الحاضر حتى يفتشلوا وتذهب ربحهم ، ولكن السلاح الوحيد الذي يجب أن نتحصن به دائماً لرد باطلهم التحريض إنما هو التمسك بالوحدة

على أن الوحدة إنما تنشأ وتثبت وتستمر إذا اتحدت ابتل والأهداف

وكاست هنالك العوامل التي تحفظ هذه الوحدة وتشدها برباط محكم وثيق . وكل ذلك قد نظمته الإسلام وأحكمه

وأحب هنا أن أشير إلى عامل واحد فقط من العوامل التي تحلق الوحدة وتتميها ، وتقوى هي المجتمع أو أوصرها المقدسة ، ذلك هو عامل اللغة وهو من الأهمية بحيث جعله الرسول ﷺ مناط التمييز بين العربى وغيره ، فقال تلك الكلمات العميقة الملهمة « من تكلم بالعربية فهو عربى » ، وكان من توفيق الله أن نزول القرآن بلسان عربى مبين قد حفظ على اللغة العربية وحدتها وثباتها ، فلم تتشعب إلى لغات كما حدث للغة اللاتينية ، أو اللغة اليونانية ، وبقيت إذن اللغة العربية مصدر تقرب وتماهم وأحوة بين الناطقين بها .

ومن أجل ذلك فإن كل دعوة للعامية ، إنما هي دعوة للتفريق والتفكك والانفصال ، وهى إذن دعوة خبيثة يجب أن تقاوم كما يقاوم الميكروب الخبيث .

يجب علينا أن ننتبه لكل مؤامرات الصهيونية التي تحيكها من أجل إيجاد التفريقة هي الوحدة العربية ، وأن نتمسك بالأمر الإلهى الكريم ﴿ وَلَا تَارَعُوا فَفَشَلُوا فَيَذَرُكُمْ رِيحَ كُفْرٍ ﴾ (١) .

٤ ومن مؤامراتهم للقضاء على الإسلام :

إن أول من فكر في جمع المشركين وتوحيد كلمتهم ضد الإسلام ، إنما هم اليهود ، فقد روى الزهري ، وعبد الله بن كعب بن مالك وغيرهم أن نصرا من اليهود من بنى التخيير وغيرهم خرجوا حتى قدموا على قريش مكة فدعاهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وقالوا لهم : إنا سيكون معكم عليه حتى تستأصله .

وسأل المشركون اليهود فآثبوا أديسا حير أم دبر محمد ؟ فقال اليهود : بل ديبكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه .

فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوا إليه من حرب رسول الله ﷺ ، ثم سار اليهود حتى جاءوا إلى غطمان فدعاهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وأحبروهم أنهم سيكونون معهم وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك

وهكذا أخذوا يؤلبون الجزيرة العربية حتى كانت النتيجة عروة الأحزاب التي رد الله فيها الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا حيرا .

(١) الأنفال : ١٦

٥ - الرسول ﷺ ، ويهود بنى قينقاع :

جمعهم رسول الله ﷺ فى سوقهم بالمدينة ثم قال -

يا معشر يهود ، اهدروا من الله مثل ما سئل بقريش من النعمة وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم أنى سى مرسل ، تحدثون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم .

فقالوا ، يا محمد إنا نرى أنا قومك ١٩ لا يعربك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحروب فأصببت ^(١) منهم فرصة ، أما والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس .

ونزل بمناسبة قولهم هذا ما أوحاه الله تعالى فى سورة آل عمران من قوله
﴿ قُلْ لِلدِّينِ كُفْرُوكُمْ أَشَدُّ بِالنَّاسِ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَهَادُ ﴿٦﴾ ذَٰلِكَ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فَمِّ الشَّيْطَانِ ﴿٧﴾ ﴾^(٢)

يعنى أصحاب بدر من أصحاب رسول الله ﷺ وقريش .
﴿ فَتَنَّا قَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصْرَهُ مَن يَشَاءُ ۚ فِى ذَٰلِكَ بَعْرَةٌ لِّأُولَى الْأَبْصَارِ ﴿٣﴾ ﴾^(٣) .

وكان من أمرهم أيضا ، كما يذكر ابن إسحاق ^(٤) أنهم كانوا أول يهود بقصوا لعهد وحاربوا فيما بين بدر وأحد ، على أن الذى أثار حمية المسلمين هو ما ذكره عند الله بن جعفر بن منصور بن محرمة عن أبى عون ، قال كان من أمر بنى قينقاع أن امرأة من لعرب قدمت تجلب لها هبعتة يسوق بنى قينقاع وجلست إلى صائغ هناك منهم ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبى ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده ، إلى ظهرها ، فلما قامت ، انكشفت سورتها فصيحكوا بها فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهوديا ، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه هاستصرخ أهل المسلم المسمين على اليهود ، فأغضب المسلمين ، هرفع الشر بينهم وبين بنى قينقاع

(١) آل عمران ١٢

(٢) يعنى غزوة بدر .

(٣) سورة آل عمران ١٣

(٤) السيرة النبوية لأبى كثير

فلما كان كل ذلك منهم - تحدى الرسول ، وقصص اليهود ، والاعتداء على العرض - حاصرهم ، رسول الله ﷺ ، حتى نزلوا على حكمه ، فلما أمكن لله تعالى ، رسول الله ﷺ ، منهم قام إليه عبد الله بن أبي بن سلول المنافق الأكبر يشفع فيهم ويشير من طرف حفي إلى فتنة تحدث في المدينة لو لم يشفعه رسول الله فيهم .

أما عبادة بن الصامت رضى الله عنه فقد اتخذ موقفاً يبايظ موقفاً عبد الله بن أبي بن سلول وحشى رسول الله ﷺ أن يجر الأمر إلى فتنة ، فقال لعبد الله بن أبي -

« هم لك » .

وانتهى الأمر بأن حرقوا من المدينة فلم يصبحوا شوكة في ظهر المسلمين وهي عبادة بن أبي لعنه الله ، وفي عبادة بن الصامت رضى الله عنه برئت الآيات التالية من سورة المائدة :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥٠) فترى الذين هي قلوبهم مرمى يسارعون فيهم يقولون نحشى أن نصيبنا دائرة فمسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين (٥١) ويقول الذين آمنوا هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فاصبحوا خاسرين (٥٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُم عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَحَافُونَ نَوْمَةً لَّأَنَّهُمْ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٣) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٤) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُغَالِبُونَ (٥٥) ﴿ (١)

٦ بنو النضير يتآمرون على قتل رسول الله ﷺ :

وغزوة بني النضير التي أنزل الله تعالى فيها سورة الحشر .

(١) سورة المائدة ٥١ - ٥٦

وكان ابن عباس رضى الله عنه يسمى سورة الحشر - كما يقول البخارى
فى صحيحه - سورة بنى النضير .

لقد كان بين بنى النضير وبين بنى عامر عهد وحلف ، وذهب رسول الله ﷺ
إلى بنى النضير يستعينهم فى دية قتيلين من بنى عامر ، فلما أتاهم ﷺ قالوا :

نعم يا أبا القاسم بعينك على ما أحببت

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا :

إنكم لن تجلوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب حدار
من بيوتهم قاعد - فمن رحل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة ويربحها
منه ؟

فانتدب لذلك عمرو بن جعاش بن كعب فقال :

نا لذلك

فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال - ورسول الله ﷺ فى نفر من أصحابه
فيهم أبو بكر وعمر وعلى ، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم
فقام وخرج راجعا إلى المدينة

فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه قاموا فى صلبه فلقوا رجلا مقبلا من
المدينة فسأله عنه فقال : رأيت داخل المدينة .

فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه ، فأحبرهم الخبر بما كانت
اليهود أرادت من الغدر به .

قال الواقدي - فبعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من
جواره وبلده .

فبعث إليهم أهل اسفاق يثيتونهم ويحرضونهم على المقام ويمدونهم النصر
فقويت عند ذلك نفوسهم ، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ : أنهم لا يخرجون ، وبأيدوه
بنقض اليهود .

فعند ذلك أمر الناس بأن يخرج إليهم .

وحاصرهم المسلمون خمس عشرة ليلة .

وانتهت المحاصرة بأن طلبوا إلى رسول الله ﷺ أن يجليهم ، ويكف عن دعائهم ، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح .

وفيهم يقول الله تعالى هي سورة الحشر

﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاكَرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) .

ويقول الله تعالى فيها مبين موقف انفاقين منهم في أسلوب لادع عنيف ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَنُخْرِجَنَّكُمْ مَعَهُمْ وَلَا يُطِيعُ فَبِكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٥) لَئِنْ أَخْرِجُوا لَا يَخْرُجُوا مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْتُوا الْأَذْيَارَ ثُمَّ لَا يَصُرُونَ (٦) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْمًا فِي حُدُودِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٧) لَا يَقَاتِلُوكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْشِيهِمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (٨) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُوا أَرْهَامٍ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ سَكَرْتَنِي أَحَافُ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٠) فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ جَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١١) ﴾

وتنتهي سورة الحشر بنصيحة سامية للمؤمنين من الله العزيز الحكيم ،

ويا أمر كريم من رب كريم ، وبوصف لله سبحانه وتعالى يتضمن الجمال والجلال

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ سَوَّا اللَّهُ فَأَسَاءَتُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) نُوْأَسِرْلَنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جِلْ لِرَأَيْتُهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ حَضْبَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَارُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَعَكَّرُونَ (٢١) هُوَ اللَّهُ

الذى لا إله إلا هو عالمُ الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ﴿٧٢﴾ هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ﴿٧٣﴾ هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى سبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴿٧٤﴾ ﴿

٧ - بنو قريظة :

نقض بنو قريظة اليهود عهدهم مع رسول الله ﷺ ، حينما قدمت جيود الأحراب ونزلوا على المدينة ، وانضم بنو قريظة إلى الأحزاب ضد رسول الله ﷺ وقويت بهم شوكة الأحزاب ، وزاد الخطر بالنسبة للمسلمين زيادة قوية

وبخ ذلك رسول الله ﷺ ، فساءه وشق عليه وعلى المسلمين جدا ، فبدأ رد الله الدين كفروا بغيظهم وصنع الناس السلاح ، فبينما رسول الله ﷺ يمشى من وعشاء تلك المراتبة فى بيت أم سلمة رضى الله عنها إذا بجيهرين عليه السلام تراءى له فقال

أوقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟

قال ﷺ : « نعم » .

قال : لكن الملائكة لم تصنع أسلحتها انهم إلى هؤلاء .

قال ﷺ : « من » ؟

قال عليه السلام : بنو قريظة .

فتهم رسول الله ﷺ ، من هوره ، وأمر الناس بالمسير إلى بنى قريظة وكانت على أميال من المدينة ، وذلك بعد صلاة الظهر ، وقال ﷺ :

« لا يصلين أحد منكم العصر إلا فى بنى قريظة » .

يقول ابن كثير :

فسار الناس فأكبرتهم الصلاة فى الطريق ، فصلى بعضهم فى الطريق وقالوا : لم يرد منا رسول الله ﷺ إلا تمجيل المسير ، وقال آخرون : لا تصلوها إلا فى بنى قريظة ، فلم يمتف واحدا من الفريقين ، وتبهم رسول الله ﷺ ، وقد استخلف

على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه ، وأعطى الرية لعل بن أبى طالب رضى الله عنه ثم بارئهم رسول الله ﷺ وحاصرهم حمص وعشرين ليلة ، فلما طال عليهم الحال قتلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس رضى الله عنه ، لأنهم كانوا علماءهم فى الجاهلية ، واعتقدوا أنه يحسن إليهم فى ذلك كما فعل عبد الله ابن أبى بن سلول فى مواليه بنى قبيق حين استطلقهم من رسول الله ﷺ ، فظن هؤلاء أن سعد رضى الله عنه كان قد أصابه سهم فى أكحله أيام لخدق فكوه رسول الله ﷺ فى أكمعه وأثره فى قبة المسجد ليعوده من قريب ، وقال سعد رضى الله عنه فيما دعا به اللهم إن كنت أمقيت من حرب قريش شيئا فأبقى لها وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاهجرها ولا تمتنى حتى تقر عيني من بنى قريظة وستحاب الله تعالى دعاءه ، وقدر عليهم أن تزلوا على حكمه باختيارهم طلب من تلقاء أنفسهم فبعد ذلك استدعاء رسول الله ﷺ من المدينة ليحكم فيهم فلما أقبل وهو راك على حمار قد وطئوا له عليه حصن الأوس يلوذون ويقولون يا سعد إنهم مواليك فأحسن فيهم ، ويرققوه عليهم ويعطفونهم وهو ساكت لا يرد صيهم ، فلما أكثروا عليه ، قال رضى الله عنه لقد آن لسعد ألا تأخذه فى الله لومة لائم ، فعرضوا أنه غير معتنقهم ، فلما دب من الخيمة التى فيها رسول الله ﷺ ، قال صلوات الله عليه وسلامه

« قوموا إلى سيدكم » .

فقام إليه المسلمون فأرلوه إعظاما وإكراما واحترما له فى محل ولايته ليكون أمنا لحكمه فيهم .

فلما جلس قال له رسول الله ﷺ :

« إن هؤلاء وأشار إليهم قد نزلوا على حكمك فأحكم فيهم بما شئت »

فقال رضى الله عنه . وحكمى عليهم بأخذ ؟

قال ﷺ : « نعم » .

قال : وعلى من فى هذه الخيمة ؟

قال ﷺ . « نعم » .

قال رضى الله عنه - وعلى من هاهنا ؟ وأشار إلى الجانب الذى فيه رسول الله ﷺ ، وهو معرض بوجهه عن رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ، إجلالا وإكراما وإعظاما ، فقال له رسول الله ﷺ : « نعم » .

فقال رضى الله عنه : إني أحكم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذريتهم وأموالهم . فقال له ﷺ : « لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة » وفى رواية « لقد حكمت بحكم الملك » .

ولهذا قال سبحانه وتعالى ﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ ۖ أَيَّ عَاوِيَا الْأَحْزَابِ وَمَاعَدُوهُمْ عَلَىٰ حَرْبٍ رَّسُولَ اللَّهِ ﷺ ۖ « مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ » يَعْنِي بَنِي قُرَيْظَةَ مِنَ الْيَهُودِ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِ بَنِي إِسْرَآئِيلَ ، كَانَ قَدْ نَزَلَ أَنَاؤُهُم الْحِجَارَ قَدِيمًا طَمَعًا فِي اتِّبَاعِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يَجْلِسُونَهُ مَكْتُوبًا عَنْهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿ لَلْمَأْجَاءِ لَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ ^(١) فَعَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ - وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ بَنِي صَيَّاصِيهِمْ ﴾ يَعْنِي حَصُونَهُمْ .

﴿ رَقَدَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبُ ﴾ ^(٢) وَهُوَ الْخَوْفُ لَأَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ مَالَتْهُوا الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ حَرْبِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلَيْسَ مِنْ يَعْلَمُ كَمَنْ لَا يَعْلَمُ ، وَأَخَافُوا الْمُسْلِمِينَ وَرَأَوْا نَيْمَرَهُمْ فِي لَدُنْيَا فَانْعَكَسَ عَلَيْهِمُ الْحَالُ وَانْقَلَبَ إِلَيْهِمُ الْمَقَالُ وَانْشَمَرَ الْمُشْرِكُونَ فَمَازَوْا بِصَفْقَةِ الْمَقْبُولِ فَكَمَا رَأَوْا لِعَزْدَلُوا ، وَأَرَادُوا اسْتِثْصَالَ الْمُسْلِمِينَ فَاسْتَوْصَلُوا ، وَأَضْيَعُوا إِلَىٰ ذَلِكَ شَقَاوَةَ الْأَحْرَةِ ، فَصَارَتْ الْحُمْلَةُ أَنْ هَذِهِ هِيَ الصَّمْقَةُ الْخَاسِرَةُ ، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ هَالِدِينَ قَتَلُوا هُمُ الْمُقَاتِلَةُ ، وَالْأَسْرَاءُ هُمُ الْأَصْغَرُ ، وَالنِّسَاءُ

٨ - غزوة خيبر :

«لئن كانت المدينة قد تطهرت من اليهود وغدرهم فهلمى خيبر» ^(١) لا تزال حصننا حصينا لليهود من أهلها ومن نزح إليها من يهود بنى النضير الذين يحملون الحقد والضغنى على الإسلام والمسلمين ، وغير بعيد عنا ما قام به زعماء بنى النضير الذين اتخذوا خيبر مقاما لهم من تأليب العرب على المسلمين في الخندق

(١) هبتة ٨٩ (٢) الأحزاب ٢٦

(٣) قرية في شمال المدينة بينها وبين الشام

وحملهم بنى قريظة على نقض العهد التي كانت بينهم وبين الرسول، ومن ثم نجد أن خير أصبحت مركزاً لتجمعات اليهود يقومون بها يريدون من غدر ومكايد، ولئن كان المسلمون بعد فتح الحديبية قد آمنوا قريشا والجنوب لكنهم لم يأمنوا ناحية الشمال ولا سبعا أهل خير الذين لا يسون ما فعل ياخوانهم اليهود، وليس بعيد أن يستعين بهم هرقل أو كسرى في النيل من المسلمين، وما كان رسول الله ﷺ وهو السياسي المحيى عليه شيء من هذا، لذلك لم يكذب يرجع من الحديبية ويستريح بالمدينة شهر أو نحوه حتى أمر بالتجهيز للخروج إلى حبيب^(١) هـ .

ويقصد الرسول ﷺ : على يهود حبيب قضى على أخطر جرثومة من جراثيم الشر وعلى أكبر وكر من أوكار الخطر . وانتهى أمر اليهود كقوة من القوى التي تعارض الإسلام في الجزيرة العربية .

٩ - آيات من القرآن في اليهود :

﴿ لَقَدْ أَحَدَنَا مِيثَاقٌ بِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧) وَحَسِبُوا أَلَّا يَكُونَ لِقَاءُ قَوْمِهِمْ ثُمَّ نَابَ إِلَهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ (٧١) ﴾ (٢)

ويعمل تعالى .

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُولَةٌ خَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعَنُوا بِمَا قَدَرُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُسْقَى كَيْفَ يَشَاءُ وَلْيَرْسِدْ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَذْرَلْ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤) ﴾ (٣)

وقال تعالى .

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَامِهِمْ وَتُمْ تَوَمَّنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْزَنُونَ

(١) من كتاب السيرة لعضيلة الدكتور محمد أبو شهبة

(٢) سورة المائدة : ٧٠ و ٧١

(٣) سورة المائدة : ٦٤

الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوْضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذِهِ فَعِدْوَةٌ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِمْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَاوُنُ لَلْسُلُحِ . . ﴿٤٧﴾ (١)

وقال تعالى :

﴿ لَنْ يَصْرُوكُمْ إِلَّا أَدْنَىٰ وَإِنْ يُفَاتِنُوكُمْ يُؤْلِكُوكُمْ الْأَذْيَارُ لَمْ لَا يَنْصُرُونَ ﴾ ﴿٤٦﴾ صُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمُدَّةُ أَيُّ مَا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنْ أَسَلِهِ وَحَبْلٍ مِّنَ السَّاسِ وَيَأْخُذُوا بِغَضَبٍ مِّنْ أَسَلِهِ وَصُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴿٣﴾ .

وقال تعالى :

﴿ قَلَمًا عَنَّا عَنِ مَا نَهَوْا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ ﴿١١٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَ عَنْهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِّنْ يُّسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَشَدِيدُ الرَّجِيمِ ﴿١٢٧﴾ ﴿٣﴾ .

وقال تعالى :

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتَا فَجَارِئِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا فَاحِشُونَ ﴾ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ أُنْعِمِ اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَدْخِلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَعَلَى اللَّهِ فَتْرَتُكُلَّا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴿١﴾ .

وحدیث نبوی بیشتہ المسلمین

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يحتبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر للمسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقته » (٥) .

(٢) آل عمران ١١٣ و ١١٢ .

(٤) المائدة ٢٢ ، ٢٣ و ٢٤ .

(١) المائدة ٤١ ، ٤٢ .

(٢) الأعراف ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٥) الترمذی و مسلم

الشهيد

مكانة الشهيد عند الله :

إن مكانة الشهيد عند الله عظيمة جدا، تصورها الأحاديث والآيات القرآنية الكثيرة :

فمن ذلك أن حارثة بن سراقة كان قد استشهد في غزوة بدر فأتت أمه - وهي بنت البراء - رسول الله ﷺ فقالت

يا رسول الله ألا تحدثني عن حارثة ؟ فإن كان في الجنة صبرته وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء .

فقال ﷺ :

يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى .

وروى الإمام مسلم والإمام البخاري عن أنس ، رضي الله عنه أن النبي ﷺ

قال

« ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات ، لما يرى من الكرامة »

وفي رواية « لما يرى من فضل الشهادة » .

عن جابر بن عبد الله ، رضي الله عنهما ، قال :

جاء بأبي إلى رسول الله ﷺ قد مثل به ، فوضع بين يديه فذهبت أكتشف عن وجهه فتهاهى قومي ، فسمعت صوت صائحة ، فقليل . ابنة عمرو - أو أخت عمرو فقال لم تبكي ؟ أو لا تبكي ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها^(١)

« وروى مسلم عن جابر ، رضي الله عنه ، قال : قال رجل : ابن أنا يا رسول الله إن قتلت ؟

قال ﷺ - « في الجنة » فألقى بثمرات كن في يده ، ثم قاتل حتى قتل

(١) رواه البخاري ومسلم

ويقول الله تعالى

﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
يُقَاتِلْ أَوْ يُخَلِّبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٧٤) ﴿ (١)

ويقول سبحانه :

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُمُوتَ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ (١٥٥) ﴿ (٢)
الشهيد سعيد بآستشهادہ :

يحدث ابن كثير أن رسول الله ﷺ لما رأى جابر بن عبد الله مهتما
لاستشهاد أبيه في عزوة أحد قال له معلمنا ومبشرنا « ألا أحرك ما قال الله
لأبيك ؟ فقال جابر : بلى ،

قال ﷺ « ما كلم الله أحد قط إلا من وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كفاحاً »
(والكفاح المواجهة) .

قال : سنن اعطك .

قال : أسألك أن أردّ إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية .

فقال الرب عز وجل .

إنه قد سبق مني تقول : بأنهم إليها لا يرجعون .

قال أي رب فأبلغ من ورائي : (أي أبلغهم بهذه نعمة الكبرى هي الجنة
التي يتقلب فيها الشهيد) .
فأنزل الله تعالى :

﴿ وَلَا تَحْسَبِ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُمُوتًا بَلْ أحيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرَاقِبُونَ ﴾ (١٦٩) ﴿ (٣)
بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم
يَحْزَنُونَ ﴾ (١٧٠) ﴿ يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يهجع أجر المؤمنين ﴾ (١٧١) ﴿ (٤)
رواه الترمذي وحسنه ، وابن ماجه بإسناد حسن أيضا والحاكم .

وقال صحيح الإسناد ، فالشهيد سعيد بآستشهادہ ، ويتمنى أن لو أهد إلى
لدنيا مرة أخرى ليكون شهيدا من جديد .

(١) من الآية ٧٤ من سورة النساء

(٢) من الآية ١٥٦ من سورة البقرة

(٣) آل عمران ١٧١

دعاء

كان رسول الله ﷺ يحكم أمر الجهاد من الناحية المادية إحصاء دقيفا ثم يأخذ هر والمحابيون في الدعاء والتضرع ، واستعجز الله وعده ، ونص هنا بثبت بعض ما كان ﷺ يدعو به ويعلمه للصعبه فيدعون به قبل القتال وفي أثائه .
ونحن في هذا الفصل إنما نرجع إلى ما ذكره الإمام النووي من ذلك في كتابه المارك « الأذكار » .

قال الله عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَارِكُوا مَقَعَتَنَا وَتَدْهَبَ رِجَالُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (٤٧) ﴾
قال العلماء هذه الآية الكريمة أجمع شيء في آداب القتال .

وروي في صحيح البخاري ومسلم عن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ وهو في قبته

« اللهم إني أشدك عهدك ووعدك إن شئت لم تعبد بعد اليوم »

فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده فقال حسبي يا رسول الله ، فقد ألحمت على ربك ، فخرج وهو يقول .

﴿ سَيُهِمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ (٤٦) ﴾ (١)

وهي رواية كان ذلك يوم بدر ، هذا لفظ رواية البخاري ، وأما لفظ مسلم فقد استقبل بي الله ﷺ القيلة ثم مد يده فجعل يهتف بربه ويقول

« اللهم أنحر لي ما وعدتني ، اللهم أنقذ ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض » .

هنا زال يهتف بربه ماذا يديه حتى سقط رداؤه

قلت يهتف بفتح أوله وكسر ثالثة - ومعناه يرفع صوته بالدعاء

(٢) القمر ٤٥ - ٤٦

(١) الأنعام ٤٥ - ٤٧

ورويها في صحيحيهما عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو ، انتظر حتى مالت الشمس ، ثم قام في الناس فقال :

« يا أيها الناس لا تتموا لقاء العدو وسلوا الله العافية ، فإذا لم يمتهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » ثم قال :

« اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصربهم »

وهي رواية : « اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزمهم وزلزلهم »

ورويها في صحيحيهما عن أنس رضي الله عنه ، قال « أصبح النبي ﷺ حبير ، فلما رآوه قالوا - محمد والخميس - فلبأوا إلى الحصن فرفع النبي ﷺ يده فقال : الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . ورويها بالإسناد الصحيح في سنن أبي داود عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ثتان لا تردان أو قلما تردان الدعاء عند النداء ، وعد لباس ، حين يلحم بعضهم بعضا » .

قلت في بعض السخ المعتمدة يلحم بالحاء ، وهي بعضها بالجيم وكلاهما ظاهر .

ورويها في سنن أبي داود والترمذي والسيأتي عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا غزا قال

« اللهم أنت عضدي وبصيري بك أحول وبك أصول وبك أقاتل » .

قال الترمذي : حديث حسن .

قلت : معنى عضدي موسى .

قال الخطابي معنى أحول أحتال . قال : وفيه وجه آخر ، وهو أن يكون معناه المنع والنفع من قتلهم حال بين الشيئين إذا مع أحدهم الآخر فمعناه لا أمتنع ولا أدفع إلا بك .

ورويها بالإسناد الصحيح في سنن أبي داود والسيأتي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا حارب قوما قال

« اللهم إنا نجعلك في نحورهم ، ونعوذ بك من شرورهم »

وروينا في كتاب ابن السنن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ يوم حنين : « لا تتمنوا لقاء العدو فإياكم لا تدرون ما تبتلون به منهم ، فإذا قضيتموهم فقولوا « اللهم أنت ربنا وربهم ، وقلوبنا وقلوبهم بيدك ، وإنما يقبهم أنت » .

وروينا في الحديث لذي قدماء عن كتاب ابن السني عن أنس رضي الله عنه قال كذا مع النبي ﷺ هي غزوة فلقى العدو فسمعتة يقول . « يا مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين » ، فلقد رأيت الرجال تصرع تضربها الملائكة من بين أيديها ومن خلفها .

وروي الإمام الشافعي رحمه الله في الأم بإسناد مرسل عن النبي ﷺ قال . « طلبوا استحابة الدعاء عند التقاء الحيوش ، وقامة الصلاة ، وبرؤ القيث » .

قلت ويستحب استحابة متأكد أن يقرأ ما تيسر له من القرآن وأن يقول دعاء الكرب الذي قدم ذكره ، وأنه في الصحيحين لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم » .

ويقول ما قدماء هناك في الحديث الآخر لا إله إلا الله العظيم الحليم الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم لا إله إلا أنت عز جرك وجل شأوك

ويقول ما قدماء في الحديث الآخر حسب الله ونعم الوكيل

ويقول لا حول ولا قوة إلا بالله العزير الحكيم ، ما شاء الله ولا قوة إلا بالله ، اعصمنا بالله ، اسعنا بالله ، توكلنا على الله .

ويقول حصصنا كل أجمعين بالحي القيوم الذي لا يموت أبدا ، ودفعنا عن السوء بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ويقول « اللهم يا قسيم الاحسان يا من إحسانه فوق كل إحسان يا مالك الدنيا والآخرة ، يا حي يا قيوم ، يا ذا الجلال والإكرام يا من لا يعجزه شيء ولا يتعاضمه ، انصربا على أعدائنا ، هؤلاء وغيرهم وأطهرنا عليهم في عافية وسلامة عامة عاجلا

فكل هذه المذكورات جاء فيها حث أكيد ، وهي مجرية .

وذلك هو الفوز العظيم

ولقد صور الله سبحانه الجهاد في سبيل الحق واعدل ، أي الجهاد في سبيل الله بأنه تجارة ربحية مع الله سبحانه فقال

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُجِيزُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (١) تَزْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢) يَعْرِضُ لَكُمْ دُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِينُ طَيِّبَاتٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٣) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤) ﴾ (١)

يشرح صاحب الكشاف هذه الآية الكريمة ، فيقول .

ولا ترى ترجيحاً في الجهاد أحسن ولا أبلغ من هذه الآية

لأنه أبرره في صورة عقد عاقده رب العزة .

وثممه ما لا عين رأت ، ولا أد سمعت ، ولا خطر على قلب بشر

ولم يجعل المعقود عليه كونهم مقتولين فقط ، بل إذا كانوا قاتلين أيضاً لإعلاء كلمته وبصر دينه

وجعله مسجلاً في الكتب السماوية ونافيك به من صدقه .

وحسن وعده حقاً ، ولا أحد أوفى من وعده ، فتسببه أقوى من نقد غيره

وأشار إلى ما فيه من «ريح والمور العظيم» وهو استعارة تعثيلية ، صور

جهاد يؤمنين ويدل أموالهم وأنفسهم فيه ، وإثابة الله لهم على ذلك الجبة بالسبع والشراء .

وأتى بقوله (يقالون ..) إلخ بيانا لمكان التسليم وهو المعركة ، وليس

لإشارة بقوله ﷺ « الجبة تحت ظلال السيوف » (١) .

ثم أمصاه بقوله تعالى ﴿ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

هذا وبالله التوفيق .

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً والحمد لله

أولاً وآخر

خاتمتان :

- الاجتهاد والثبات في الشريعة

- الدين والحضارة

الاجتهاد والثبات فى الشريعة الإسلامية^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين
رَبِّكَ لَا تَوَاضَعُنَا إِن تَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا
وَلَا تُحْمِلْ مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْمُرْ لَنَا وَارْحَمْنَا إِنَّكَ مَوْلَانَا فَلَانِصِرْهُنَا عَنَى الْقَوْمِ
الْكَاذِبِينَ .

أيها الإخوة المؤمنون ، منذ زمن بعيد وأنا أتمنى أن ألقى هذا الموضوع فى
أحد النوادي الخاصة بالقضاء ثم أتاحت هذه الفرصة فكنت سعيدا بها ولكنى
بعد أن ذكرت العنوان أقول لكم بصراحة ترددت كثيرا وخيل إلى أنها مغامرة ولكن
هذا التردد زال عندي ففكرت فى بعض الأمور

فكرت أولا فى أنى مهما كانت محاصرتى مغامرة فما هى نتيجتها .
سامترض أن الذى يوافق على رأى واحد أو اثنين يكفى هذا ، لست طموحا
إلى أكثر من ذلك ، يكفينى أن أجتذب من هذا المجتمع الكريم شخصا أو شخصين
إلى هذا الفكر .

أما المنطلق الذى أبنى بهت فىسمى الهدوء التام فهو أننى أبتدئ بقضية
مسلمة عند الجميع لا يشك فيها مؤمن ولا يرتاب فيها مسلم .

القضية هى أن الدين نزل هاديا للعقل ، وإن جميعنا نؤمن بهذه القضية
الدين نزل هاديا للعقل لكن حينئذ نقول الدين نزل هاديا للعقل يتساءل كثير من
الناس فى أى المجالات؟ وبحر لا نريد أن نقول نزل هاديا للعقل فى مجال الماديات،
فالدين أطلق للعقل الحرية الكاملة فيما يتعلق بالبحث والكشف فى مجال الماديات،
فى السماء وهى الأرض . وفيهده فقط ، بأن يكون ذلك فى خير الإنسانية ، أنه

(١) محاضرة ألقيت بدارى محامى بحكومة يوم السبت الموافق ٢٢ نوفمبر ١٩٧٤ .

مدد الأمر فيما يتعلق بمجال الماديات ، ولبحث فيها والكشف فيها في حيز الإنسانية للعقل الحرية الكاملة في هذا . بل إن أصلاً نحن رصوا الله عليهم كانوا يسمون هذه العلوم المادية الطبيعية والكيمياء والفلك ، والأحياء ، كانوا يسمونها علوم الكشف عن سنن الله الكونية . وما دامت كشفتها عن سنن الله الكونية هي كشف عن بعض صفات الله سبحانه وتعالى ، وما دام الأمر كذلك فهي عبادة عن هذا الجانب العلم بالماديات ، الكشف عن سنن الله الكونية في الماديات ريادة إيضاح لصفات الله تعالى هو عبادة . لكن الأمر فيما يتعلق بـ « نزل الدين هادياً للعقل » إنما هو في أمور المجتمع ومخالاته ، العقيدة نزل الدين هادياً فيها ، الأخلاق نزل الدين هادياً فيها ، نظام المجتمع نزل الدين هادياً فيه ، الشريعة أيضاً نزل الدين هادياً فيه .

هذه الهداية فيما يتعلق بالتشريع أحياناً تكون مفصلة تفصيلاً دقيقاً كالتشريعات مثلاً وكتاتيب الدين وأحياناً تكون كليات تضم تحتها جزئيات كثيرة . ولا ريب في أنه نزل الدين هادياً للعقل في جميع مبادئ التشريع ، لكن في وسائل التشريع أحياناً يكون الدين مفصلاً لها ، في وسائل المبادئ ، أحياناً يكون الدين مفصلاً لها وأحياناً يتركها للعقل لإسنادي بتصريف فيها بحسب الظروف ، مثلاً الشورى مبدأ من المبادئ التي أقرها الإسلام ، وسنة الشورى تركها الإسلام للعقل الإسنادي يحددها بحسب ظروفه وبحسب إمكاناته وأزمته . أما المبدأ الشورى فهو مبدأ لا يتغير .

وحسبنا نقول نزل الدين هادياً للعقل فبما معنى بذلك أن العقل لا يتحكم في الدين إنما يهتدى به .

ومعنى أيضاً نزل الدين هادياً للعقل أن العقل مهمه ، ويتقبله ، ولا يتعارض مع العقل ، ولا يتناقض مع العقل ، لأنه نزل هادياً له .

ولأنه نزل هادياً له ولأننا نؤمن بأن الدين من قبل الله سبحانه وتعالى فهناك القصص التي تتلو ذلك وهي أن هذه الهداية معصومة لأنها من قبل الله ومادامت معصومة لأنها من قبل الله فلا بد من اتباعها ، لا مناص من اتباعها . من أجل ذلك كانت الآيات التي تدل على وجوب اتباعها هي غاية الصرامة أو هي غاية القوة .

﴿ ومن لم يحكم بما أمر الله فأولئك هم الظالمون ﴾ (١)

ويقول سبحانه :

﴿ ومن لم يحكم بما أمر الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ (٢) .

ويقول ﴿ ومن لم يحكم بما أمر الله فأولئك هم الكافرون ﴾ (٣)

ويقول أيضا ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما سجر بينهم ثم لا يجدوا في

أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ (٤) .

هذه الصرامة لماذا ؟

لماذا هذا التحديد وهذه الدقة فيما يتعلق بضرورة وجوب اتباع هذه المبادئ

التي نزلت من السماء ؟

أما عن ضرورة ذلك فإن كل من درس تاريخ الفكر البشري منذ أن كتب هذا الفكر في الأرمية القديمة إلى الآن ، كل من درسه لتبين له قضية في غاية السهولة ، هذه القضية التي هي غاية السهولة هي أن هذا الفكر البشري على تتابع الأزمنة ، بل هي لرمز الواحد وهي العصر الواحد ، وهي لمرن لواحد ، وهي لأمة الواحدة ، هذا الفكر البشري معارض ، متضارب ، متناقض ، مختلف .

أين هو الحق فيما يتعلق بهذا التضارب ، وهذا التعارض وهذا الاختلاف

الاختلاف و لتعارض والتضارب هي جميع المجالات الفكرية ليحتة ؟

لسنا بصدد المحالات المادية لأن المجالات المادية تحكمها التجربة ، فالتجربة هيصل ، ولكننا بصدد المحالات النظرية : التشريع ، الأخلاق ، العقيدة ، نظام المجتمع

أين هو الحق وأين هو الباطل في الآراء البشرية الخاصة بهذه الموضوعات ؟

ليس هناك مقياس للحق والباطل ، كل المقاييس التي حاولت الإنعابية أن

تخترعها منذ الأزمنة القديمة ، كل هذه المقاييس أثبتت فشلها وبطلانها

من أولئك هذه المقاييس مثلاً المصل بين الحق والباطل ، فيما يتعلق بالآراء

(٢) المائدة . ٤٧

(٤) النساء . ٦٥

(١) المائدة . ٤٥

(٣) المائدة . ٤٤

النظرية ومنها التشريع بطبيعة الحال ، من أوائل هذه المقاييس منطلق أرسطو ، لقد أحقق إحقاقا كاملا في تمييز الحق عن الباطل ،

ومنها مقياس ديكرت ، إنه أحقق إخضاعا كاملا أيضا فيما يتعلق بالتعيير بين الحق والباطل ، هذا من جانب .

ومن جانب آخر ما دم لا سبيل إلى القطع بأن هذا الرأي حق وهذا الرأي باطل كان هناك المجال المتسع الكبير لتزييف الآراء ، تزييف الآراء أو صناعة الآراء . وفي علم الاجتماع وفي علم النفس كثير من المباحث التي تتحدث عن صناعة الرأي العام .

الرأي العام يصنع عن طريق الصحف ، يصنع عن طريق الإذاعة ، يصنع عن طريق التكرار . يصنع بوسائل مختلفة ، يصنع تزييفا أو إحقاقا . الرأي العام يصنع . وما دام الرأي العام يصنع فهناك هذه الوسائل التي تصنع الرأي العام .

هذه الوسائل التي تصنع الرأي العام هناك كثير من الناس استخدموها ، ولكن الدين استخدموها هي قوة هم اليهود : استخدموا صناعة الرأي العام هي قوة بالنسبة لأغراضهم ، وهم يقولون مثلا في تكييفهم الرأي العام بالنسبة لشخصيات معينة « نحن الذين رتبنا نجاح كارل ماركس » يقولون هذا في كتبهم ، ويقولون هذا في كتاب بروتوكولات حكماء صهيون ، لقد رتبوا نجاحه ونجاح آخرين ؟ لماذا رتبوا نجاحهم ؟ لأنه هدم لكل الأفكار الروحية ، وهم يريدون الا تسود لأفكار الروحية في الإنسانية .

ويقولون أيضا هي البروتوكولات نحن الذين رتبنا نجاح دارون صاحب نظرية التطور ، ونحن الذين رتبنا نجاح بينش صاحب نظرية الأخلاق . إنه يرى أن ليس هناك فضيلة ، ولا شجاعة أو عفة أو كرم أو ما شاكل ذلك ، كل هذه الفاظ اخترعتها الإنسانية من أجل حماية الضعفاء فقط ، وليس الأمر أكثر من ذلك ، أو اخترعها للضعفاء وتشبهوا بها من أجل حماية أنفسهم .

أراد اليهود أن تسود هذه الفكرة في العالم لتتحلل الأخلاق ، ولينتهوا من تحلل الأخلاق إلى السيادة في العالم .

نمود فنقول : « هناك صناعة الآراء » ما هو المقياس الذي نفصل به بين

الحق والباطل ؟

ليس هناك هدف المقياس . وقد حاول في مواجهة الوحي الإلهي وهي مواجهة التشريع الإلهي - حاول بعض الناس عمل نظم اجتماعية - حاول مثلاً أهلاطون أن يكونَ جمهورية على ما ينبغي بأفق ما يمكن أن يكون من تفكير فلسفي ، وألف أهلاطون جمهوريته - كتبها ، ونسقها ، ودرسها ، وعقد فيها ندوات كثيرة - ودعا أهلاطون لتحقيق جمهوريته في جمهورية صغيرة ، وذهب أهلاطون إلى هذه الجمهورية ، وقيل له - إنك مفوض تفويضاً مطلقاً في تحقيق جمهوريتك ، وحاول أهلاطون أن يحقق جمهوريته ، فأحرق إحماقاً كاملاً وبعد ٢٠ سنة ، بعد فترة من التضيّع دعا مرة أخرى ليحقق جمهوريته مرة أخرى ، بعد التحرية ، وبعد هذا الإحماق الذي ناله ، وبعد أن اكتسب معرفة وحيرة ، فأحرق إحماقاً كاملاً مرة أخرى .. أما الإسلام فقد طبق - طبق في جمهورية ، أو في دولة ، أو في أمة ، إن هذه الألفاظ ، اللفظ المستعمل فيها إسلامياً هو كلمة أمة

فإن هذه أمتكم أمة واحدة :

طبق الإسلام في أمة و انتهى هذا التطبيق بأن انتقل الإسلام من النظرية إلى الواقع - لقد أصبح واقعاً وأصبح واقعاً في أمة تمتد من كذا إلى كذا - لا تكاد تقرب الشمس عنها - طبق بالفعل ، وانتقل من نظرية إلى الواقع - لكن كل الآراء التي قيلت فيما يتعلق بالأنظمة التي احترعت ، وابتدعتها البشرية كلها ، عرضت وأخفقت وعليها النقد ، وتعارضت مع بعضها لبعض

ولنوصيح ذلك نقول : لنظام الرأسمالي - احتراع بشري في أمريكا يتعارض تعارضاً كاملاً مع النظام الشيوعي الذي هو احتراع بشري فيما يتعلق بروسيا ، ولكن أي هذين النظامين حق - لا سبيل مطلقاً إلى تشييد أن هذا أحق من هذا نظرياً بالدليل والبرهان ، وكل ما يقام من أمة أو براهين في أمريكا تقوده روسيا ، وكل ما يقام من أدلة أو براهين في روسيا تقوده أمريكا .

أذن من هنا كانت الصرامة فيما يتعلق بالدعوة إلى اتخاذ الإسلام أساساً ومن هنا كانت هذه الآيات التي تتحدث عن لا يحكم بها أمر الله ، بالظلم مرة وبالفسق مرة ، وبالكفر مرة ثالثة .

ونزل الدين كما قلنا هداية للعقل ، هذه الهداية للعقل ليست قاصرة على زمن دون زمن ، ولا على مكان دون مكان .

إنها هي الوصع الديني الإلهي لكل المؤمنين تتبلور في قضية تتحدث عنها في كل وقت وفي كل آن ، هذه القضية هي أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ، وهذا هو منطق الدين . وخصوصا حينما يكون هذا الدين هو آخر الأديان بإعلانه سبحانه وتعالى عن ذلك .

هي إذن صالحة لكل زمان ومكان . هذه الكلمة أو هذه القضية « صالحة لكل زمان ومكان » إذا كانت هي معناها السطحي أو الشكلي أو معناها للعوى والصحة ، فإن بعض الناس قد اتحدوا أساسا لتفسير معارف كل الانحراف . من هؤلاء مثلا من قال إنها صالحة لكل زمان ومكان لأنها تتكيف بحسب الزمان والمكان ، ثم انتقل بقلة أخرى فقال إنها صالحة لكل زمان ومكان لأنها تكيفها بحسب الزمان والمكان .

كيف يكون التكيف ؟

قال بعضهم وعمل على ذلك جامد - نحن الآن في بعض الإفطار نعمل في بناء الدولة ، وبناء الدولة جهاد أكبر ، وإذا كان الجهاد الأصغر يبيع الإفطار في رمضان فالجهاد الأكبر وهو بناء الدولة من باب أولى يبيع الإفطار في رمضان .

وحاول أن يطبق الإفطار في رمضان على الدولة فأحقق وأحقق ، لأن الناس كان شعورهم إيمانيا دينيا ، فلم يصاعوا ، ولكنه حاول وبذل وحشد لشرطة وحشد البوليس وحشد كل شيء فيما يتعلق بتطبيق الإفطار في رمضان فكان يقدم مثلا للمدارس الداخلية وللجامعات والحيش ونحوها ، لوجبات ، لعادية هي شهر رمضان بدلا من الإفطار والسحور ، ولكنه في النهاية رغم كل ما بذله من جهد أحقق .

ونعود فنقول ، نكفيها بحسب الزمان والمكان ، كيف ؟ نبيع تعدد الروحات ؟

بيع تعدد الروحات ، وحصلت حادثة أمام سمعه وبصره ، حصلت حادثة هذه الحادثة أن شخصا من الأشخاص مستزوج وعنده أولاد من زوجته ، ثم أصبحت زوجته هي وصع غير صالح لاستمرار الروحية من الناحية الحسية ، فكان هو بين أمرين إما أن يرني وإما أن يتزوج ، ولتعدد ممنوع . فعادا يصع ؟ امرأته القسيمة لم تزر . لبست مسئولة عم حدث لها ، هذا قصاء الله بالنسبة لها . هما ذنبا لتطلق ، ولم يطلقها ؟ إنها لم تسر إليه ... ولم يطلق وإنما ذهب وعقد عقدا شرعيا على امرأة وتزوجها بحسب اشرع وأسكنها في مسكن . وكان يذهب

إليها وببيت عندها . وبلغ عنه أنه تزوج امرأة أخرى ، والقانون في هذه الناحية لا يتساهل ، وذهبت الشرطة وصطوه متلبسا بالجريمة ، جريمة الزواج بامرأة أخرى ، وأتى به للتحقيق ، وقابوا له هل تزوجت امرأة أخرى ؟ فقال كلا .. فقيل له .. ولكنك كنت عندها ..

قال : نعم ..

وتنمق عليها ...

نعم .

وقد استأجرت لها هذا المسكن ..

نعم ..

وتبيت عندها .

وأبيت عندها ..

ماذا تكون إذن ؟ إنها عشيقة ..

فقيل له : تمصل اذهب لا ملام عليك ، لا لوم عليك ..

حرموها زوجة ، وأباحوه عشيقة بقانونهم

حدث هذا بالمعز والتحقيق ، تحقيق البوليس . ويأتى أيضا فيما يتعلق بالتعدد أن « أتين ديبويه » مستشرق فرساوى كان قد ذهب إلى الجزائر في عهد المرسيين ، وهو فرساوى ، وأقام في الجزائر في بلدة اسمها بوسعادة ، استراح إلى نجو ، واستراح إلى الناس ، واستراح إلى الخلق .. وكلها أغرته النجو ، الطبيعة ، الصحراء ، الناس ، كلها أغرته بأن يقيم في الجزائر فأقام . أقام في عهدين عهد كان فيه التعدد مسموحا به ، وعهد حدث فيه عدم التعدد ، أو الدعوة إلى عدم التعدد ، أو الإقلال من التعدد .

وبعد ذلك لاحظ ثلاث ملاحظات كتبها باللغة الفرنسية في أحد الكتب . كتب يقول حينما مع التعدد والطلاق وجدت طواهر لم تكن موجودة أيام كانت إباحة التعدد والطلاق

ما هي هذه الطواهر ؟ هذه الطواهر التى وجدت عندما مع ذلك

أولا : كثرة الموانس ، هذا أمر .

الأمر الثانى : كثرة النطاء .

الأمر الثالث : كثرة الأمراض السرية .

هذه المسائل الثلاث حدثت بعد أن منع التعدد ، وبعد أن منع لطلاق ، وليس معنى إباحة التعدد أنه مأمور . وليس معنى ذلك أنه لايد من التعدد . . . كلا . وأنتم تعلمون أنه مع إباحة التعدد الآن في القاهرة يمكن تصف في ألف هم الدين يعددون الزوجات ، وإذا ارتفعت عن أكثر من الاثنين يمكن أن تجد ربعا في ألف ، وهكذا . الأمر يعني يكاد يكون التعدد مع إباحته معدوماً .

ويكن من الوجهة النظرية ، لو فرضنا أن شخصا من لأشخاص إما أن يتزوج وإما أن يزني فيباح له أن يتزوج . هذا رأى الكاتب الفرنسي الذي يقول ويشاهد بالتعدد وبالتجربة مادة حيث ومادة كن . لكن تتساءل الآن ما هو إذن المعنى ، لصحيح لفصية « شريعة صالحة لكل زمان ومكان » ؟ إن الشريعة أرسلت للإنسان من حيث هو إنسان ، لا للإنسان من حيث هو مصري . أو من حيث هو فرنسي ، أو من حيث هو كذا أو كذا . فيما يتعلق بالوطن

إنها أرسلت للإنسان من حيث هو إنسان . وما دامت قد أرسلت للإنسان من حيث هو إنسان فإنها صالحة لكل زمان ومكان ، لا تتغير لأن الإنسان هو هو أينما كان . الإنسان هو الإنسان . هي عواطفه ، وهي أعماله ، وفي سلوكه ، هي تصرفه وهي عقله ، في ذلك . هي إحساسه ، وأرسلت الشريعة إذن للإنسان من حيث هو إنسان فهي إذن صالحة لكل زمان ومكان . صالحة مبادئ ، وصالحة وسائل . إلا إذا حدثت ، وكل خروج عليها إنما يكون ، جرافا .

لكن ماذا حدث عندما نحن في مصر ؟ الذي حدث عندما نحن في مصر أنه كنا نطبق نظام الشريعة الإسلامية ، ثم جاء الاستعمار وبسبب الشريعة الإسلامية من قطر لمصري ، وأحل محلها ، قانون الوضعي ، واستقلموا قضاة ومستشارين من لأقطار العربية ثم كان أن وجد أن هذا النظام لا يتأني أن يستمر كثير ، فأشأ مدرسة الحقوق ، وكانت تسمى مدرسة قبل أن تكون كلية ، فأشأ مدرسة الحقوق لتحريج قصاة أو محامين أو مستشارين إلى آخره ليحكموا بالقانون الوضعي ، وكسب لابد أن يكون ، المبعج والبرنامج هو القانون الوضعي . . . وأراد الاستعمار وحاولنا أن نتخلص من كل آثار الاستعمار . ولكننا أنما كليات الحقوق ، وألما مدرسة الحقوق ، فخلل إلينا أن الأمر عادي . ولكن الأمر في حقيقته ليس

بعمادي ، إنه هي غاية الغرابة أن نقيم نحن ، هي بلدنا ، هي قطريا كليات للعرو
لفكرى لتتابع آثار الاستعمار ، سفق عليها ، ويرى هيها أبناءنا ونضع أبنائنا هي
جو ليعزوههم هذا الحو فكريا وليكونوا أورييين أكثر منهم مسلمين ، أو أكثر منهم
وطنيين ، لأن لوطنية تقتضى أيضا أن نتخلص من العرو المكري ومن آثار
الاستعمار ، ولكننا ألما الأمر ، ذهبت إلى كلية حقوق عين شمس لإلقاء محاضرة
وسألت كم عدد المحاضرات هي الكلية هي الأسبوع ؟ فقبل ٢٢ محاضرة .
كم منها للشريعة الإسلامية ؟ درسان هي الأسبوع ، وعشرون درسا للقوانين
الوصفية .

لو كانت هذه الكلية في فرنسا ما كانت تريد على ذلك ، أو لو كانت هي
إيجترا ما كانت تزيد على ذلك .

وأحب أن أقول إنه لو كانت هي إسرائيل أيضا ما كانت تريد على ذلك
محاضرتان للشريعة الإسلامية في بلد إسلامي ، هي وطن إسلامي ،
محاضرتان فقط هي مقابل ٢٠ محاضرة لاستمرار الاستعمار ، أو لاستمرار ثار
الاستعمار ، أو للعرو المكري فيما يتعلق بالاستعمار .

هذا لا يتأتى أن يستمر طويلا ، ولكننا لأننا ألما ، ولأننا لم نفكر في
الوصع ، ولأننا ألما كما ألف باسم التعارض والتناقض المكري ، ولكنهم ألفوه ،
واستمروا عليه ، ولم يكر فيه أحد

من أجل ذلك كانت الأمانة الآن موضوعة في أعناقكم أستم . إننى تحدثت
عنها ، ولكن الحديث عنها كان في مجالات ربما لا تتصل كثيرا بمجالات القانون ،
ولكن مجالات القانون حينما يكر في الأمر ، وحينما نتبصر في هذا الموضوع فإنه
تصح مسئوليتنا كبيرة ، خصوصا حينما نقرا - ونحن من المؤمنين - ومن غير ما
شك هنا مجموعة كبيرة إن لم يكن انكل من الصالحين المؤمنين .
وكيف يتأتى أن يمسكت الصالحون المؤمنون وهم يسمعون .

﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾

فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك . يحكموك هي حياتك ، ويحكموك بمد
معانك بسنتك . حتى يحكموك هيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم ، هي
صورتهم في قلوبهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما .
يصلحوا تسليما يحكم الله ، بتشريع الله .

تقول أير القابون الذي « نحكم به ؟ » وهذا سؤال من أسخف الأسئلة .
كيف وأنت مسلم وتتحدث اللغة العربية تقول أير القابون ؟ القانون أمامك في
الكتب موجود . في كتب الفقه وكتب التشريع الإسلامي
هل يتأتى أن يكون شخص تخصص في التشريع ثم لا يفهم كتاب في
التشريع باللغة العربية ، ليس بلغة لالينية ولا أعجمية أو شيء من هذا القبيل ، بما
هو باللغة العربية ليس في ذلك حجة . ليس في ذلك مطلق أي مستند للتقاعس
عن تطبيق التشريع الإسلامي .

ومع ذلك ، فهناك هذه المصومات لكثيرة التي كتبت فيما يتعلق بالموضوع
والتي تيسر كثيرا فيما يتعلق بالموضوع . وأحب أن أقول ، إن مجمع البحوث
الإسلامية من القابون المدي كله على مذاهب مختلفة وقبسه وكان في لحامه
المختلفة مستشارون من القابونيين ، وفيه علماء وفقهاء في كل مذهب من المذاهب ،
وهو الآن يصدد تقنين القانون الجنائي ، لكن ذلك أنا أعتقد أنه عمل ما كان ينبغي
أن يكون مع أي أحد شخصيا الذي بدأت به والذي شرعته فيه ، لكن الآن ما كان
يسمى أن يكون لأنه ما دامت كتب التشريع باللغة العربية ، وما دامت هي في
التشريع وما دامت فيها الفصول والأبواب والعمرات ، فعلماء التشريع المشرعون ،
لمستشارون ، القصاة من أسهل عليهم جدا أن يستخرجوها من هذه الكتب التي
باللغة العربية

يعود فنقول : إن الدين نزل هداية للعقل .

يعود فنقول : إن الآيات فيما يتعلق بهذا الموضوع صارمة .

قد يسأل سائل ما هو موقع الاجتهاد فيما يتعلق بهذا الموضوع ؟ ليس
الاجتهاد صفا لآب التصرف عفيفا فيما يتعلق بالتشريع ؟ وعن هذه النقطة
أتحدث الآن .

أولا : فيما يتعلق بالاجتهاد هناك فكرة - في الواقع - خاطئة عند الكثيرين
حتى عند كبار الثقلين إن الاجتهاد إما أن يكون في أمر سبق في عهد

الرسول ﷺ وإنما أن يكون في أمر استحدث من بعده ، حديث في العصر الحاضر .
ومعنى الاجتهاد أن الأمور التي كانت في عصر الرسول عليه الصلاة
والسلام ينبغي أن يبدل الإنسان جهده وطاقته في البحث ليصل عن طريق المراجع
والكتب والسيرة والتاريخ والأحاديث النبوية وتفسير القرآن إلى ما كان عليه
الرسول عليه الصلاة والسلام . ليس في ذلك ابتداع ، ولا اختراع ولا تصرف عقلي ،
ولا شيء من هذا القبيل وإنما هو يبحث ليصل إلى الحقيقة

ومعنى الحقيقة عند ههنا فيما بحثه أن يصل إلى ما كان عليه الرسول ﷺ ،
فإذا ما وصل إلى ما كان عليه لرسول ﷺ ، فقد انتهى البحث . ونسم الأمر .

أما الاجتهاد فيما يتعلق بالمسائل التي ما كانت في عهد الرسول وإنما حدثت
في عصر الحاضر فليس معناه مطلقاً ابتداعاً أو اختراعاً أيضاً ، وإنما معناه بذل
لجهد لوضع هذا النمط الحديث أو لمشكلة الحديث أو المسألة الحديثة ، وضبطها
تحت قاعدة كلية من القواعد القرآنية أو النبوية تحريماً أو تحليلاً .

يعنى مثلاً مسألة الخشيش لم يكن موحواً لحكم فيه . والمجتهد فيما
يتعلق بأمر الخشيش يبدل جهده ليضع الخشيش تحت قاعدة كلية من قواعد
الدين . إما تحريماً وإما تحليلاً . لأنه في المبدأ لا يدري إن كان هذا الأمر محرماً
أو حلالاً . فيبذل جهده ليضع هذا الأمر تحت قاعدة كلية

البيرة مثلاً لم تكن موحوة وكل هذه الأنواع من الخمور ، ويسكن وغيره لم
يكن موجود ، ما هو موقف المجتهد فيما يتعلق بالحكم في هذه المسألة أو تلك ؟

موقفه هو أن يبذل جهده ، مع التقوى ، مع الإخلاص ، مع النزاهة الكاملة ،
يبذل جهده مع عدم التحيز ، يبذل جهده ليضع هذه المسألة أو تلك تحت القاعدة
لكلية المحرمة أو المحللة فإذا أدى به اجتهاده إلى أنها توضع في قاعدة كلية
تحرم يصح الحكم حراماً ، وإذا أدى به اجتهاده ، مع الإخلاص ، مع التقوى ، مع
النزاهة ، إلى أن هذه المسألة تدخل في قضية محللة تدخل تحت لتجليل أو الحل ،
هذا هو الاجتهاد .

ولكن هذا الاجتهاد أيضاً له مقدمات . وله وسائل ، هذه المقدمات سببية ،
ليس فيها شيء من التعقيد . معرفة اللغة العربية . من أوائل الشروط فيما
يتعلق بالمجتهد معرفة اللغة العربية معرفة تمكنه أو تصح به إلى مستوى فهم
القرآن ، فهم القرآن لغوي المبين .

معرفة الأحاديث النبوية : ولابد من معرفة الأحاديث من الإلمام بالأحاديث
إنما يجزمه على معرفة فيما يتعلق بجو الأحاديث ،سوية . لأنه يجوز أن يمتى
ويكون هناك حديث من الأحاديث ممارس أو مخالف لفتواه .

معرفة السيرة النبوية لمعرفة الواقع الذى كان عليه الرسول ﷺ ، ومادام
الدين قد طبق عمليا ، طبق فى فترة طويلة من الزمن طبعه الرسول ﷺ ، وطبعه
الصحابة رضوان الله عليهم فى عهد الحلفاء الراشدين ، وتحدث عنه الصحابة ،
وتحدث عنه الرسول مادام قد طبق ، فربما إذا احتلنا فى أمر من الأمور لا يلجأ
إلا إلى التطبيق .

ما هو الواقع الذى كان فى عهد الرسول ﷺ ؟ ماذا كان ؟

النتيجة التى أريد أن أنتهى إليها وبها تكون الخاتمة ما هو الموقف ؟
الموقف لخصه أحد الصحابة فى كلمة تشبه أن يكون إعجارا ، يقول
« اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم » فقد كفيتم ، هذا برهان كامل على اتبعوا ، وهى
أيضا برهان كامل على ولا تبتدعوا اسبعوا فقد كفيتم ، ولا تبتدعوا فقد كفيتم
لأن من يبتدع إنما هو الشخص الذى لا يكون عنده الكفاية ، ونحن عندنا الكفاية
معد « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عبكم بعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » .
عندنا الكفاية ، إذن الخاتمة أو النتيجة التى يجب أن ينتهى إليها هى :
اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم .

إذا اتبعنا ولم يبتدع ما هى النتيجة ؟

النتيجة هى ما تحدث الله سبحانه وتعالى عنه وصممه لمن اتبع شريعته
صمم له السعادة فى الدنيا والآخرة ، وصمم له انفور ، وصمم له النصر ، وصمم
له سعة الرزق ، وصمم له كفالاته وعنايته سبحانه ورعايته ، صمم له كل هذه
النواحي ، ووعد الله سبحانه وتعالى لا يتخلف .

وأريد أن أختتم بكلمة حدثت فى هذه الأيام الأخيرة . حدث فى هذه الأيام
الأخيرة أن وهذا من أوروبا ، من كبار علماء أوروبا من فرنسا ، وفيه واحد من
إيطاليا ، وواحد من إنجلترا ، وهذا على مستوى رفيع جدا ذهب إلى السعودية ،
ذهب بالفعل ، وقبل أن يذهب تكتب وتراسل مع وزير العدل السعودى وزير
العدل السعودى رجل فاه ، متطور ، متمتع الأفق : تراسلوا معه ، واتفقوا على أن
هذا الوفد الأوروبى يذهب إلى السعودية ليتحدث مع علماء السعودية فيما يتعلق

بحقوق الإنسان هي الإسلام ، وذهب الوفد والتقى بالوفد لعربي : كان وزير العدل ، وكان مستشار الملك معروف الدواليبي ، وكان محمد بن مبارك من سوريا ، وكان بعض عملاء السعودية .. وأخذوا يتحدثون فيما يتعلق بحقوق الإنسان في الإسلام ، وتبهر الوفد الأوربي ، وما كان متصورا مطلقا أن هذا الذي يقال هو حقوق الإنسان في الإسلام . وصل الإسلام بحقوق الإنسان إلى ما لم تصل إليه أورب ، في نهاية الجلسة للجلسة التي تعددت صمما عدة مرات ، وفي نهاية الأبحاث سأل الوفد الأوربي ولكن ماذا عن قطع يد السارق ؟ وأجاب معروف الدواليبي الذي كان رئيس لوزارة سابق في سوريا وهو الآن مستشار جلالة الملك فيصل وكانوا في الرياض قال له : «نظر إلى الصحراء ، يمكن إذا اتجهت في الوسط ، إذا كنت في الوسط واتجهت يمينا تحد ألف كيلو متر ، ويسارا ألف كيلو متر ، وأمامك ألف كيلو متر وخلفك ألف كيلو متر ، وتصور أن سيارة قامت من الرياض وهذه السيارة محملة بالذهب والفضة ، قامت من الرياض بتذهب إلى مكان على بعد ٢٠ كيلو متر لا يتأتى مطلقا أن يتعرض لها متعرض في هذه الصحراء التي لا بيدة فيها ولا شرطة ولا حرس ولا بوليس ولا شيء من هذا القبيل في هذه الصحراء الشاسعة تقوم سيارة محملة بالذهب والفضة بتذهب من الرياض إلى هذه المدينة لأخرى لا يتعرض لها متعرض ، لماذا ؟ لأنك تطبق الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بقصع يد السارق لكن نظر الآن إلى بلد مثل نيويورك التي يقولون عنها أنها وصلت قمة الحضارة كم فيها من لقيى في ساعة واحدة من أجل سرقة ؟ وكم فيها من القلى في اليوم الواحد ؟ في أربع وعشرين ساعة بسبب السرقة قتلى وجرحى ، وقطع أكباد ، وقطع أمعاء بالسكاكين ، وضرب بالنار وبكل شيء ، في أربع وعشرين ساعة ثم تعال إلى المملكة العربية السعودية بأكملها كم قطعنا من يد فيها هي مدة ٢٠ سنة

قطعنا أيدينا تعد على أصابع اليد الواحدة ، وتقول بعد ذلك أن الإسلام قاس فيما يتعلق بقطع يد السارق هناك القتل والديح والسحل وكل ما يتأتى أن يكون من أجل السرقة ، وهذا لا شيء . قطع يد سارق أو عدد من السارفين في مدى ٢ سنة ، وأجمع الوفد الأوربي أن هذا أحكم نظام فيما يتعلق بمع السرقة وقالوا لو طبقه لكان الأمر على كل حال . وفي نهاية كلمتي أقول كما قلت في المبدأ لو كان هناك شخص أو اثنين أو ثلاثة يوافقوني على المكرة فأنا أعتبر أن المحاصرة قد سمحت ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الدين والحضارة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

فإننا حقيقة لسعداء في هذه الليلة المباركة ، بهذا الاتفاق الذي انتهى به جهاد الجرائر .

ونحن سعداء أيضا بحضور السيد الفصل بن عاشور عميد الكلية الريدونية بيسا الآن .

اعترافات

أما فيما يتعلق بموضوع المحاصرة وهو (الدين والحضارة) فإنني مضطر أن أقدم بين يدي الموضوع بعض الاعترافات .

أعترف أولا أن هذا الموضوع ضخم ، وإنه ليس بطبيعي أن تكفى فيه محاضرة لحيط بجميع أطرافه ، لأنه يحتاج إلى محاضرات عدة ، وإلى كتب مستفيضة وبالمعل قد كتبت فيه الكتب ، والأبحاث الطويلة ، ومع ذلك فما كان من مصر من أن يكون هذا هو العنوان .

وإذا كان هذا هو العنوان وكان الموضوع بهذه الضخامة ، فإني مضطر إلى أن أوضح ما أريد فيما يتعلق بهذا الموضوع . إنني أريد صلة الدين بالحضارة أيسجم الدين مع الحضارة ؟ أم لا ينسجم ؟ أختلف معها أم لا يختلف ؟ أيتفق أم لا يتفق ؟.

وكلمة الحضارة التي أرددها ، لا أعني بها مطلق حضارة ، إنني لا أريد الحضارة القديمة مثلا ، وإنما أريد الحضارة الحديثة . وسأقتصر في حديثي إذن على هذه الحضارة الحديثة . وسأقتصر في حديثي عن الدين الإسلامي ، كمثال أعلى متكامل للدين على وجه العموم .

أما الاعتراف الثاني : فإني أعترف بأن الموضوع حاد ، إن هناك موضوعات عاطفية تسبب عادة التصفيق الحاد لا ولكن أنا مستعد لأن أصفق لكم أتم . حينما تنتظرون معي إلى النهاية .

(١) محاضرة ألقيت بقاعة الإمام محمد عبيد في ٢٧ مارس ١٩٦٢

والاعتراف الثالث يحتص بإحاطتى أنا بالموضوع ، وأعترف لكم أنه مع هذا التحديد المحدد ، فإننى لا أحيط بالموضوع علما من جميع أطرافه ، ولا أزال يقصى فيه الكثير . ومع هذا ، فإن هذا الذى أريد أن ألقيه الآن ، أنا على يقين منه ، ولا يتأبى مطلقا الشك فيما أقول وفيما أتحدث به .

وموضوع الدين والحضارة يستدعيني أن أقول فى المبدأ إننى مهما تحدثت عن الحضارة بجلال أو بتحقيق ومهما تكلمت عنها بسفد أو تحليل ، فإن لدينى على وجه العموم لا يعارض قط لتقدم العلم لإسعاد الإنسانية . لا يعارض التقدم ، لصناعى لإسعاد الإنسانية ، لا يعارض فى الناحية العلمية على أية صورة كانت ما دم الأمر ، أمر إسعاد الإنسانية ، وإذا كانت هذه قضية مفروغا منها ، فإننى أتجه إذن لتصوير شأفة الحضارة .

الحضارة :

الحضارة نشأت فى فترة معينة من التاريخ ، وفى زمن محدد نعلم ابتداءه . ونعلم لعوامل التى أشأتها ، والتى كانت الأساس فى هذه النشأة . وكلنا يعلم أنه فى فترة من المرات كانت الكنيسة مسيطرة على العالم الأوربى سيطرة تامة . ما كان هناك شيء يفعل ، أو شيء ينتهى فيه الأمر ولا شيء يقام أو يهدم ، وما كان إنسان يقدم على أمر ، وما كان إنسان يحجم عن أمر إلا باستئذان الكنيسة وباستئذان رجال الدين . ولكن الكنيسة ورجال الدين تفسقوا هى استعمال سلطتهم حتى لقد أشأوا محاكم التفتيش . وقد كتب الأوربيون والمسيحيون من محاكم التفتيش كثيرا وصورها هى أبشع مظاهرها ، وهى أسوأ صورها كتب الكاثوليك ، والبروتستانت ، وكتب الفرنسيون ، وكتب الإنجليز كتب كل هؤلاء وهم رجال المسيحية - فيما يتعلق بهذا الأمر .

ولقد وضعوا وبيشوا أن الكنت ، الذى كان يعمر أوروبا فى ذلك العصر ولدت الانفجار ، واتخذ الانفجار اتجاها معينا : اتخذ الاتجاه الإنسانى . وأحد قادة الحضارة - مستدئين من هذا الاتجاه الإنسانى يقررون أن الإنسان له كيانه ، له شخصيته ، له دانيته ، له حدوده ، له تقديرته ، له مكانته التى يجب أن يحتلها ، يجب أن يحتل الإنسان المكانة التى تليق به .

ومن هنا كانت كلمة إنسانية التي تطلق كمرمر مميز - على هذه
الحصارة ، ومن هنا كان تعجيد الإنسانية .

ولكن حينما بدأوا يتحدثون عن الإنسان في ثورة عواطفهم القوية ، وفي
غمرة نفورهم الشديد من رجال الدين ، كانت كلمة الإنسانية نوحى - عند قادتهم
بافصال الإنسانية عن الإلهية ، أو انفصال الإنسانية عن الكنيسة ، أو انفصال
الإنسان عن الدين ، أو بالتعبير الحديث انفصال الدين عن الدولة .

يجب أن يكون للإنسان مكانته ، يجب أن يكون له موقفه أمام الدين وتجاه
اللاهوتية ، تجاه النص المقدس ، تجاه الكنيسة . ويجب أن يخضع كل ذلك للإنسان
فالإنسان له عقله ، له منطقته ، ويجب أن يسير بهد ، لعقل وبهذا ، لتفكير
وبهذا المنطق

وتصوروا جماعة من انجماعات ، كانت لسيوف مصصة عليها من جميع
البواحي ثم المحرت هذه الجماعة فقضت على السلاح الموجه إلى بحرها . ، ماد
يكون تفكيرها بالمصصة لهذا السلاح ، وبالسبب لحامية بانسية لهذا المصدر
لذى كان لتكبت إن تفكيرها في أهدأ حالاته يكون معارضا منتقدا ، ومتحمسا في
معارضته ، وفي انتقاده ، ولكن يشعر أحيانا بشعور السفاك التهم لإسالة الدماء 11
هكذا كان الأمر في بدء الحصارة لحديثة لقد أورد رعمائها أن يتخلصوا
من الدين ومن رجال الدين ، لتحتل إنسانية مكانتها دون معارضة لها أو كبت أو
تكيل

وحينما أقول « الإنسانية » يحتلط الأمر نوعا ما ، إذ إن معنى هذه الكلمة
اكتسب من الألام التي تولت بالإنسانية في كثير من فترات التاريخ - نوعا من
التقديس وكثيرا من التمسجيد والعطف ، ولذلك هأنى دون إخلال بالمعنى ،
سأستعمل كلمة « البشرية » ، ورذا استعملت كلمة البشرية كان المعنى لدى أريده
أدق فيما يتعلق بصفة الثورة الأوربية ، أو الحصارة الأوربية في بدء نشأتها ، وهي
ثورتها ضد رجال الكنيسة .

كان هناك إدراك الدين من جانب ، وكانت هناك البشرية من جانب آخر ،
وأرادت هذه البشرية أن تقف في وجه الدين ، وأن تستقل بنفسها في وضع

أصولها ، وقواعدها ، ونظمها ، وأن تنتهي في النهاية إلى أن تكون مستقلة كل الاستقلال عن جميع النواحي التي تتعلق بهذا الجانب الروحي .



وتلقت الحضارة أو معثلو الحضارة ، أو الذين يقومون على الحضارة - تلقتوا بيمياً وشمالاً على الأصول والقواعد التي يمكنهم أن يقيموا عليها نظمهم البشرية ، وتساءلوا : ماذا يمكن أن يحل محل الدين ؟

إن الدين نظم اجتماعي ، وتشريعي وأخلاقي ، مما أدى يمكن أن يحل محل هذه النظم ؟ إذا أردنا أن نتخلص من هذه النظم لأنها نظم دينية يقوم عليها رجال الكنيسة ، رجال محاكم التفتيش ، مما هي المصادر والمناجح التي تستقى منها ، إذا أردنا أن يصود الاطمئنان في المجتمع ؟

أما المصدر فما كان يمكن ، وما كان ينأى ، إلا أن تكون مصدرين

١ - العقل في ناحية ما وراء الطبيعة .

٢ - والضمير في ناحية الأخلاق .

وإذا جاءت الحضارة الحديثة فيما وراء الطبيعة إلى العقل ، ولجأت في الأخلاق إلى الضمير فالعقل هو الذي يؤسس ما وراء الطبيعة ، والضمير هو الذي نرجع إليه في الأخلاق .

وثكن .. تخطت العقل . لأنه يحتل من إنسان لآخر ، ومن بيئة لأخرى

ومن زمن لزمان ، ومن مكان لمكان ، ومن ثقافة لأخرى .

وأحد الضمير من جانبه أيضاً يوحى بإيحاءات محتملة فالضمير ليس إلا أثراً للبيئة ، والثقافة ، والوسط الذي نعيش فيه . ليس الضمير معصوماً قط وإنها لفكرة خرافية كون الضمير معصوماً والضمير إذا تحلص من سيطرة الدين فإنه قد يوحى بالمساة ، كما يوحى بالصلاح ، لأنه ابن البيئة ، فإذا كانت البيئة إجرامية فالضمير إجرامي ، وإذا كانت بيئة صالحة فالضمير صالح ، وإذا كانت البيئة أوربية فالضمير أوربي ، وإذا كانت البيئة شرقية فالضمير شرقي ..

ومن الواضح ، أن ضمير الأوربيين لا يؤنبهم قط على أسلمك الذي

يستطيعونه في كل قطر يسيطرون عليه ، إنه يبيع إدى لو اتحدناه مقياسا -
السلب ، والتكيل ، والاستعمار .

ليس هناك إذن شيء ثابت مستقر معصوم اسمه الضمير

وليس هناك قضايا يتمق عليها العقل فيما وراء الطبيعة

وتخبط العقل ، وتخبط الضمير

فما المخرج ؟

أسطورة التطور الإنساني ،

رأى رجال الحضارة ، أن يلجأوا إلى شيء يبعد عنهم وصمة العجز ، فنحاروا
إلى فكرة لتطور الإنسان متطور الأفكار متطورة وإن المسألة ليست مسألة
خطأ صريح ، وإنما هي مسألة تطور فيما يتعلق بالأفكار ، وفيما يتعلق بالإنسان
وما دام هناك قياسون للتطور ، لا غيب عليهم إذا أخطأوا أو تخبطوا في كل
مرحلة من مراحلهم ، وفي كل فترة من فتراتهم ، وبأدى الحضاريون البشريون
بفصل الدين عن الدولة . وحيثما فصل الدين عن الدولة رأت الدولة نفسها تتخبط
حينما تستند إلى العقل في نظمها الدينية والاجتماعية وحينما تستند إلى الضمير
في نظمها الأخلاقية ، فاخترعت أسطورة التطور الإنساني فيما يتعلق بالفكر
وكانت كلمة لتطور هي الملسم ، السحري ، الذي يحاولون التمل به لإحماء
عجز العقل والضمير الإنساني ، لإحماء هذا العجز المطلق الذي يجعل الإنسان
متخبطا بقله في أمور ما وراء الطبيعة ، ومتخبطا بضميره في أمور الأخلاق !
لقد أحقر كل ذلك بفكرة التطور .

ليس في الأحكام القاطعة تطور ،

ولكن إذا نظرت إلى فكرة التطور في الدين والأخلاق فما معناها حقيقة ؟ .

ما معنى فكرة التطور ، إذا أدخلناها في الفكر عن وجه العموم ؟

إن فكرة التطور ما هي ، لا دعوة إلى السوفسطائية القديمة ، إنها دعوة إلى
راء اليونان لقدماء سوفسطائية منهم - لأن معنى التطور في الفكر ، أنه ليس
هناك قضية ثابتة وإنما جميع القضايا الفكرية متطورة ، وهذا التطور لا ينتهي
إلى حد وإن هناك السببية باستمرار ، هناك السببية المطلقة ، هناك إذن

الخطأ المستمر وهذا الخطأ لا علاج له مادامنا نقول بالتطور ، لأنه ما دما نقول بالنسبة وبالتطور فهيس هناك الثبات ، وإذا لا يكون هناك ثبات في الدين ، ولا يكون هناك ثبات في الأخلاق .

فإذا، أدخلت فكرتهم بالتطور في الدين فقد قصينا على الدين وإذا أدخلت فكرة التطور في الأخلاق فقد قضينا على الأخلاق

هذه الفكرة التي أتحدث عنها فكرة إدخال التطور في الدين فكرة سمعناها من الكثيرين ، لقد ألفنا كلمة التطور ، وألفنا لذلك كلمة إدخال التطور في الدين إلى درجة أنه يحيل إلى وأنا أتحدث فيها ، أن الأمر غريب على بعض الأذهان التي تتساءل : لم لا يكون في الدين تطور ؟

ولكن إذا فهمت فكرة التطور على حقيقتها ، وإذا فهمت فكرة الدين على حقيقتها - كان لا مصاص من لإقرار ، بأن الدين لا يدخله قط - ولا شروى تغير ، لا ، ولا قلامة ظفر - فكرة التطور .

إن التطور المكري تعيير من حال إلى حال ، وهو تعيير مستمر دائم ، إنه تعيير لا يتناهى هنوء ولا سكون إنها إذن النسبية ، إنها إذن السوفسطائية القديمة ، إنها عود إلى هذه المترة القديمة التي لم يكن فيها دين ثابت ، ولم يكن فيها خلق ثابت ، هالأمر فيهما حينئذ عند لسوفسطائيين ليس أمر ثبات مطلق وليس أمر عصمة ، وليس أمر حصايا محققة ، وإنما الأمر أمر تعيير باستمرار وأمر نسبية .

وبذلك يعضى على الدين ، ويقضى على الأخلاق .

وإنه لمن المؤسف حقيقة- أسا نجد فكره التطور تتسرب إلى الساحة الدينية وإلى المحيط الدينى في الأقاليم الإسلامية ، وهذه لمكرة لخطورتها ولأسى أعلق على إرلتها كثيرا من الأهمية أريد أن أضرب بعض الأمثلة حتى تكون على بيته من الأمر :

قرأت في بعض المجلات ممالا يقول كاتبه أن حصيلة الشيخ (. . .) رحى مسطور واسع الأفق ، ومن مظهر بطوره - فى رأى الكاتب - أنه يابى إلا أن يقيم صلاة العائب على روح هلال ، وهلال هـ الذى ذكره الكاتب ، لا يدين بدين الإسلام، وما من شك فى أن ذلك لا يحور « إسلامى » وما من شك فى ن حصيلة

العالم الكبير ، لا يعمل ذلك ولا يبيحه ولكن ذلك إن دل على شيء فإنما يدل على جهل الكاتب بمعنى الحقائق الدينية التي لا تتغير بتغير الأهواء والمواطف ، ويدل من جانب آخر على الخطورة التي يتعرض لها الدين حينما تدخله فكرة التطور ، وحينما تتناولها أقلام الذين لا يعقلون دين الله على الوجه السليم ومثل آخر

إسا جميعا نجل الشيخ محمد عبده ، وبحترمه ودين له بكثير من تحليص الدين عن لمرافات والأساطير ، ولكن حينئذ بقرا له تفسير قصة آدم عبده يقول بأنها تمثيل . نتساءل لم اتجه لشيخ محمد عبده هذا الاتجاه ؟ لم اتجه في قصة آدم إلى أنها تمثيل ؟ حينما نتساءل حقيقة عن السر العميق هي لشعور أو هي اللاشعور - نجد أن الشيخ محمد عبده رأى أن فكرة التطور منتشرة في جميع أرجاء أوربا ، بل والعالم وهي - فيما يرى - تتعارض مع التعاليم التي تنبئ أن آدم هو أول البشر ، وهو لدى خلقه الله وسواء ، وحاطب الملائكة في شأنه وأمرهم أن يسجدوا له .

رأى الشيخ محمد عبده أن كل ذلك لا يتلاءم كثيرا مع فكرة التطور المرصومة . فمادا صنع ؟ فقرر بأنها قصة ، وأنها تمثيل ، وبذلك يمكننا أن نؤولها كيف نشأ

كما رأى الشيخ محمد عبده أن بعض اختلاف رسالات الرسل وتعاقبها . موسوية ، وعيسوية وإسلامية ، تتطور لإنسانية ، الإنسانية - حسنها يرى حسنة في زمن موسى ، فكانت رسالة سيدنا موسى حسنة . ثم تطورت الإنسانية من الحس إلى العاطفة ، فكانت رسالة سيدنا عيسى عاطفية ثم تطورت لإنسانية من الحس والعاطفة إلى العقل ، فكانت رسالة سيدنا محمد عقلية

ورأى أن الإنسانية لم تتطور هذا التطور . وأن الإنسانية إنما سرنا وعند أي فرد رأينا وفي أي مجتمع شاهدا ، فإنما يتمثل فيها جوانب ثلاثة الحس ، والعاطفة ، والعقل . ولكن فكرة التطور وأن الإنسانية متطورة انتهت بأن أصبحت مسيطرة على الكثيرين هانقوا لها ، وأدخلوها في المحيط الديني ، فأفسدت كثير من القصايد ، وسود فترجم على لشيخ محمد عبده وردا كنا نفتقده ونحن نحاصر في قاعته ، وذلك أننا نعلم أنه رحمه الله ، كان من

سعة الصدر ، ومن سعة الأفق بحيث لا يضيق بقف ، ويعتقد أنه لا يضيق الآن
بقدنا ، ولا يقلل هذا من عظمة الأستاذ الإمام .

ونأتى إلى شخصية أخرى نعجدها أيضاً وبحترمها : شخصية محمد إقبال.
وإن جهاده بالنسبة للإسلام ، وجهاده بالنسبة للمسلمين لا ينكر .

ولكنه لم يستطع أن يتخلص من فكرة التطور فى بعض المسائل كما رأى .
فليراجعها من شاء فى آرائه وفلسفته .

أيها السادة

كلكم تعلمون أن الدين عقيدة وأخلاق وشرعة ، وتصوير التطور فى العقيدة.
أن نقول مثلاً اليرم رباً واحداً .. أم غداً هببه سبحانه وتعالى عن ذلك .
يكون الثين ١٩

وتصوير التطور فى الأخلاق ، أن نقول مثلاً أن الصدق اليوم فضيلة وغداً
يكون رذيلة ، أو الصدق فضيلة اليوم وهو غداً ليس بعصية ولا رذيلة ؟
فأنتم ترون أنه لا تطور فى العقيدة ، ولا فى الأخلاق .

لكن الشبه تخلق فى بعض لأذهان حول لتطور فى التشريع والذى يوجد
لهم بهذه الشبه هو باب الاجتهاد . ولما نطق يقول إنه ما دم هناك جهاد فى
التشريع فسيكون هناك تصور فيه . ولكن الذى يقول هذا الكلام لا يفهم أيضاً
معنى الاجتهاد . أو هو يفهم معناه ويحاول أن يتجاهله . معنى الاجتهاد وحقيقته
إنما هو المحاولة لجهادة المستمرة للوصول إلى ما كان عليه الرسول ﷺ ، من أجل
اتباعه ، ومن أجل إدخال المسائل الحديثة تحت القواعد القديمة التى استجبت
من كلام الرسول ومن القرآن . وليس للاجتهاد معنى آخر غير هذا .

وكل المجتهدين الإمام الشافعى ، أحمد بن حنبل ، أبو حنيفة ، الإمام مالك
كلهم يقولون إذا صح الحديث فاصرب برأى عرص لحائط أى أنه إذا رأى
رأياً من الآراء متمسكاً فى هذا رأى ، أن يكون موافقاً لكلام الرسول ، ثم تبنى
فيما بعد أنه أخطأ ، لأن الحديث يهيد غير ذلك ، فإن كلامه ورأيه لأهية لهما
ويجب أن يطرحا ويهملأ وأن يؤخذ بكلام الرسول
وإذن ليس فى الاجتهاد تطور .

إن التطور العقلى كمنبع لما وراء الطبيعة والضمير كمسبع للأخلاق .

كل هذه هي البشرية هي مقابلة الألوهية ، في مقابلة النص واعتمدت ، إذن
الحصارة الحديثة على البشرية هي مبادئها وقواعدها ، فكانت النظم الاجتماعية
المختلطة والنظم الأخلاقية المختلفة ، وكان الهدم في كل يوم ، وانتهت في بعض
الياديين المكرية الاجتماعية إلى ما كان يمكن أو يتصور أن تنتهي إليه :

لقد انتهت بتفسير أو تصوير رائع ، لآية قرآنية كريمة هي

﴿ وَاللَّعْنَةُ عَلَيْهِمْ يَا الَّذِينَ اتَّيَافُوا يَاتِنَا فَاَسْلَحْ مِنْهَا فَاَنبَعُ الشَّيْطَانِ فَكَانَ مِنْ لُعَاوِينَ (١٧٥) ﴾
ولو شاء الله لرفعناه بها ولكنه اخلد إلى الأرض وتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه
يلهث أو تتركه يلهث ... ﴿ (١) .

واريد أن اشرح هذه الآية في إيجاز إلى آيات الله محيطه بالإنسان من
جميع أقطاره ، فالسموات من آيات الله ، والأرض من آيات الله ، والأشجار من
آيات الله ، والأنهار والحيال ، والمحيطات والنحوم والكواكب كل ذلك من آيات الله ،
هذا الإبداع المحكم ، لدى يعبط بالإنسان من جميع أقطاره ، هذه الآيات التي
تحيط بالناس ، أيما كانوا والتي تنادي بحلال الله وعظمته . حاول بعض الناس
الانسلاخ منها - فلم يقرروا بالألوهية الإقرار السليم ، واستعير بالانسلاخ من أحكام
وآفاق وأرواح يكون .

لقد حاولوا الانسلاخ منها وهي ملتصقة بهم التصاق حديد الإنسان بالإنسان ،
واستبحروا منها بعد لأي وعلى خلاف افطرة ، وعلى وضع لا يتلاءم مع النظام
الطبيعي ، واسلحوا بذلك من محيط الألوهية إنهم خرجوا عن سرائق الألوهية ،
وخرجوا عن أن يكونوا من عباد الله ، فتهياؤا بصنيعهم هذا ليكونوا من أتباع
الشيطان ، وسهل على الشيطان غزوهم ، فقراهم بحيله ورجه فكانوا من الغاوين ،
ولو شاء الله لرفعهم بآياته ولكن لعب جاء منهم هم ، إذ أخلدوا إلى الأرض .
وما من ريب في أن الإخلاد إلى الأرض في أبشع صورة هو الشيوعية .
وانتهوا أهوهم

وما من شك في أن اتباع نهوى في أسمع صورة هو الوجودية
وسواء كنا بصدد الشيوعي أو بصدد الوجودي فمثله كمثل الكلب ، إن
تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث .

(١) الأعراف ، ١٧٥ - ١٧٦ .

ولكن لِمَ يبهت سواء حملت عليه أو تركته ؟

إن الشيعوى ليس همه إلا المادة ، والإحلال إلى الأرض .

ومهم بسط الله له فى الرزق فهو صيق بذلك . وإذا ضيق الله عليه فى الرزق ، فهو صيق بذلك أيضا . إنه لا يطمئن إلى شيء روحى يقبضه ، ومادة - مهما أوى الإنسان منها - فإنها - مادام جشعا - لا تنتهى إلى إرضائه ، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالوجودى

فإنه وقد أثر اتباع الهوى - وليس الوجودية إلا إثارة اتباع الهوى - فإنه لا يعتمد على هاد يطمئنه ، ولا على اصمئنان يسكنه ، وهو صيق بالحياة درعا سواء كان سعيدا أو شقيا ، همته كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث انتهت الحضارة إلى أمثال هذه ، لنظم التى لا ترى إلا المادة ، أو لا ترى إلا البشرية ، الهاوية أو الغاوية ، وانتهى الأمر بالشيعوى والوجودى إلى ما كان لا معر من أن ينتهى إليه وهو انفصال الشيعوى ، وانفصال الوجودى عن المحيط الإلهى ، وعن تترادق الإلهى .

ومما لا شك فيه ، أن هذه النظم التى لا تتصل بالعصبة ، إنما تنحبط وتكون باستمرار متأرجحة متقلبة ، ولا تستقر استقرارا نسبيا إلا بالحديد والسر ، وبالسلح وبسفنك الدماء ، وبالتقتل ، وأن ما وراء ستر الحديدى يمكن أن يكون صورة لكل هذا الانفصال عن الألوهية ، الذى لا يستقر إلا بالحديد و نار .

تلك أسس الحضارة ومنابعها ، ومصادرها عقل فضمير ، هتطور ، هانتها إلى أمثال هذه النظم التى خرجت بالإنسان عن الحادة .

والدين إذن لا يعارض ، لتقدم فى سبيل إسعاد البشرية هذه قضية نحن مسلمون بها .

الإسلام :

يريد أن نتحدث عن الإسلام وتكفيى كلمة « لإسلام » تكفيى هذه الكلمة للدلالة على أن هذا الدين صحيح ، منزل من عند الله ، إن معنى الإسلام ، الاستسلام لله فى كل مظهر من المظاهر ، وهى كل حركة من الحركات ، وهى كل أمر من الأمور ، ويصور لمعنى لهذا التعبير الرثع ، الآية الصرائية الكريمة

﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٦٣) (١) .

إن هذا التصوير للإسلام في هذه الآية الكريمة رائع حقاً

اسسلام لله ، أى دخول في النطاق الإلهي ابتعاد عن النهي والشيطان، إنه إسلام نوحه لله ، فرق كبير بين هذا وبين الخروج عن النطاق الإلهي بالشيوعية أو بالوحدانية .

وهيما يتعلق بالإسلام هناك لنظم المعصومة هناك الأخلاق المعصومة والتشريع المعصوم هناك إدر العصمة كاملة ، ويكن الاستسلام لله يقتضي شيئاً آخر هو الجهاد والكفاح المستمر من أجل الحق ولخير وإعلاء كلمة الله . فإذا لم يكن هناك جهاد من أجل الإسلام فلا إسلام ، ومن لم يجاهد من أجل إسلامه فليس بمسلم هناك إذا الجهاد ، وهناك الاتجاه إلى جعل الإنسان رانياً أو إلهياً .

ولكن ما هي السنين التي رسمها الإسلام ، لجعل الإنسان رانياً ؟ لقد

(١) صمّن الله الرزق . (٢) وحدد الآجال .

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ .

ولصمّن و نشعلنا بالبرق والحرص عليه أكد الله صمّانه بقوله تعالى

﴿ قُورَبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطُقُونَ ﴾

وحدد لآجال وصرب لذلك أوضح لامثال فهو فرضنا أن انساها هي برج

مشيد وكتب عليه القل ، لخرج من هـ البرج المشيد الى اقتل

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرِ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانِ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلَ هَؤُلَاءِ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَيَبْتُلِي السَّيِّئُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

هناك الأجل محددة ، والأوراق مضمومة ، فعادة بعد ذلك إلا الاتجاه إلى الله كلية ، ويكل ما تملك ، ويكل ما تحس ، ويكل ما تشتر .

وليس الاتجاه إلى الله كسلا ، فالأعمال عبادة ما دمت متجها بها إلى الله حركاتك وسكناتك وأنفاسك ، إذا اتجهت بها إلى الله فهي عبادة . فالعامل في عمله إذا اتجه بعمله إلى الله فهو عابد . والصانع في مصنعه عابد إذا كان متجها بعمله إلى الله . ومن كانت هجرته إلى الله ورسوله بعمله ، وصناعاته وحركاته وسكناته ، هجرته إلى الله ورسوله ، والله يثيبه على عمله .

إذا كان الله قد صمم الرزق ، وحدد الأحوال ، فليس هناك مطلقا عذر من الأعداء للمسلم لأن يتخاذل ، وأن يتكاسل ، وأن يتواكل .

والصورة المثلى هي ذلك إنما هي صورة محمد صوات الله عليه في كفاحه ، لدى لم يمت ، وجهاده المستمر ، وهي صورة للمتأسس به يجب أن تحتذى

ولكن لم الجهاد ؟ ولم الكفاح ؟

هناك رسالة إسلامية ونحن مكلمون بها . ونحن لا نصول الأهر فحسب هو المكلف بها ، وإنما يقول أن كل مسلم مكلف بهذه الرسالة .

وهذه الرسالة الإسلامية تصورها الآية الكريمة ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (١) .

والرحمة بالإنسانية ، إنما هي إخراجها عن دائرة الشيطان إلى دائرة الله سبحانه وتعالى : إخراجها عن استباحرة وعن التنارع من أجل المادة . إلى السمو في آفاق الأخوة ، وفي آفاق الرحمة الشاملة العامة . هذه الرسالة الرحيمة الرحمانية التي حددها الإسلام بنظمه ومبادئه ، والتي كلما بها ، وكما حير أمة أخرجت للناس من أحبها ، إذ لم نعلم بها في وجه الحضارة الحديثة ، لا يكون مسلمين ، أو على الأقل لا تكون هي عمليا السلى من الذين يتأسسون بصاحب الرسالة الإسلامية . ولن يكون لنا لفخر بأنا من حملة الرسالة الرحمانية ، رسالة الرحمة المهداة .

(١) لآيات ١٧

اعتزاز المسلم بدينه :

و، لواقع أن المسلم يحب أن يعجز حقيقة بدينه وينظمه ويرعوله وبأتمته .
وسون أن نريد مواربة في قليل ولا كثير ، نرى مثلاً أن هذا الشيخ الوقور
سيد بوح عليه السلام الذي عاش في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ،
بدعوهم إلى الله ، انتهى به الأمر في هذه لمترة الطويلة بأن كانت كل الحصيلة
مجموعة حملت في سقينة .

وإذا جئت إلى سيدنا موسى بعد أنه حين أُرِد القتال ، قال له قومه
﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دُمُوا فِيهَا فَاهْبُتْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا
وَاعِدُونَ ﴾ .

ومن انصور القرآنية الطريفة جداً ، أن سيدنا موسى بعد أن جاهد في قومه
هدى لجهاد بالدعوة والارشاد والبصيرة ، تركهم فترة وتقدمهم قليلاً فحاطبه
الله بقوله

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ﴾ قال هم أولاء على أثرى وعجنت إليك رب
لترضى ﴿ فذكر كلهم لله ، أن قومه هم أولاء على أثره ولكن الشوق وحب حمته
على ذلك ﴿ وعجنت إليك رب لترضى ﴾ وجميل هذا ، لكن انظروا إلى التربية
الحكيمة في الأسلوب المهدب هذا الأسلوب الذي كأنه يقول إنك لم تحكم أمر
الدعوة من ورثك، وإن أحكام أمر الدعوة إنما هو لقاء الله ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ
مِنْ بَعْدِكَ وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً ﴿ .

وإذا جئنا إلى سيدنا عيسى فبما نجد أن سيدنا عيسى صلوات الله عليه
وسلامه حين دعه الله إليه ، لم يكن هناك من يمر برسالته إلا بصيغة امراد
يعدون على لأصابع ، أو يعدون بالعشرات وأكثر تقدير لاتباع سيدنا عيسى ، أنهم
كانوا ثلثمائة ، أخذ سيدنا موسى قومه من مصر هاراً بهم ولم يقاتل ولم يحاهد ،
وحين أدركه فرعون لم يتوجه إلى القتال وإلى الجهاد ، وإنما توجه إلى الله ، فامر
الله بصرب لبحر بمصاه فصرب البحر فاصبق فكان كل هرق كالطود العظيم ، ومر
موسى وقومه آمين دون جهاد ودون كفاح .

وسيدنا عيسى لم يتوجه إلى القتال ولا الكفاح في سبيل إعلاء كلمة الله
التي هي الحق والخير .

ولكن إذا حثنا إلى سيدنا محمد ﷺ فإننا نجد مباشرة العزم المصمم
والإرادة النافذة ..

يجب أن يدين العالم لله ، وأن يسم وجهه لله . لتلك الرسالة الإسلامية
ويجب أن يقف محمد صلوات الله عليه ولو بهمرده في وجه العالم كله في وجه
الكون بأكمله ، في وجه هذه الدنيا .

يجب أن يدين العالم ، يجب أن تدين السماء والأرض ، وأن يدين البشر
بأجمعهم لرسالة السماء . ووقف سيدنا محمد يجاهد ويجالد ويكافح ويتحلى
لعقبات ، ويتغلب على الصعوبات إلى أن انتهى به الأمر إلى البصر الكامل
بالكفاح في سبيل الحق ، الكفاح إذن جريء لا يتحرج من لرسالة الإسلامية . إنه
لكفاح من أجل الله ، لا من أجل مادة لشيوعيين . الكفاح من أجل الله لا من أجل
أهواء الوجوديين . إن الرسالة الإسلامية رسالة رحمة ورسالة كفاح من أجل
لرحمة ، ورسولها خير معبر عنها بسلوكه ومواقفه ، فمن لم يتأس بالرسول ، ومن
لم يكافح في سبيل الإسلام فليس له أن يفخر بأنه مسلم فصلا عن أن يرفع أنه
مسلم مثالي .

تغلب محمد رسول الله ﷺ على كل عقبة ودرل كل صعوبة ، وحطم كل
صمم ، وانتهى به الأمر إلى أن شاهد ارتفاع الأذان الإسلامي فوق الكعبة . هي مكة
التي كانت تأتي كل الإباء أن تدين لله ، ون تسلم وجهها إلى الله وحده .

ومهمتنا جميعا إذا هي مهمة الرسول تحطيم الأصنام تحطيم صمم
الشهوة و لهوى المتعلل في النفس . وتحطيم صمم المادة ، وبشر رسالة لحق
والرحمة حتى ينتهي من كل ذلك بأن يسلم العالم وجهه إلى الله

فإذ انتهيت إلى ذلك ، أو إذا ما حققناه كنا في رصوا الله وكنا من هؤلاء
الذين رضي الله عنهم ، ورضوا عنه .

وإلى لأرجو في النهاية - أن يتكاتف المخلصون في العالم الإسلامي

ويتسانسوا ، ليقيموا أصام هذا الرخف لمتتابع من المدنية الغربية ، التي تريد أن
تطمس الإسلام في أهدافه وهي نظمه وهي تعاليمه ، وفي أقدس مقدساته .

إذا أمكن أن يتكاتف المحلصون فإن الأمر سينتهز بالتعسر . أما إذا لم
يتكاتفوا فإن ذلك لا يعفى كل مسلم منفردا - من العمل الجاهد في سبيل إعلاء
كلمة الله ، والعمل على سيادة المبادئ الإسلامية ، فهيها سعادة لعالم إن شاء الله .

وبالله التوفيق ، ،

دكتور عبد الحليم محمود

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٢
● الفصل الأول :	
- على مشارف العبادة الإخلاص والتوبة	٢٥
- صورة إخلاص الدين لله	٢٩
- طريق الإخلاص في الإيمان	٣١
- الاستغفار والتوبة	٣٩
- صلاة التوبة	٤١
● الفصل الثاني :	
في الذكر	٤٥
- الذكر	٤٩
- صيغ لذكر	٥٥
- الماتحة	٥٦
الماتحة وخواتم سورة البقرة	٥٧
- البقرة وآل عمران	٥٧
.. سورة الكهف ..	٥٨
- سورة الحديد والتكوير والانفطار والانشقاق	٥٩
- سورة لزلزلة والإخلاص والكافرون	٥٩
- سورة التكاثر والإخلاص أيضا	٦٠
- المودتان	٦١
- الماتحة بدءا وحظا	٦٢
- التسييح والتعميد والتكبير والحقولة	٦٦
الصلاة على النبي ﷺ	٨٢

● الفصل الثالث :

- ٨٩ - هي الدعاء
- ٩١ - فصل الدعاء
- ٩٤ - طلب الدعاء
- ٩٧ - ثمرة الدعاء
- ١٠١ - دعوات مستجابات
- ١٠٤ - صيغ الدعاء
- ١٠٤ - من الدعاء في القرآن
- ١١١ - من دعاء الرسول ﷺ
- ١١٤ - دعاء الصباح والمساء
- ١١٥ - عند النوم
- ١١٦ - دعاء يقال عند الكرب من أجل الفرج
- ١٢٤ - دعاء المغفرة في الصلاة وفي البيت وغير ذلك
- ١٢٧ - دعاء عرفة
- ١٢٩ - صلاة الاستحارة ودعاؤها
- ١٣١ - الذكر والدعاء بعير المأثور
- ١٣٦ - ذكر ودعاء

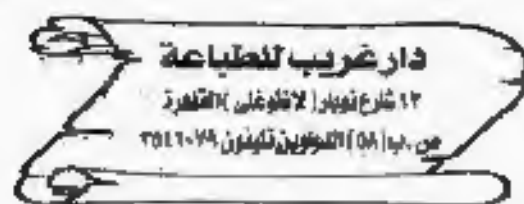
● الفصل الرابع :

- ١٤٥ - الصلاة
- ١٤٧ - العبادة
- ١٤٨ - صلاة
- ١٥٧ - الوصوء
- ١٥٨ - توجيهات قبل الوصوء
- ١٥٩ - فصل الوصوء
- ١٧١ - الأذان
- ١٧٣ - متناثرات خاصة بالأذان
- ١٧٤ - مساجد الله
- ١٧٥ - متناثرات هي شُؤون المساجد

الصفحة	الموضوع
١٧٦	- صلاة الجماعة
١٧٧	- الصلاة وكفارة الذنوب
١٧٨	- أهمية صلاة العصر
١٧٨	- فرص الصلاة وأوقاتها
١٨٠	- أوقات لا صلاة فيها ، وتسوية الصفوف
١٨٢	- الصلاة وفاتحة الكتاب
١٨٤	- الذكر في تركوع والسجود
١٨٥	- كمية السجود والتشهد
١٨٦	- من صبح الدعاء في السجود
١٨٧	- الدعاء في الصلاة
١٨٨	- متاثرات في شئون الصلاة
١٨٩	- دعاء الرسول ﷺ في الصلاة وبعدها
١٩٥	- من مظاهر رحمته ﷺ في الصلاة
١٩٥	- صلاة التصوم
١٩٦	- صلاة الليل
١٩٧	- تطوع الفجر والضحى
١٩٧	- تطوع الظهر والعصر وتحية المسجد
١٩٨	- الأوقات التي تكره فيها الصلاة
٢٠١	- حكم وأسرار
٢٠٤	- المعاني الإنسانية في الركاة
٢٠٥	- اصدقة
٢١١	- بريا
٢١٥	- وحوب الركاة
٢١٦	- محاربة المكرب للركاة
٢١٨	- جزاء الكافرين
٢٢١	- الأنواع والمقادير الواجبة في الركاة
٢٢٤	- زكاة العمارات والرتب والكفر
٢٢٤	- زكاة البترول والأنعام

- ٢٢٦ - زكاة الحلى
- ٢٢٧ - الزكاة والإنفاق هي سبيل الله
- ٢٢٩ - الصدقة على الأقارب
- ٢٣١ - فضل الصدقة
- ٢٣٦ - من آداب الصدقة
- ٢٣٧ - أبواب الصدقة
- ٢٣٨ - مسائل من الصدقة
- ٢٤٠ - صدقة الفطر
- ٢٤٥ - شهر رمضان .. فرض صيامه .. وحكمة الصيام
- ٢٤٧ - لعلمكم تتقون
- ٢٥٧ - فضل شهر رمضان
- ٢٦١ - أبواب الرحمة هي شهر رمضان
- ٢٦٤ - الصالحون وشهر رمضان
- ٢٦٧ - القرآن
- ٢٦٨ - الصدقة
- ٢٧٠ - شروط الصيام الصحيح
- ٢٧١ - رمضان وقول الزور
- ٢٧٢ - صوم يوم الشك
- ٢٧٢ - الفطور والمحور
- ٢٧٦ - الصيام والسفر
- ٢٧٩ - سلوك الصائم
- ٢٨٠ - بعض مالا يفطر الصائم
- ٢٨١ - شهر رمضان وليلة القدر
- ٢٩٠ - الاعتكاف وليلة القدر
- ٢٩١ - ليلة القدر .. إيجاز .. وتلخيص .. وتفصيل
- ٢٩٧ - الحج والاستطاعة
- ٢٩٨ - العبد الكبير
- ٢٠٢ - المبادئ الإنسانية هي الحج

الصفحة	الموضوع
٢٠٥	- بعد الحج
٢٠٩	- أشهر الحج
٢١٠	- الحج يغفر الذنوب
٢١١	- أفضل الأعمال
٢١٢	- العمرة
٢١٤	- من الدعاء في الحج
٢١٥	- الطواف
٢١٨	- الإنابة في الحج
٢٢١	- حجة النبي ﷺ
٢٢٦	- الحج رحلة الصفاء والمروى
٢٣٣	- الجهاد الإسلامي
٢٤١	- الجهاد في السلم والحرب
٢٥٢	- القادر على الجهاد والمتخلف عنه
٢٥٣	- بيانات إلهية للمؤمنين
٢٥٨	- القرآن يرسم طريق النصر
٢٦٢	- عظات ودروس حربية وأخلاقية من غزوات الرسول ﷺ
٢٦٢	- غزوة بدر
٢٧١	- غزوة أحد
٢٨٢	- غزوة الأحزاب
٢٨٩	- فتح مكة
٢٩٢	- غزوة تبوك
٤٠٢	- اليهود
٤١٢	- غزوة خيبر
٤١٢	- آيات من القرآن في اليهود
٤١٥	- الشهيد
٤١٧	- دعاء
٤٢٠	- وذلك هو الفوز العظيم
٤٢٣	- الاجتهاد والثبات في الشريعة الإسلامية
٤٢٦	- الدين والمحاضرة



هذا الكتاب

لقد حاولت أن أجمع فيه بين ناحيتين:

١- الناحية الفقهية التي تتصل بالأحكام.

٢- ناحية الأسرار والحكم.

واعتمدت أولاً وبالذات على الأحاديث النبوية الشريفة. وتعمدت أن أدع الأحاديث نفسها، منسقة مبوبة، هي التي تتكلم بطابعها هذا النوراني وبسمتها النبوي الشريف، وتعتمد ذلك لأسباب منها:

١- أن كتب الفقه المتأخرة - على خلاف كتب السلف - إذا تصفحتها لا تكاد تجد حديثاً يذكر، وإنما تجد كلام المؤلف نفسه، متابعاً ومقلداً لآخر على شاكلته، فأردت أن أعود إلى طريقة السلف لأنها أهدى سبيلاً.

٢- والأحاديث النبوية جميلة الأسلوب، سهلة الفهم، عليها نور صاحب الروضة الشريفة، ﷺ، ولذلك يؤمن بها الأمي، ويقتنع بها المثقف، بل إن المثقف يرضى بهذا النمط من الكتابة أكثر مما يرضى بغيره، وذلك لأنه يعلم مصدر الحكم من الحديث، ويتابع الرسول، ﷺ، رأساً، وهي ذلك إرضاء لكرامته، باعتباره مثقفاً.

وما توفيتي إلا بـ كلفت وإليه أنيب

عبد الحليم محمود